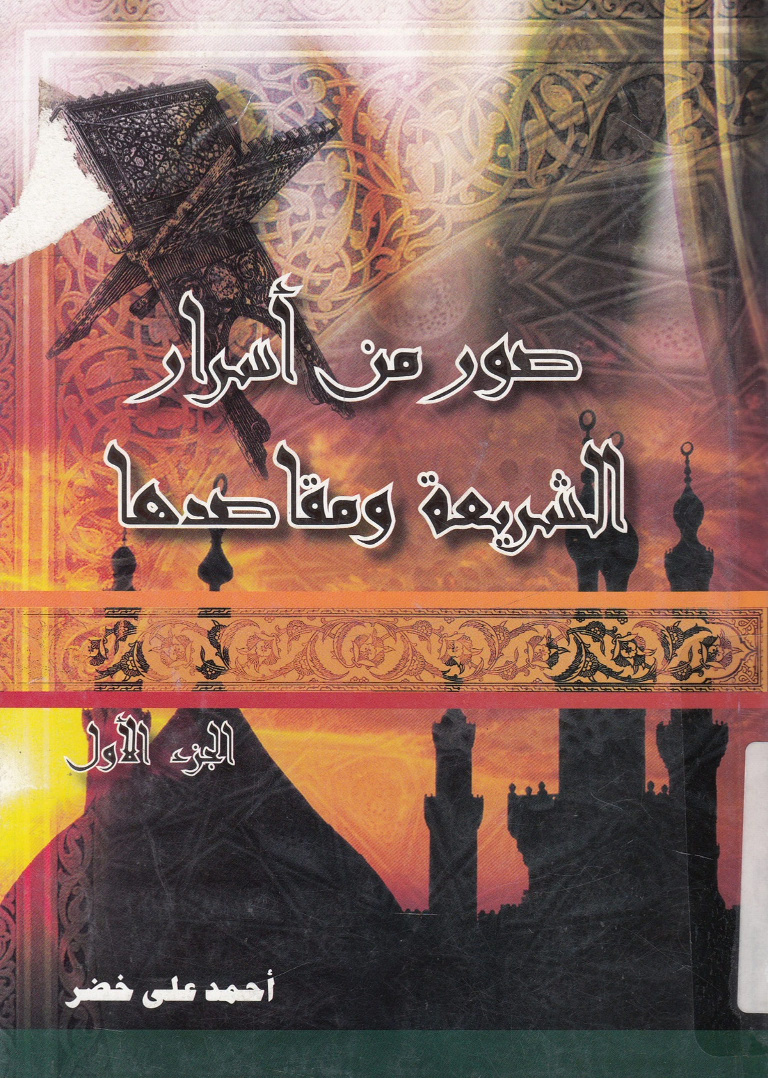


صور من أسرار
الشريعة ومقاصدها
الجزء الأول
أحمد على خضر

صور

من أسرار الشريعة ومقاصدها

(الجزء الأول)

أحمد على خضر

صـــور
من أسرار الشريعة
ومقاصدها

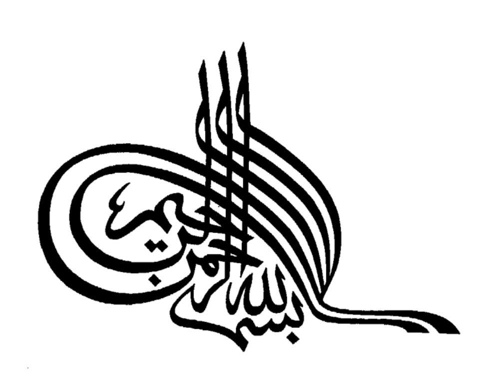
الجزء الأول

كلمات فى أسرار الشريعة تريك صوراً من بـدائع الأسرار فى الإسلام، وتطلعك على مزاياها ومقاصدها، وتكشف لك عن نماذج رفيعة وحكم سامية

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ -٢٠٠٩ م

القاهرة


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

- إلـى كـل مسـلم يهـتم بـأمر دينـه ، والتفقـه فـى شـريعة الإسلام.
- إلى الذين يبتغون الهدى فـى كتـاب الله وسـنة رسـولـه ﷺ .
- إلـى كـل مسـلم يعتـز بنبـي الإسـلام محمـد ﷺ ويـرى فيه الأسوة الحسنة والقدوة الطيبـة.
- إلـى الذين صفت أرواحهم وزكت نفوسهم.
- إلى الذين آمنوا واطمأنت قلوبهم بذكر الله ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾
- إلـى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب.

إلى هؤلاء وأولئك ... أهدى هذا الكتـاب ، ففيـه المثل الأعلى والأسوة الحسـنة والقدوة الطيبـة لمـن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

المقدمة

الحمد لله على شريعة الإسلام وكفى بها نعمة ، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، على كل حال ، وبنعمته تتم الصالحات ، وهو الذي يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، أحاط بكل شيء علماً، ووسع كل شيء رحمة وعلماً، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار، وكل شيء عنده بمقدار.

ونشهد أن لا إله إلا الله شهادة حق ، نسأل الله تعالى أن يثبتنا عليها في الحياة وعند الممات. ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ، خاتم الأنبياء، وإمام العلماء، الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة, والكاشف برسالته جلابيب الغمة، وخير نبي بعث إلى خير أمة، أرسله الله بشيراً ونذيراً، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، من سار على دربه فاز بالجنات، ومن أعرض عنه مني بالحسرات، وطرح في الدركات.

ونستفتح بالذي هو خير: ﴿رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾[الممتحنة/٤]

أما بعد:

فإن شريعة الله واحدة ، من لدن آدم ﷺ، إلى خاتم الأنبياء محمد ﷺ ألا وهي الإسلام ، ألا وإن الإسلام هو دين الحق ، وأنه لا حق إلا الإسلام، ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران/٨٥]

فالشريعة هي دستور السماء لأهل الأرض ، وهي المنهج الذي ارتضاه الله للناس جميعاً، فلا يستغني عنه الفرد في تهذيب نفسه وسلوكه ، ولا الجماعة في سيرها نحو المدينة الفاضلة والقيم الرشيدة ، ولا الدولة

وهي تريد أن ترسم قواعد حكمها ، وتبني مجتمعها على أساس من المناهج الصالحة ، والسياسة العادلة.

ومما لا ريب فيه - لأي دارس - أن الشريعة الإسلامية أقامت أحكامها على رعاية مصالح المكلفين ، ودرء المفاسد عنهم ، وتحقيق أقصى الخير لهم، والله سبحانه قد جعل رسالة محمد ﷺ رحمة للناس كافة كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

كما أودع الله في كتاب هذه الشريعة - القرآن الكريم - الشفاء والهدى والرحمة لكل من آمن به واتبعه - كما قال تعالى - يخاطب الناس كافة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس/ ٥٧].

وقد اقتضت حكمة الله تعالى ورحمته وجوده وإحسانه، أن يتعبد خلقه بما فيه صلاحهم وفلاحهم في العاجلة والآجلة. وكان من مميزات الشريعة الإسلامية ، أنها جاءت وافية بحاجات الناس المتجددة، ومحققة لجميع المصالح التي عليها مدار السعادة في الدنيا والآخرة ، لا فرق في ذلك بين النواحي المدنية أو الاقتصادية أو الاجتماعية ، ونظم الحرب والسلم .. وغير ذلك من شئون الحياة التي استوعبها هذا الدين الحنيف. ولسنا في حاجة إلى مذاهب مستوردة من الشرق أو الغرب.

يقول الدهلوي: «إن الشريعة الإسلامية مبناها وأساسها على مصالح العباد، في المعاش والمعاد ، وهي عدل كلها ، ورحمة كلها ، ومصالح كلها ، وحكمة كلها ....

فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور ، وعن الرحمة إلى ضدها ، وعن المصلحة إلى المفسدة ، وعن الحكمة إلى العبث ، فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل .

فالشريعة عدل الله بين عباده ، ورحمته بين خلقه وظله في أرضه ، وحكمته الدالة عليه ، وعلى صدق رسوله ﷺ أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي أبصر به المبصرون ، وهداه الذي اهتدى به المهتدون، وشفاؤه التام ، الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل»[1].

فشريعة هذا شأنها، جدير بأن يعتني بأسرارها وحكمها، ومعرفة مقاصدها، واكتشاف كنوزها وجواهرها ، فتكون أليف النشء في تطوره، تهديه وترشده، وتقومه وتسدده. فينشأ عالما بخصائصها ، داعيا إلى الارتشاف من مناهلها ، مرشدا إلى ما تحمله للبشرية من كنوز الهداية والخيرات والبركات .....

لذا: فإني استعنت بالله ، وأعددت العدة ، وشمرت عن ساعد الجد، وأخذت في الجمع والتدوين ، وفي التحرير والتحبير ، وقمت بإعداد هذا الكتاب وأسميته : (**صور من أسرار الشريعة ومقاصدها**).

قصدت من خلاله ، أن ألقي الضوء على معالم هذه الشريعة وخصائصها، وتميزها عن غيرها من الشرائع السماوية والقوانين الوضعية ، وعلى عوامل السعة والمرونة فيها ، مما جعلها أهلا للخلود بحق ، وللصلاحية لكل زمان ومكان ، كما شهد بذلك المنصفون من أنحاء العالم ، ومن شتى الاتجاهات .

واعتمدت في تأليفه على مصادر متنوعة ، ومراجع متعددة، قديمة وحديثة ، كلها تنهل من معين القرآن الكريم ، وهدي السنة النبوية المطهرة. فضلاً عن المسائل الفقهية والأحكام الشرعية.

---

١) أعلام الموقعين لابن القيم (٣ / ٣).

وما أمس حاجتنا - اليوم - إلى معرفة الأحكام الشرعية والأمور الفقهية: و«من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين» كما قال رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه البخاري.

فجاء - بفضل الله - كما أملت ورجوت، سهل العبارة، قريب الإشارة، داني القطوف، حجته قوية وأدلته قطعية، فلا تعقيد ولا غموض، ولا لبس ولا خفاء.

حتى إذا اكتملت عناصره، قسمته إلى خمسة فصول على النحو التالي:

- **الفصل الأول**: في معرفة الله تعالى، والدلائل العلمية على وجود الله عزوجل.
- **الفصل الثاني**: الشريعة الإسلامية: خصائصها، مميزاتها، مقاصدها، وفيه ثلاثة مباحث رئيسية هي: الخصائص العامة للشريعة الإسلامية، ومميزات الشريعة الإسلامية عن الشرائع الوضعية، ثم مقاصد الشريعة في رعاية مصالح العباد.
- **الفصل الثالث**: من أسرار التشريع في الكتاب والسنة، وفيه أربعة مباحث هي: من أسرار التشريع في كتاب الله تعالى، ثم فضائل القرآن وآدابه، ومن أسرار التشريع في السنة، وأخيراً الوحي وصور تنزلاته.
- **الفصل الرابع**: في أهمية الطهارة والنظافة في الإسلام، وفيه ثلاثة مباحث هي: الطهارة في التشريع الإسلامي، ثم أحكام الدماء الخاصة بالنساء، وأخيراً سنن الفطرة بين الهدى النبوى والتوجيه الطبى.
- **الفصل الخامس** وعنوانه: المساجد بيوت الله في الأرض، وفيه مبحثان هما: المساجد في الإسلام: مكانتها آدابها، أحكامها، ثم مساجد الأنبياء.
- كما أننى ألحقت بآخر الكتاب جدولاً، جمعت فيه ما تفرق من الأحاديث التى ورد ذكرها فى ثنايا الكتاب، بعد أن قمت بتخريجها من كتب السنة الصحاح.

وأخيراً: أرجو أن يجد فيه الإنسان المسلم ـ باحثا ومتعلما ـ بعض ما يهمه معرفته ، عن الشريعة الإنسانية التي يتنادى بها العالم الإسلامي، من مشرقه إلى مغربه ، بضرورة الاحتكام إليها ، في كل جوانب الحياة.

كما أرجو من الله تعالى: أن يثيبني على كل حرف كتبته، وعلى كل جهد بذلته، ويجعله في ميزان حسناتي، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم. كما أسأله تعالى أن يثيبنى ومن سبقنى من العلماء الأجلاء والباحثين الأفاضل الذين أفدت كثيراً بعلمهم، ولما ألحق بهم، وإنى وإياهم لكما قال الشاعر:

أسير خلف ركاب القوم ذا عرج

مؤملاً جبر ما لاقيت من عوج

فإن لحقت بهم من بعد ما سبقوا

فكم لرب السماء في الناس من فرج

وإن ظللت بقفر الأرض منقطعاً

فما عي في ذاك من حرج

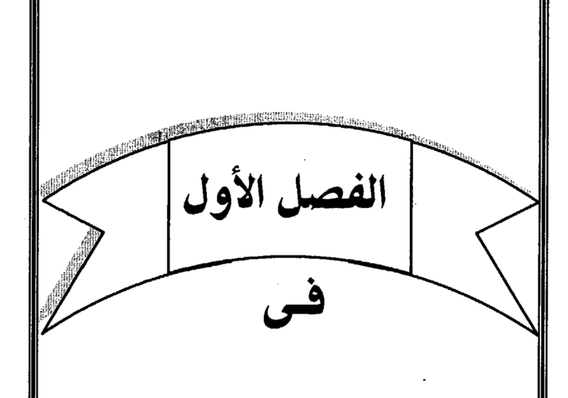
سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضوانه

أحمد على خضر

شعبان ١٤٣٠هـ/أغسطس ٢٠٠٩م





معرفة اللـه تعالى

والدلائل العلمية على وجود اللـه

أخرج الطبرانى عن الحارث بن الأنصارى ، أنه مر برسول الله ﷺ فقال له: «كيف أصبحت يا حارث ؟»

قال: أصبحت مؤمناً حقاً.

قال: «انظر ما تقول فإن لكل شيء حقيقة ، فما حقيقة إيمانك»؟

فقال: عزفت نفسى عن الدنيا ، فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزاً، وكأنى أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون فيها وكأنى أنظر إلى أهل النار يتضاغون فيها.

فقال: «يا حارث عرفت فالزم» ثلاثاً[1].

روى الإمام أحمد فى مسنده عن ابن عباس – رضى الله عنهما – أنه قال: كنت رديف النبى ﷺ فقال:

«يا غلام .. احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده أمامك، تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة ، وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»[2].

---

١) تفسير ابن كثير (٢/٤٥٣).

٢) المسند (١/٣٠٧)

الفصل الأول
فـــــي
معرفة اللّه تعالى

مراتب المعرفة - عظمة الخالق - قضية الألوهية - الإيمان بالخالق فطرة في النفوس - هذا الكون آية على وجود الله - دلالة المخلوقات على وجود الخالق - الله المنعم على خلقه.

إن معرفة الله، هي أسمى المعارف وأجلها، وهى الأساس الذي تقوم عليه الحياة الروحية كلها، والمعرفة بالله من شأنها أن تفجر المشاعر النبيلة وتوقظ حواس الخير، وتربى ملكة المراقبة، وتبعث على طلب معالي الأمور وأشرافها، وتنأى بالمرء عن محقرات الأعمال وسفسافها.

قيل لأبى بكر الصديق ﷺ يا أبا بكر بم عرفت ربك؟

قال ﷺ: عرفت ربى بربي، ولولا ربى ما عرفت ربى.

فقيل له: فكيف عرفت ربك؟

فقال: العجز عن الإدراك إدراك، والبحث فى ذات الله إشراك.

وكان ﷺ كثيراً ما ينشد:

إلهي لست للفردوس أهلا ∴ ولا أقوى على نار الجحيم

فهب لى توبة واغفر ذنوبي ∴ فإنك غافر الذنب العظيم

وقيل للإمام الشافعي ﷺ: ما الدليل على وجود اللّه؟

فقال: ورقة التوت. تأكلها الدود فتخرجها حريراً، ويأكلها الغزال فيخرجها مسكاً، وتأكلها النحلة فتخرجها عسلاً، وتأكلها الشاة فتخرجها لبناً، ويأكلها الحمار فيخرجها بعراً، فمن الذي نوع الأشياء والأصل واحد؟

الشمس والبدر من أنوار حكمته والبر والبحر فيض من عطاياه

الوحش مجـــده والطيـر سبحه والموج كبره والحوت ناجـــاه

والنمل تحت الصخور الصم قدسه والنحل يهتف حمداً في خلايـــاه

والناس يعصونه جهراً فيسترهم والعبد ينـسى وربي ليس ينساه

مراتب المعرفة بالله عز وجل

إن للمعرفة بالله مراتب، يترقى فيها المؤمنون به ـ عز وجل ـ حتى يبلغوا الكمال في معرفة ربهم سبحانه وتعالى

المرتبة الأولى: هي مرتبة معرفة الأنبياء والمرسلين، وهي أسمى مراتب المعرفة وأتمها وأكملها؛ لأن أهلها جمعوا بين صفاء المعرفة وبين العلم اليقيني، ولما أظهره الله على أيديهم، من المعجزات وخوارق العادات، ولما خصهم به من معارف به، وبأسمائه وصفاته ما كانوا به أكمل المؤمنين إيماناً، وأكثرهم له تقوى وخشية، كما قال إمامهم محمد ﷺ «.. فوالله إني لأعلمكم بالله وأشدكم له خشية»[رواه الشيخان].

المرتبة الثانية: هي مرتبة معرفة الصديقين، وأئمة الدين والعلماء العاملين، وخواص العارفين، من المؤمنين من أهل الشرائع الإلهية، وأعلى درجة في هذه المرتبة، هو أبو بكر الصديق ﷺ ، لما حباه الله من يقين لا يتطرق إليه شك

وهؤلاء المؤمنون أصحاب هذه المرتبة، أكثر الناس محبة لله ، وطاعة وخشية منه، وهم المعنيون بقوله تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ)

[فاطر: ٢٨]

المرتبة الثالثة: هي مرتبة أهل الإيمان، الحاصل لهم عن طريق الشعور الفطرى، واستفاضة الأخبار بوجود الله تعالى وشهرتها، وأولئك كعوام المؤمنين من أتباع الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ومرتبة هؤلاء في معرفتهم بالله تعالى أضعف مراتب المعرفة، وصاحبها أقل المؤمنين إيماناً وتقى.

المرتبة الرابعة: وهي مرتبة علماء الكونيات وأمثالهم الذين يحصلون على إيمانهم بالله ، ومعرفتهم له بواسطة النظر والاستدلال بالخلق في الكونيات والإبداع فيها. فيؤمنون بخالق ذى قدرة وإرادة وعلم .. . ويعرفونه بتلك الصفات من القدرة والإرادة والعلم، والحكمة والتدبر... غير أنهم يجهلون من أسمائه وصفاته ما به تعظم محبتهم له، وخشيتهم منه، وطلب التقرب إليه والمنزلة عنده، فقد أقر الكفار على زمن رسول الله ﷺ بالربوبية لله وأنه الخالق:

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[الزمر/ ٣٨] ولكن ذلك لم يدخلهم فى الإسلام، بل قاتلهم الرسول، واستحل دماءهم وأموالهم، وذلك لعدم إيمانهم بكتابه ورسوله(١) إذ به تتم المعرفة الحقة لله سبحانه وتعالى.

وهؤلاء قد ينفعهم إيمانهم في الحياة الدنيا، بقدر ما أثمر لهم من تعظيم لله تعالى، ومحبة فيه، وقد ينفعهم في الآخرة بتخفيف العذاب عنهم[٢]. وذلك مثل أبى طالب.



١) المراد بالكتاب هنا القرآن الكريم، ومن الرسول محمد ﷺ .

٢) انظر: عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائري ص٣٧.

عظـــمة الخالـــــق

والكـــون مشـــحون بأســـــــــرار إذا
حـــاولت تفـسيراً لها أعيـــــــاك

قــــــل للطبيـب تخطفـــــته يد الردى
يـــا شـــافى الأمراض من أرْدَاكـــا؟

قــــل للصحيح يمـــوت لا مـــن عِلة
مَن بالمنـــايَا يا صحيـــح دهـاكـــا؟

قـل للمريض نجـــا وعوفى بعدمـــــا
عجـــزت فنـون الطب: من عافاكا؟

قل للبصير وكان يحـذر حفـــــــــــرة
فهـوَى بهـــا: م،ن ذا الذى أهواكـــا؟

بل سائل الأعمى خَطابين الزّحـــــامَ
بـــلا اصطـــدام من يقود خطاكــــا؟

وإذا تـــرى الثعـــبان ينفُث سـمَّه
فاســـأله مَـــن ذا بالسُم حشاكـــــــا؟

واسأله كيف تعيش يا ثعبان أو تحيا
وهـــــذا الســـم يمـــلأ فــاكــــــا؟

واسأل بطون النحل كيف تـقاطرت
شـــهداً وقــل للشهد من حـــلاكا؟

الله فى كل الحـقـــائق مـــاثـــلٌ
إن لـــم تكـــن تَـــراه فهـــــو يَراكا

قضـيـة الألوهـيـة

لقد سئل رسول الله ﷺ: كيف رأيت ربك ؟

فأجاب قائلاً : «نور أنى أراه ؟»[مسلم]

لقد وضع السلف الصالح معياراً دقيقاً لذلك فقالوا :

كل ما خطر ببالك فإنه هالك ، والله بخلاف ذلك !

فاعرف الله – أخى المسلم – معرفة تليق بذاته لاتدركه الأبصار، ولاتحويه الأقطار، ولا يؤثر فيه الليل والنهار ، وهو الواحد القهار.

اعرف الله تعالى معرفة تليق بكرمه عليك ، ومنته الكبرى بك فإنه – جل شأنه – رفع من شأن الإنسان وقال للملائكة: ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة/٣٠].

كما قال لهم:﴿ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ۝٧١ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴾[ص/٧١-٧٢].

ويرحم الله بلال بن رباح وقد قيل له: (يابلال ، من أبوك ؟)

فأجاب على الفور ، أنا ابن الذى أسجد الله له الملائكة !

إن فى حياة كل فرد إنسانى تجارب كثيرة يحس من خلالها وجود الله حتى لكأنه يراه . ولكن هذه التجارب العابرة والأحاسيس الخافته تدور فى المستوى العادى لشعورنا وتفكيرنا .

إن هناك رعيلاً عظيماً من البشر عاشوا التجربة فى مستواها الأعلى ، وتحدث الله إليهم من خلالها.. أولئك هم المرسلون والأنبياء والهداة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

فهل من حقنا أن نرفض تصديقهم ، وننتظر حتى نرى ما رأوا، وحتى يكلمنا الله كما كلمهم ؟!.

إن أمورنا لا يمكن أن تسير على هذا النحو أبداً ، فإنه لا يلزم من عدم الرؤية عدم الوجود .

فهذا ملك الموت ، الذي يتخطفنا يومياً ، فيأخذ أرواحنا ، وينهي بأخذها حياتنا، ويفصلها عن أجسامنا ، فتعدم الحياة ، ونصير في عالم الأموات ، فهل يشترط للتصديق به رؤيتنا له، وآثار فعله فينا ظاهرة لاتنكر ؟ اللهم لا. ولو سألنا خالقنا وقلنا له من يتوفانا ؟ .

لكان الجواب: (قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ)[السجدة: ١١].

أخا الإسلام :

دع عنك حجب الغفلة ، وأزل عن عينيك عصابة الجحود، وتمعن في هذه الأمثلة والشواهد العقلية ، الدالة على أن لهذا الكون إلهاً موجداً، واجب الوجود، وأنه لا رب سواه إنه الله رب العالمين.

فنحن لا نرى الأشعة تحت الحمراء ومع هذا نؤمن بوجودها ؛ لأن أفراداً منا اكتشفوها وأخبرونا بوجودها..

وأنت لم تفجر الذرة ، ولكنك تؤمن بكل أخبارها ؛ لأن أفراداً من العلماء فجروها وأطلقوا طاقتها..

وأنت لا تحس أدنى إحساس أن الأرض تدور، ومع ذلك تؤمن إيماناً مطلقاً بدورانها؛ لأن العلم الحديث قرر دورانها.

وأنت لم تر الزهرة وعطارد والمريخ والمشترى ، ولا المجموعات الشمسية الأخرى ؛ التى لم يصل العلم إلا إلى جانب يسير منها وهذا الجانب اليسير قدر بمائة ألف مليون مجموعة شمسية ، وكل مجموعة اشتملت على مائة ألف مليون شمس كشمسنا هذه ، فما بالنا بما خفى ؟

إن ماخفى كان أعظم.

ومع ذلك فأنت تؤمن بوجودها ؛ لأن غيرك ممن تثق بهم رآها من

وراء عدسات المناظر ؛ بأنه يسير بسرعة ١٨٦٣٠٠/ ميل فى الثانية الواحدة.

فلماذا تصدق كل ذلك، وأنت لم تكتشف صدقه بنفسك. إنما اكتشفه لك آخرون ؟

ولماذا تحاول أن تقيس الله بنفس المقاييس التى نقيس بها أنفسنا ؟

ولماذا نحاول قياس الشمس بترمومتر عادى ؟

ولله المثل الأعلى .

الإيمان بالخالق فطرة فى النفوس

الإيمان بوجود خالق الكون والإنسان شعور فطرى لدى الإنسان، وإحساس صادق يملأ الكيان والوجدان: (فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ). وأكثر ما تظهر هذه الفطرة ويتجلى هذا الشعور والإحساس فى ساعات الشدة والخطر، حينما ينقطع الرجاء من المخلوق. ويتعلق الأمل بالخالق (وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلۡبَحۡرِ ضَلَّ مَن تَدۡعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ أَعۡرَضۡتُمۡۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ كَفُورًا) [الإسراء: ٦٧].

سأل رجل جعفر الصادق عن وجود الله؟

فأجابه الخليفة بقوله: ألم تركب البحر؟

قال: بلى، قال: فهل هاجت بك الريح عاصفة؟

قال: نعم. قال: وانقطع أملك حينئذ من الملاحين ووسائل النجاة؟

قال: نعم، قال: فهل خطر ببالك وانقدح فى ذهنك أن هناك من يستطيع أن ينقذك إن شاء؟

قال: نعم، قال: فذلك هو الله رب العالمين.

وكان الإمام أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ سيفاً قاطعاً على الملحدين، فقد دعاه يوماً أحدهم ليجادله فى وجود الله، واتفقا على موعد وحضر الناس.. وحضر الخصم فى الموعد المحدد، لكن أبا حنيفة تأخر كثيراً.. وانتظر الناس طويلاً..

وظنوا أن الإمام قد هرب من حلبة النقاش وانسحب... وإذا بالإمام يحضر، فسأله الخصم عن سبب التأخير؟

فرد أبو حنيفة بقوله: أردت عبور النهر فلم أجد مركباً، فانتظرت حتى جاءت أشجار، فنُشِرَتْ لوحدها ثم صارت بنفسها ألواحاً، ثم تجمعت الألواح، فصارت مركباً، فركبتها، فعبَرتْ بى نهر دجلة!! فتعجب الناس من هذا الجواب.

وقال الخصم: أجئتمونى بعاقل أناقشه أم مجنون يهرف بما لا يعرف؟!.

هل يتصور أحد أن يفعل الشجر ذلك بنفسه.. وأن تتحول الأشجار إلى ألواح ثم إلى سفينة دون صانع لها؟

فقال الإمام: أنت تستكثر على سفينة واحدة أن تُصنَع دون صانع؟

فكيف قبلتَ أن تقول إن هذا العالم كله أرضه وسماءه إنسانه وحيوانه، بحاره وأنهاره، صنع بدون صانع، ووجد من غير موجد؟!

فبهت الخصم.. وتيقظ شعوره وانجلت فطرته.. وأعلن إيمانه، وآمن معه خلق كثير!.

وقيل لطبيب: بم عرفت ربك؟

فقال: عرفته بنحلة بأحد طرفيها تعسل وبالآخر تلسع، والعسل مقلوب اللسع.

وسئل أعرابى عن الدليل على وجود الله؟

فقال: البعرة تدل على البعير، والروث يدل على الحمير، وآثار الأقدام تدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج أما يدل ذلك على العليم الخبير؟!



هذا الكون آية على وجود الله

الطبيعة تؤكد وجود الخالق:

إن وجود الله حقيقة لا شك في أمرها، ولا مجال لإنكارها، وكل ما في الكون شاهد على هذا الوجود الإلهى، وموارد الطبيعة وعناصرها تؤكد أن لها خالقاً ومدبراً.

فالعالم العلوى، وما فيه من شموس وأقمار ونجوم وكواكب وسموات، والعالم الأرضى وما فيه من إنسان وحيوان ونبات وجماد، ما هو إلا آية وجود الله، ومظهر تفرده بالخلق، ولا يتصور العقل أن توجد هذه الأشياء بدون موجد، كما لا يتصور أن توجد الصنعة بدون صانع.

قال جل شأنه: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ﴾[الروم: ٢٢].

فإذا سئلت عن وجوده تعالى ووحدانيته فقل للسائل: ومتى غاب سبحانه حتى تسأل عن وجوده

قيل للإمام علي ﷺ: متى كان الله؟

فقال كرم الله وجهه: ومتى لم يكن؟!

سبحانه! واحد بلا عدد، ودائم بلا أمد، وقائم بلا عمد، لا ينقصه نائل، ولا يشغله سائل.

وقيل للعارفة بالله (رابعة) ما الدليل على وجود الله؟

فقالت: ومتى غاب سبحانه حتى تسألونى عن وجوده؟

آمن به المؤمن ولم ير ذاته، وجحده الجاحد ووجوده فى ملكه دليل على وجود الله.

وقيل للإمام علي ﷺ: هل رأيت ربك يا إمام؟

فقال: وكيف أعبد ما لا أرى؟

قالوا: فكيف رأيته؟

قال: إن كانت العيون لا تراه بمشاهدة العيان، فإن القلوب تراه بحقيقة الإيمان، سبحانه لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، فوق كل شيء، وليس تحته شيء، وهو فى كل شيء، لا كشيء فى شيء، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

إن العلم بوجود الله ووحدانيته، أمر مركوز فى طباع المخلوقات، متأصل فى نشأة الكائنات، لا يجادل فى ذلك إلا مكابر عنيد أو جاحد كنود.

(إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ) [الجاثية: ٣-٦].

أليست تلك الآيات المثبوتة فى الأكوان، وفى الأنفس والآفاق، ناطقة بأن لهذا الكون خالقاً قادراً عالماً مريداً، مخالفاً للحوادث، قائماً بذاته، قديماً لا أولوية لوجوده، باقياً لا آخر لوجوده، فهو الأول فلا شيء قبله، والآخر فلا شيء بعده، والظاهر فلا شيء فوقه، والباطن فلا شيء دونه.

سل الواحة الخضراء والماء جارياً
وهذى الصحارى والجبال الرواسيا

سل الروض مزداناً سل الزهور والندى
سل الليل والإصباح والطير شادياً

وسل هذه الأنسام والأرض والسـما

وسل كل شيء تسمع الحمد ساريا

فلو جَنّ هذا الليل وامتد سر مـدداً

فمن غَير ربى يرجع الصبح ثانيا

ولو غاض هذا الماء فى القاع هل لكم

سوى الله يجريه كما شاء راويـا

ولو هذي الريح ثارت وأعصرت

أفي كونكم من يمسك الريح ناهيا

ألا أيها البحاث ما بال بحثكم

توقف مشدوها لدى الكون واهيا

سئل الإمام مالك ﷺ عن قول الله تعالى (ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ)

فقال فى ذلك كلمات تنقش بماء الذهب على صفحات القلوب.

قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، ومن الله الرسالة، وعلى الرسول البلاغ، فإنه تعالى كان ولا مكان، وهو على ما كان قبل خلق المكان، لم يتغير عما كان.

فتلك كلمات تجعل كل مؤمن يزداد يقينا فى عظمة الله وجلاله، فإنه سبحانه - تقدست عن الشريك ذاته، وتنزهت عن مشابهة الأغيار صفاته.

بالبر معروف، وبالإحسان موصوف، معروف بلا غاية، وموصوف بلا نهاية، علا فقهر، وملك فقدر، وبطن فخبر، واحد لا من قلة، وموجود لا من علة، لا تدركه الأبصار، ولا تحويه الأقطار، ولا يؤثر فيه الليل والنهار، وهو الواحد القهار... أحاط علمه بكل شيء، فعلم ما كان وما يكون، وعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون، لا يسأل عنه بأين هو، لأنه خالق المكان، ولا يسأل عنه بمتى كان، لأنه خالق الزمان وكل ما خطر ببالك فالله بخلاف ذلك، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[1].

---

١) انظر: منطق الحق المبين، والبطولة فى ظل العقيدة للشيخ كشك.

□ دلالة المخلوقات على وجود الخالق

أول ما يجب على المكلف: معرفة الله خالقه عن طريق النظر والاستدلال بمخلوقاته من إنسان وحيوان وطير ونبات وأزهار...

فلو فكر الإنسان فى نفسه، وفى تكوين بدنه وروحه، وأجزائه وأعضائه، وأعظمه ومفاصله، وأمعائه وأحشائه، ومشاعره وحواسه، يتكامل بمجموعها وجوده الإنسانى على أحسن تقويم، وأبدع تنظيم، لأدرك سر الخالق فيه، وإبداعه فى صنعه.

قال تعالى: (وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ) [الذاريات: ٢١].

ولو فكر الإنسان فى الحيوانات وأشكالها، والطيور وأصنافها، والنباتات وأنواعها، والزهرات وتناسق أجزائها، وائتلاف ألوانها، وكلها ظهرت بحلل الإبداع، وبرزت بجميل الإحكام، فغدا كل صنف منها ناطقاً بغير لسان، معبراً بغير جنان، أنه أثر من آثار قدرة الله، ومظهر من مظاهر حكمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ لأمَنَ بخالقها ومبدعها.

إن وجود الله الخالق العظيم، تدل عليه تنظيمات فى العوالم لا نهاية لها ولا حصر، ويدل على قدرته وعلمه ومشيئته إبداعٌ فى تكوينها، وتناسق فى وحداتها، وترابط فى أنواعها.. قال تعالى:

- (ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ)

[آل عمران: ١٩١]

-(أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلطَّيۡرِ فَوۡقَهُمۡ صَٰٓفَّٰتٖ وَيَقۡبِضۡنَۚ مَا يُمۡسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحۡمَٰنُۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيۡءِۭ بَصِيرٌ) [الملك: ١٩].

دلالة التجارب على الخالق:

إذا كان النظر العقلى فى الكون وأسراره، يهدى إلى البارى جل شأنه، وإذا كان الشعور الفطرى، شعوراً أصيلاً فى النفس الإنسانية، يستوى فيه العالم والجاهل، والحضرى والبدوى، والرجال والنساء، والأولون والآخرون، فإن ثمة دليلا آخر مأخوذاً من واقع الإنسان وتجاربه.

فكم دعا الإنسان ربه فأجاب دعاءه، وكم ناداه فلبى نداءه، وكم سأله فأعطاه، وكم توكل عليه فكفاه، وكم من مرض شفاه منه وعافاه، وكم من ألم خففه عنه، وكم من رزق ساقه إليه، وكم من كربة فرجها، وكم من غمة كشفها.

إن تجارب الإنسان فى الحياة تأخذ بيده، وتوصله إلى الله مباشرة، لأنها تكشف له عن الحقيقة التى لم يستطع أن يلمسها بحواسه والتى تدبر الكون، وتسير وفق نظام محكم وقانون مطرد، وما من إنسان إلا وقد وقع له فى حياته من التجارب ما عرفه بالله، وهداه إليه، وأوقفه عليه، فكثيراً ما يفقد الإنسان جميع الأسباب المادية التى تجلب الخير له، أو تدفع الشر عنه، فإذا توجه بقلبه إلى رب كل شيء ومليكه، تحقق له من الخير ما يصبو إليه، واندفع عنه من الشر ما يخاف منه، دون سبب ظاهر، أو تعليل معقول. **فبماذا تفسر هذه الظواهر؟**

وهل لها تفسير سوى أن من ورائها رب الأرباب ومسبب الأسباب.

اللَّه المنعم على خلقه

والشعور بالخالق أمر فطرى وجدانى فى الإنسان، فهو يستشعر من أعماق نفسه بأن لهذا الكون الواسع رباً عظيماً، وخالقاً مدبراً هو مصدر الخير والنعمة، والتوفيق والرحمة، الله الذي أنزل الكتاب المكنون، وأرسل السحاب الهتون، وأرسل رطب الثمار من يابس الغصون، وخلق الإنسان من صلصال من حمأ مسنون، وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون..

تكونت بقدرته الأشياء، وتوالت برحمته الآلاء، وانشقت بحكمته الأرض والسماء، وكتب بمشيئته السعادة والهناء، فيرحم من عباده من يشاء، وإليه تقلبون.

أنشأ بحكمته أصناف المبتدعات، وقدر الأشياء من ماضٍ وآت.. وغفر بالمتاب سائر الخطيئات (وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ)[الشورى:٢٥].

مبدع الدهور بالأحداث، ومصور الذكور والإناث، وباعث من في القبور فينهضون بالانبعاث، (وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ) [يس:٥١].

وجعل الشمس سراجاً، وأنزل من المعصرات ماء ثجاجاً، ولو شاء لجعله أجاجاً فلولا تشكرون.

الكريم الشكور، الرحيم الغفور، المنزه في أقضيته عن أن يظلم أو يجور.. (ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ) [الأنعام:١].

مالك الأشياء بالطول والعرض. وقبل من عباده السنن والفرض، وإليه المآب والعرض، (وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ).

[البقرة:١١٧]

أتقن خلق الإنسان وأبدع، وركب فيه قوى حركاته وأودع،

(وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفۡسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسۡتَقَرٌّ وَمُسۡتَوۡدَعٌ قَدۡ فَصَّلۡنَا ٱلۡأَيَٰتِ لِقَوۡمٍ يَفۡقَهُونَ) [الأنعام:٩٨].

أرسل من المعصرات الماء إلى الأرض وأنزل، وأسبغ بفضله الآلاء وحوّل، وقضى على خلقه ما شاء وأجزل (لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ). [الأنبياء:٢٣]

أتقن صنعة خلق العالم وأحكم، وجاد عليهم بفائض رزقه وأنعم، ويدرك كنه السر المكنون المبهم .. (لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ) [النحل:٢٣].

رب المشرقين ورب المغربين، ومنور الكون بالمنيرين .. (وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [الذاريات:٤٩]

أفاض على أوليائه من جزيل نعمائه فضلاً ونوالاً، وأعد لأعدائه من عذابه وبالاً ونكالاً، وحجبهم عن إدراكه فلا يتوهمون له شبيهاً ولا مثالاً، (سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ) [الأنعام:١٠٠].

ليس كمثله شيء ، ولا لنشر فضله طى، ولا يعترى المهتدى إلى سبيله غــــى .. (يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَيُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ)[الروم:١٩].

حكمة البارى في خلقه

له الخلق والأمر , وله الملك والحمد , وله الدنيا والآخرة , وله النعمة وله الفضل, وله الثناء الحسن ، شملت قدرته كل شيء ، ووسعت رحمته كل شيء، وغمرت نعمته كل حي: (يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ) [الرحمن/ ٢٩].

يدبر أمر الممالك, فيأمر وينهي , ويخلق ويرزق , ويميت ويحيى , ويعز ويذل, ويقلب الليل والنهار , ويداول الأيام بين الناس ويقلب الدول , فيذهب بدولة ويأتي بأخرى , والرسل من الملائكة الكرام عليهم الصلاة والسلام، بين صاعد إليه بالأمر ونازل من عنده به , وأوامره ومراسيمه متعاقبة على تعاقب الآيات , نافذة بحسب إرادته , فما شاء كان كما شاء، في الوقت الذي يشاء, من غير تبديل ولا تغيير, يرفع أقواما ويضع آخرين.

هو الأول الذي ليس قبله شيء, والآخر الذي ليس بعده شيء , والظاهر الذي ليس فوقه شيء , والباطن الذي ليس دونه شيء .

تبارك وتعالى أحق من ذكر, وأحق من عبد, وأحق من حمد, وأول من شكر وأرأف من ملك, وأجود من سئل , وأعفى من قدر , وأكرم من قصد , وأعدل من انتقم , حلمه بعد علمه , وعفوه بعد قدرته .

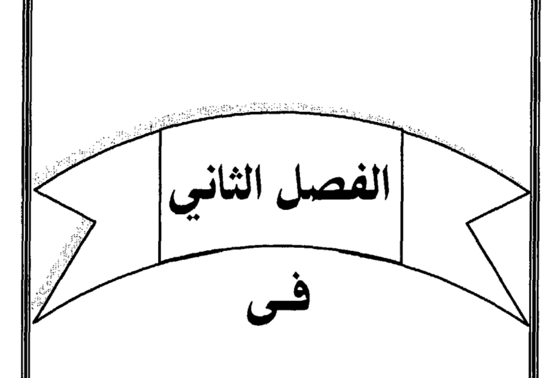
هو الملك فلا شريك له, والفرد فلا ندله, والغني فلا ظهير له, والصمد فلا ولد ولا صاحبة له, كل شيء هالك إلا وجهه, وكل ملك زائل إلا ملكه, وكل فضل منقطع إلا فضله, لن يطاع إلا بإذنه ورحمته. ولن يعصى إلا بعلمه وحكمته, يطاع فيشكر, ويعصى فيتجاوز ويغفر, كل نقمة منه عدل, وكل نعمة منه فضل....

أقرب شهيد, وأدنى حفيظ , حال دون النفوس, وأخذ بالنواصي والأقدام وسجل الآثار, وكتب الآجال , فالقلوب له مفضية, والسر عنده علانية: (إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ)[يس/ ٨٢]

وبعد: فهذه ذكرى وعبر, والذكرى تنفع المؤمنين(١).



١) حقائق وحديث عن الروح للشيخ كشك.والوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم.



الشريعة الإسلامية

خصائصها ـ مميزاتها ـ مقاصدها

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: الخصائص العامة للشريعة الإسلامية.
- المبحث الثاني: مميزات الشريعة الإسلامية عن الشرائع الوضعية.
- المبحث الثالث: مقاصد الشريعة فى رعاية مصالح العباد



الفصل الثاني

الشريعة الإسلامية

خصائصها ــ مميزاتها ــ مقاصدها

تمهيد - الشريعة الإسلامية - الغاية منها
شعائر الإسلام - الحكم التكليفى - عود إلى المزايا والخصائص

تمهيد:

إن كثيراً من شباب المسلمين - اليوم - يجهلون ما تنطوى عليه الشريعة الإسلامية، من خصائص ومزايا لا توجد فى غيرها من الشرائع الأخرى، لأنها من عند الله - سبحانه وتعالى - ويجهلون أن الإسلام بتشريعه الشامل هو نظام حكم، ودستور دولة، ومنهج حياة، ونظام أمة..

ويظنون - وبئس ما يظنون - أن الإسلام كباقى الديانات السابقة تنحصر مهمته فى المسجد، وتقتصر رسالته على تهذيب النفس وسمو الروح، وإصلاح الخُلق وكفى. لكن الفهم الصحيح للإسلام أنه الرسالة السماوية للبشرية، وهو خاتم الأديان السماوية جميعاً، جوهرها وروحها، تعالج شريعته (قانونه) كل مناحى الحياة للفرد والمجتمع، الدينى منها والسياسى والاقتصادى والحربى والاجتماعى والتربوى... فهو دين، ونظام حياة، وهو تشريع سماوى عام، كما أنه دين التيسير والتخفيف ورفع الحرج عن العباد...

ومن المفيد - هنا ــ أن نتناول بالشرح والتوضيح المدلول العلمى لمصطلحات (الدين) و(الملة) و(الشريعة الإسلامية) و(شعائر الإسلام) وبيان المقصود منها، لأن ذلك مقصودنا من هذا الكتاب: لبيان ما فيها من أسرار وأحكام.

الشريعة الإسلامية:

هى أحكام الدين الإسلامى وتعاليمه، التى جاء بها القرآن الكريم والسنة

المطهرة على لسان سيدنا محمد ﷺ سواء منها ما يتعلق بالعقيدة الدينية أو الأمور الدنيوية، وهى الشريعة الجامعة التى تكفل للناس الحياة الكريمة المهذبة؛ والتي تصل بهم إلى أعلى درجات الرقى والكمال.

أما الدين فهو اسم لجميع ما يعبد به الله ، وقد عرفه البيجوى بقوله: «الدين هو ما شرعه الله تعالى على لسان نبيه من الأحكام».

وسمى ديناً لأننا ندين له وننقاد، ويسمى أيضاً ملة من حيث أن المَلَك يمليه على الرسول وهو يمليه علينا، ويسمى شرعاً وشريعة من حيث أن الله شرعه لنا، أى بينه لنا على لسنان النبى ﷺ ، فالله هو الشارع حقيقة والنبى شارع مجازاً.

وبهذا يكون الدين والملة والشريعة بمعنى واحد.

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:١٦١].

وقال تعالى: ﴿.....وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ﴾[الحج:٧٨].

والشريعة ابتدأت مع نوح عليه السلام قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا..﴾[الشورى:١٢]. والحدود والأحكام ابتدأت من آدم وشيث وإدريس - عليهم السلام - واختتمت الشرائع والملل والمناهج والسنن بأكملها، وأتمها حسنا وجمالاً بسيدنا محمد ﷺ .

قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ..﴾[المائدة: ٣].

يقول الشيخ سيد سابق: لم يكن التشريع الدينى المحض - كأحكام العبادات يصدر إلا عن وحى الله لنبيه ﷺ ، من كتاب أو سنة، أو بما يقره عليه من اجتهاد، وكانت مهمة الرسول لا تتجاوز دائرة التبليغ والتبيين ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤].

أما التشريع الذى يتصل بالأمور الدنيوية: من قضائية، وسياسية، وحربية... إلخ فقد أمر الرسول ﷺ بالمشاورة فيها، وكان يرى الرأى فيرجع عنه لرأى أصحابه، كما وقع فى غزوتى بدر وأحد، وكان الصحابة - رضى الله عنهم - يرجعون إليه - ﷺ - يسألونه عما لا يعلمون ويستفسرونه فيما خفى عليهم من معانى النصوص، ويعرضون عليه ما فهموه منها، فكان أحياناً يقرهم على فهمهم، وأحياناً يبين لهم موضع الخطأ فيما ذهبوا إليه[1].

الغاية منها:

والغاية التى ترمى إليها رسالة الإسلام، تزكية النفس وتطهيرها، عن طريق المعرفة بالله وعبادته، وتدعيم الروابط الإنسانية، وإقامتها على أساس من الحب، والرحمة، والإخاء، والمساواة، والعدل، وبذلك يسعد الإنسان فى الدنيا والآخرة. قال الله سبحانه:

﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾[الجمعة: ٢]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[الأنبياء:١٠٧]

وفى الحديث الشريف: «أنا رحمة مهداة» [رواه الحاكم][2].

شعائر الإسلام

الشعائر: جمع شعيرة، وهى العلامة، وإذا أضيفت شعائر إلى الله تعالى فهى أعلام دينه التى شرعها الله، فكل ما كان من أعلام دين الله وطاعته تعالى، فهو من شعائر الله، فالصلاة والصوم والزكاة والحج ومناسكه ومواقيته، وإقامة الجمعة فى مجامع المسلمين فى البلدان والقرى من شعائر الله، ومن أعلام طاعته.

---

١) فقه السنة، السيد سابق، (١/١٠).

٢) الموسوعة الفقهية (٢٦/٩٧- ٩٨).

والأذان وإقامة المساجد والدفاع عن حمى المسلمين بالجهاد فى سبيل الله من شعائر الله.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ...﴾[البقرة:١٥٨]، فالآية تفيد أن السعى بين الصفا والمروة من جملة شعائر الله، أى أعلام دينه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ..﴾ [الحج:٣٦]

وأيضاً: ﴿....وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]، أى معالم دين الله وطاعته، وتعظيمها: أداؤها على الوجه المطلوب شرعاً[١].

الحكم التكليفى:

قال الفقهاء: يجب على المسلمين إقامة شعائر الإسلام الظاهرة، وإظهارها، فرضاً كانت الشعيرة أم غير فرض.

وعلى هذا: إن اتفق أهل بلد أو قرية من المسلمين على ترك شعيرة من شعائر الإسلام الظاهرة، قوتلوا حتى يرجعوا إليها ـ فرضاً كانت الشعيرة أو سنة مؤكدة ـ كالجماعة فى الصلاة المفروضة والأذان لها، وصلاة العيدين وغير ذلك من شعائر الإسلام الظاهرة؛ لأن ترك شعائر الله يدل على التهاون فى طاعة الله وعدم اتباع أوامره قال تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ...﴾[المائدة: ٢].

هذا، ومن شعائر الإسلام مناسك الحج كالإحرام والطواف والسعى والوقوف بعرفة والمزدلفة ومنى وذبح الهدى، وغير ذلك من أعمال الحج الظاهرة، ومن الشعائر فى غير الحج: الأذان والإقامة، وصلاة الجماعة والعيدين وغير ذلك، وسيأتى الكلام على كل منها، فى مكانه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى[٢].

---

١) المصدر السابق.

٢) المصدر السابق (٢٦/ ٩٨).

عود إلى المزايا والخصائص:

ونعود بك - أيها القارئ الكريم - إلى خصائص الشريعة الإسلامية ومميزاتها، فنقول من الأمور المسلم بها والمجمع عليها لدى علماء القانون والشريعة الإسلامية، أن لكل نظام من الأنظمة، سواء كان نظاماً مادياً أو نظاماً وضعياً، لابد له من مزايا يعرف بها، وخصائص تكشف عن حقيقته وطبيعته، فإذا كان الأمر كذلك، فما هى هذه المزايا والخصائص التى تتصف بها شريعتنا الإسلامية الغراء؟

أو ما هى طبيعة نظامها ومبادئها؟

هذا ما أريد الإجابة عليه بحول الله تعالى فى المباحث التالية:

المبحث الأول: الخصائص العامة للشريعة الإسلامية.

المبحث الثانى: مميزات الشريعة الإسلامية عن الشرائع الوضعية.

المبحث الثالث: مقاصد الشريعة فى رعاية صالح العباد.



المبحث الأول

فى

الخصائص العامة للشريعة الإسلامية

قال الله تعالى:

- ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ..﴾

{البقرة: ٢٨٦]

- ﴿.. يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ..﴾ {البقرة: ١٨٥]

- ﴿.. وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ..﴾

{ الحج : ٧٨ }

وعن أبي هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «أن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا، وقاربوا، وأبشروا » {البخارى}

وعن عبد الله بن عباس – رضى الله عنهما – قال: قال رسول الله ﷺ : «أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة»{النسائى}.

المبحث الأول
الخصائص العامة للشريعة الإسلامية

الأساس الأول: اليسر وعدم الحرج ـ الأساس الثاني: قلة التكاليف. الأساس الثالث: التدرج فى التشريع.
١ـ الدعوة إلى التوحيد ـ ٢ـ الخمر. ٣ـ الزنا. ٤ـ الجهاد. ٥ـ القبلة.

للشريعة الإسلامية خصائص متعددة ومتنوعة، لا توجد فى غيرها من الشرائع الأخرى، هذه الخصائص تجعلها صالحه للناس عامة فى كل زمان ومكان، بما قامت عليه من أسس قوية ومرنة، فقد قام التشريع الإسلامي على أسس ثلاثة هى:

ـ اليسر وعدم الحرج.
ـ قلة التكاليف.
ـ التدرج فى التشريع.

الأساس الأول: اليسر وعدم الحرج:

الحرج فى لغة العرب الضيق والشدة، وليس فى الشريعة الإسلامية مشقة زائدة تضيق بها الصدور، وتؤذى الإنسان فى جسمه أو ماله، بل الشريعة الإسلامية كلها تيسير على الناس، يشهد لذلك العقل والواقع، وتعاليم الشريعة الإسلامية ذاتها تسجل ذلك فى نصوص واضحة من القرآن والسنة، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى:

- ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ....﴾ [البقرة: ٢٨٦].

- ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ...﴾ [البقرة: ١٨٥].

- ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

ومن السنة يقول الرسول ﷺ: «إنى أرسلت بحنيفية سمحة» [رواه أحمد]

وقال لأبى موسى الأشعرى ومعاذ بن جبل ـ رضى الله تعالى عنهما ـ حين أرسلهما إلى اليمن «يسرا ولا تعسراً وبشرا ولا تنفرا» [رواه البخارى].

ولا نعنى بعدم الحرج فى الشريعة انتفاء أصل المشقة، فإن المشقة نوعان:

١ـ مشقة معتادة لا تضيق بها الصدور، ويمكن تحملها، ولا تعتبر في العرف السليم مشقة، فمثل هذه لا يقصد الشارع إلى رفعها، فإن كل عمل في الحياة لا يخلو عن مشقة، حتى الضروريات التي لا غنى لأحد عنها من الأكل والشرب ونحوها، وهذه لا مانع من وقوعها في التكاليف الشرعية، إذ أن التكليف طلب ما فيه كلفه.

٢ـ مشقة زائدة تضيق بها الصدور وتؤثر على المرء في جسمه أو ماله وتؤدى به إلى الانقطاع عن كثير من الأعمال النافعة، فهذه هي التي تفضل الله على عباده ورفعها عنهم، تسهيلا لهم وتيسيراً عليهم، ويشهد لذلك كل النصوص السابقة.

* وإنك إذا تتبعت أحكام الشريعة الإسلامية وجدت مظاهر رفع الحرج جلية واضحة، ووجدت أن جميع التكاليف في ابتدائها ودوامها قد روعي فيها التخفيف والتيسير على العباد.

* فقد أوجب الله الصلاة على المكلف في اليوم خمس مرات، وأوجب عليه أن يؤديها من قيام. وهذا تكليف يسير لا حرج فيه، ومع ذلك فقد رخص له أن يؤديها من قعود، أو كما قدر إذا لم يستطع القيام، والمسافر يقصر الصلاة، فيصلى الصلاة ذات أربع ركعات اثنين.

* وكذلك الصيام فرضه الله شهراً في السنة، فالمشقة فيه لا تصل إلى درجة العسر والحرج، ومع ذلك فقد أباح له الفطر في حالات تعظم فيها المشقة، فأباح الفطر للمسافر، والمريض، والحامل، والمرضع.

* وقد حرم الميتة، لكن أباحها عند المخمصة.

* وشرع التيمم عند فقد الماء، والقصر في السفر، وشرع الكفارات لتمحو آثار الذنوب، إلى غير ذلك مما يدل على مراعاة السهولة ورفع الحرج، في التشريع حتى لا تكلّ همم الناس عن أداء ما أوجبه عليهم، وتضعف عزائمهم إزاء ما شرعه الله لمصالحهم.

أما مظاهر رفع الحرج فهى:

١ـ إسقاط العبادة فى حالة قيام العذر كالحج عند عدم الأمن مثلاً.
٢ـ النقص من المفروض: كالقصر فى السفر.
٣ـ الإبدال: كإبدال التيمم من الوضوء.
٤ـ التقديم: كالجمع بعرفات.
٥ـ التأخير: كالجمع بمزدلفة.
٦ـ التغيير: كتغيير نظام الصلاة فى وقت الخوف.
٧ـ الترخيص: كأكل الميتة عند المخمصة، وشرب الخمر لإزالة الغصة

وعموماً: هذا اللون من التخفيف كثير فى التشريع الإسلامى، بل شمل جميع التكاليف الشرعية، ولهذا كان من أسس هذا الدين هذه القاعدة الفقهية (المشقة تجلب التيسير) وكان من سنة الرسول ﷺ أنه ما خُيّر بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثماً.

الأساس الثانى: قلة التكاليف:

وكنتيجة طبيعية لما قدمناه من أن الشريعة الإسلامية لا حرج فيها كانت تكاليفها قليلة، فلم تثقل كواهل أتباعها بكثرة التكاليف لا أمراً ولا نهياً.. بل كانت وسطاً، فلا إعنات ولا إرهاق، بل كانت التكاليف فيها محدودة ليسهل العلم والعمل بها، لذا كان من المكروه غير المستحسن فى نظر الشريعة، أن يبحث المسلمون فى أمور تركها المشرع حتى لا يكون ذلك سبباً مؤدياً إلى إرهاق الناس وإعناتهم.

يقول القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٠١﴾ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٌ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾

[المائدة، ١٠١، ١٠٢]

فأنت ترى أن الله تعالى ينهانا عن التعمق فى المسألة والتشدد فيها، لئلا يكون ذلك سبباً فى فرض أحكام لم تكن مفروضة من قبل فنعجز عن الامتثال لكثرة الفرائض، فنهلك مع الهالكين. فهذه الآية تنادى بأن الله قد راعى قلة التكاليف حتى يسهل علينا الامتثال وحتى لا نقع فى العنت والمشقة.

والأدلة من السنة: عن أبى هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال: «إن الله كتب عليكم الحج، فحجوا».

فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً.

ثم قال ﷺ: «لو قلت نعم. لوجبت ولما استطعتم».

ثم قال: «ذرونى ما تركتكم، فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» [رواه الشيخان].

ويدل على هذا أيضاً حديث: «إن أعظم المسلمين فى المسلمين جرماً من سأل عن شيء لم يحرم على المسلمين، فحرم عليهم من أجل مسألته»[رواه مسلم]

وقوله عليه الصلاة والسلام: «إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها، وحدّ حدوداً فلا تعتدوها، وحرم أشياء فلا تنتهكوها، وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها»[رواه الدارقطنى].

هذا، ولو تتبعنا التكاليف الشرعية لوجدناها قليلة بالنسبة للتكاليف السماوية السابقة، كما أن العبادات كلها من صلاة وزكاة.. محدودة يسهل العلم والعمل بها فى وقت قصير.

الأساس الثالث: التدرج فى التشريع:

جاء الإسلام والعرب فى إباحة واسعة، يكرهون كل ما يقيد حريتهم، ويحد من شهواتهم، وقد تمكنت من نفوسهم عادات كثيرة وغرائز متنوعة،

لا يستطيعون التحول عنها دفعة واحدة، فاقتضت الحكمة الإلهية ألا يفاجئوا بالأحكام جملة واحدة، فتثقل بها كواهلهم وتنفر منها نفوسهم، ولكن تألفهم بالتدرج لئلا تنفر نفوسهم من الامتثال والانقياد.

وعلى هذا وردت الأحكام التكليفية شيئاً فشيئاً، ليكون الأول بمثابة الإعداد للثانى، وبهذا سهل عليهم الامتثال، وكان أوقع فى نفوسهم وأقرب إلى إسلام قيادهم، وكان ذلك من ضمن حكمة نزول القرآن الكريم منجماً على حسب الأحوال والمناسبات.

وهذه بعض أمثلة لتشريعات جاءت فى الإسلام بناء على قاعدة التدرج فى التشريع:

١ـ الدعوة إلى التوحيد:

أخذت الدعوة إلى التوحيد أطواراً متعددة على النحو التالى:

- ابتدأت الدعوة أولاً سراً، فكان ﷺ يدعو من يثق به من أهله ومن أصحابه، ومكث كذلك ثلاث سنوات يدعو مستخفياً.

ثم أمر بالجهر بالدعوة، ونزل عليه قوله تعالى: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[الحجر: ٩٤].

- ثم أمره الله أن يدعو عشيرته الأقربين ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]
- ثم إنذار قومه من أهل مكة وما حولها: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا... ﴾[الشورى: ٧].
- ثم أمر أن ينذر العرب خاصة: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [السجدة: ٣]
- ثم أمر أن يدعو الناس كافة: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[سبأ: ٢٨].

وكان فى كل مرتبة من مراتب الدعوة يدخل أناس فى الدين فيتكاثرون.

٢- الخمر:

أ - سئل النبى ﷺ عن الخمر والميسر وهما من العادات التى تمكنت منهم واستحكمت فيهم، بحيث يشق عليهم الانتهاء عنهما دفعة واحدة، فاقتضت حكمته تعالى أن تشرع الأحكام الخاصة بذلك بالتدريج فلم يصرح بالحرمة ابتداء، بل أجابهم عن السؤال بقوله تعالى:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾[البقرة: ٢١٩]

فليس فى النص الكريم النهى الصريح عنهما، وإن كان فيه لفقيه النفس المتمكن من سر التشريع العلم بهذا النهى، لأن الآية بينت أن إثمهما أكبر من نفعهما، وما كثر إثمه يحرم فعله، إذ العبرة فى الحل والحرمة بغلبة المصلحة أو المفسدة، لأنه لا يوجد فى الأشياء ما هو شر محض ولا ما هو خير محض.

ب - ثم أكد الله تعالى ما فهم من الآية السابقة من غلبة الإثم بالنهى عن الصلاة فى حال السكر، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ... ﴾[النساء: ٤٣].

ج - ثم ثبت الحكم فيما سألوا عنه، وصرّح بالنهى عن شرب الخمر نهياً عاماً مؤكداً، فقال تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]،

ولهذا ورد أن سيدنا عمر قال بعد نزول كل من الآيتين الأوليين: اللهم بين لنا فى الخمر بياناً شافياً، ثم قال بعد نزول الآية الأخيرة: انتهينا... انتهينا.

٣ـ الزنا:

كانت عقوبة الزنا فى صدر الإسلام، لا تعدو الحبس فى البيوت والإيذاء بالقول: ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةً مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ١٥] ثم جعلها الله بعد ذلك الرجم للمحصن، والجلد للبكر، أما الرجم فقد ثبت بالسنة، وأما الجلد فبقوله تعالى: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجۡلِدُواْ كُلَّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا مِاْئَةَ جَلۡدَةٖۖ﴾[النور: ٢].

٤ـ الجهاد:

لما كان المسلمون فى بدء الإسلام فى قلة عدد، وضعف شوكة، لا يقوون على مناهضة المشركين وقتالهم اقتضت المصلحة أن يأمروا بالعفو والصبر على الأعداء، وترك مقاتلتهم، قال تعالى:

-﴿ٱتَّبِعۡ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ١٠٦].

- (خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾[الأعراف:١٩٩]

- (وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأٓتِيَةٞۖ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ) [الحجر: ٨٥].

فلما اشتد ساعد المسلمين، ودخل الناس فى دين الله أفواجاً، أذن لهم فى القتال ليدفعوا عن أنفسهم، ويدركوا لذة النصر والظفر:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمۡ ظُلِمُواْۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصۡرِهِمۡ لَقَدِيرٌ﴾[الحج: ٣٩].

ولما عرفوا فائدة القتال وأدركوا حسن عاقبته أمرهم به أمراً، وفرضه عليهم حتماً، قال تعالى:

- ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ﴾[البقرة: ١٩٠، ١٩١].

٥- القِبلة:

لما هاجر النبى ﷺ إلى المدينة لم يشأ الله له أن يفجأ أهل الكتاب بخلاف ما عهدوه من أنبياء بنى إسرائيل، من اتجاههم فى الصلاة إلى بيت المقدس، فشرع له استقبال هذا البيت؛ ليستميلهم ويتألف قلوبهم إلى الإسلام، ويبين لهم أنه ليس بدعاً من الرسل ولا مخالفاً لهم، بل هو مصدق لما جاءوا به وداع بدعوتهم، وهاد إلى طريقتهم، حتى يستقر الإيمان فى قلوبهم، وحتى يكونوا مستعدين لكل ما يأتى به فى المستقبل فلا ينزعجوا إذا حولت القبلة عن بيت المقدس إلى المسجد الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأمناً، قال تعالى : ﴿وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣ قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ...﴾ [البقرة/ ١٤٣/ ١٤٤][1].



---

١) انظر تاريخ الفقه الإسلامى، محمد على السايس، صـ٣٠، ٣٤.

المبحث الثاني

فى

مميزات الشريعة الإسلامية عن الشرائع الوضعية

قال الله تعالى:

- ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا..﴾{البقرة:١٤٣}

- ﴿..وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾{القصص:٧٧]

قال رسول الله ﷺ:

* «إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه، إلا أن الله قد فرض فرائض، وسن سنناً، وحدّ حدودًا، وأحلّ حلالاً، وحرّم حراما، وشرع الدين فجعله سهلاً سمحًا واسعًا، ولم يجعله ضيقًا»{رواه الطبرانى فى الكبير}

* «إن الله رفيق، يحب الرفق فى الأمر كله» {الشيخان}

المبحث الثانى
مميزات الشريعة الإسلامية عن الشرائع الوضعية

١ـ الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان. ٢ـ الشريعة الإسلامية كفيلة بسعادة العالم إلى يوم القيامة. ٣ـ ربانية من عند الله تعالى. ٤ـ الشمول. ٥ـ التوازن بين المادة والروح. ٦ـ العالمية. ٧ـ مكملة وخاتمة. ٨ـ العدل المطلق. ٩ـ الوسطية. ١٠ـ التوازن بين مصلحتى الفرد والمجتمع ـ الفرق بين التشريع السماوى والوضعى.

١ـ الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان:

لما كانت رسالة محمد ﷺ خاتمة الرسالات، وسينقطع الوحى بعد موته عليه السلام، من أجل هذا دعت الحاجة إلى شريعة جامعة كاملة، تصلح لكل زمان ومكان، لتساير الأزمنة المختلفة، وتلاحق الأحداث المستجدة، فكانت تلك الشريعة الإسلامية العالمية (رحمة للعالمين) لتحقيق هذا المعنى.

فلا غرو أن جاءت الشريعة الإسلامية بتشريع محكم الأساس، وطيد البنيان، كامل النظام، رائع المظهر، سامى الأغراض، وافياً بحاجة الأفراد والجماعات، عادلاً من غير إفراط، وسهلاً بلا تفريط، أبدياً صالحاً لكل زمان ومكان، محبباً إلى النفوس، كاشفاً للناس عن نواحى الخير، وداعياً إلى سعادة الدارين.

ومن أكبر أسباب صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان، أن نصوصها قد اقتصرت على الأحكام التى لا تتغير بتغير الزمان والمكان، وتركت ما وراء ذلك لأولى الأمر فى الأمة يجتهدون فيه رأيهم، ويطبقون عليه ما يناسبهم من القواعد المقتبسة من النصوص المختلفة، كما أنها أتت بما لم يكن سبق فى سالف الشرائع الأخرى، من تعاليم وأحكام، **وبالجملة** فقد أحكمت قواعد هذه الشريعة، وأنشأت أحكامها، وأقيمت أسسها، وبين مجملها، وقيد مطلقها، ونسخ ما شاء الله أن ينسخ، وكملت أصولها فى زمن النبى ﷺ يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ...﴾ [المائدة/ ٣].

أبعد هذا أيقنت أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان؟[1].

٢ـ الشريعة الإسلامية كفيلة بسعادة العالم إلى يوم القيامة:

إن الشريعة الإسلامية نظمت شئون الدين والدنيا، فشرعت العبادات والمعاملات، ووضعت شروطاً وأركاناً للعبادات والمعاملات الصحيحة، ونهت عن الفاسدة تلافياً لضررها، فحرمت الربا والبيوع المنهى عنها والاحتكار، وأباح الله السلم للحاجة إليه وحث على القرض بدون ربح لتفريج ضائقة الناس، وشرع الشركة بشروط ذكرتها كتب الفقه ليستطيع ـ من لا خبرة له بالتجارة ـ تنمية ما له عن طريق شركائه.

كما عنى بالأسرة فأبان حقوق كل من الزوجين قبل الآخر، وجعل النكاح طريقاً مشروعاً للعفة وقضاء الشهوة وإنجاب الذرية الصالحة، وأحاطها بنصحه كى تظل رابطته قوية، وتدوم العشرة وتسود بين الأسر المتصاهرة المحبة والألفة.

وقضت فى الجنايات والحدود والأيْمان، ووضعت العقوبات التى لا تستقيم بعض النفوس إلا بها.

والدارسون لها قد كشفوا كنوزها وأظهروا فضلها، ووازنوا بينها وبين القوانين المستوردة، فاتضح أنها ليست أصلح من الشريعة الإسلامية ولا مساوية لها[2].

إن حقوق الإنسان مقررة فى الشريعة الإسلامية منذ أكثر من أربعة عشر قرناً، فهى تسوى بين الألوان والأجناس، وتحقق العدالة للجميع. لا فرق عندها بين أهل دين ودين. قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾ [المائدة/ ٨]، وروى أن رسول الله ﷺ كان ينصف أهل الذمة

---

١) التشريع الإسلامى، مصادره وأطواره، شعبان محمد إسماعيل.

٢) مدخل الفقه الإسلامى، نخبة من علماء الأزهر، صـ١١١.

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ [النساء/١٠٥].

إذن فلماذا لا نسترد اعتبارنا بالعودة إلى ديننا وعاداتنا؟

٣- ربانية من عند الله تعالى:

المقصود بالربانية أن أحكام هذه الشريعة وأنظمتها ومبادئها ليست من وضع بشر يحكمه القصور والعجز، ويتأثر بمؤثرات الزمان والمكان والمزاج والهوى. إنما شارعها صاحب الحق والأمر في هذا الكون الذى أحسن كل شيء خلقه، فالله سبحانه هو الخالق المبدع القادر، له أن يتصرف فى شئون خلقه كما يريد ويختار، وليس للإنسان إلا أن يمتثل ما اختاره الله له دون اعتراض أو تردد: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ﴾ [الأحزاب/ ٣٦].

ولأن الإنسان ضعيف عاجز عن أن يصل إلى مرتبة الكمال، ومهما نضج علمه وارتقت ثقافته، فهو يتأثر بالعاطفة والهوى ويتأثر بالعقيدة التى يعتنقها وبالنزعة التى يندفع إليها..

ولأضرب لك على ذلك بعض الأمثلة:

هذا الإنسان الذى كلف بأن يضع لأمة دستورها ماذا يصنع؟

- الإنسان الماركسى يصنع هذا الدستور بما يتلاءم مع الفكر الماركسى الشيوعى.
- والرأسمالى المتأثر بالفكر الرأسمالى حينما يريد أن يضع لأمة تشريعها، فإنه يضع هذا التشريع متفقاً مع الفكر الرأسمالى الغربى.
- وهذا الإنسان المتأثر بالنزعة الوجودية الإباحية، يضع القوانين للأمة بما يتفق مع هذه النزعة...

إلى غير ذلك من هذه المؤثرات والنزعات والأفكار والأهواء. والواقع الدولى، والصراع الاجتماعى، والتناقض الفكرى، الذى آلت إليه المجتمعات الإنسانية اليوم أكبر شاهد على ما نقول، وأعظم برهان على أن الإنسان يتأثر بالنزعة والبيئة والعقيدة.. وأن عقله مهما نبغ فهو قاصر، وأن علمه مهما اتسع فهو محدود، وأنه عاجز عن وضع التشريع الملائم، مهما بلغ من مرتبة النضج والكمال، وفوق كل ذى علم عليم.

لهذا كله نجد المؤمن الواعى المتبصر.. يندفع بكليته، وينطلق من ذاته إلى تطبيق المنهج الربانى، لاعتقاده أن كمال شخصيته، وبناء إنسانيته، هو اتباع من اختص بالكمال، والانقياد إلى من تنزه عن النقص، والاستسلام إلى من عرف بالعظمة والإبداع.. وهو الله سبحانه وتعالى.

من أجل هذه الربانية لم يكن للمسلم خيار فى قبول هذه الشريعة أو رفضها، لأن قبولها من مقتضيات الإيمان ومستلزمات الإسلام[1].

٤ ـ الشمول:

والمقصود بالشمول أن الشريعة الإسلامية اشتملت على نظم وأحكام وقوانين.. فى كل جانب من جوانب التكوين والبناء والإصلاح، وفى كل ناحية من نواحى المجتمع والحياة، سواء ما يتعلق بالعقائد والعبادات والأخلاق، أو ما يتعلق بالأمور العامة من مسائل مدنية أو جنائية، أو أحوال شخصية ونظم اجتماعية وعلاقات دولية، أو ما يتعلق بأسس الحكم، وقواعد الاقتصاد، وركائز المجتمع الفاضل.

ومما يدل على شمول الشريعة لكل أنظمة الحياة قوله تعالى:

ـ **فى القضايا المالية** يقول الله سبحانه وتعالى:

---

١) الإسلام شريعة الزمان والمكان، عبد الله ناصح علوان، صـ١٠ - ١٥.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ...﴾[البقرة/ ٢٨٢].

- وفى القضايا الدستورية: ﴿وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ...﴾[الشورى/ ٣٨].

- وفــى المســائل القضــائية : ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِ..﴾ [النساء/ ٥٨].

- وفــى العقوبــات الجنائيــة: ﴿..كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ﴾ [البقرة/ ١٧٨].

- وفى الأعداد الحربى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ..﴾ [الأنفال/ ٦٠]

إلى غير ذلك من القواعد والمبادئ المبينة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة، وما ذاك إلا تأكيد جازم على ظاهرة الشمولية التى انطوت عليها الشريعة الإسلامية؛ لترتشف الإنسانية من معينها الصافى، وتغترف الأجيال من بحرها الزاخر على مدى العصور والأيام(١).

٥- التوازن بين المادة والروح:

من عظمة التشريع الإسلامى أنه لا يباعد بين المادة والروح، ولا يفصل بين الدنيا والآخرة، بل ينظر إلى الحياة على أنها وحدة متكاملة بين حق الإنسان لربه، وحقه لنفسه، وحقه لغيره.

والإسلام بتشريعه المتكامل لا يقر الحرمان ولا الترهبن ولا العزلة الاجتماعية.. وفى الوقت نفسه لا يقر للإنسان أن ينهمك بكليته فى الحياة المادية، وينسى ربه والدار الآخرة، بل يهيب به أن يتوازن مع هذا وذاك، وأن يعطى حق الله وحق نفسه وحق الناس، دون أن يهمل حقاً على حق، أو يهمل واجباً على حساب واجب آخر.

---

١) المصدر السابق، صـ٢٠- ٢٢.

والنصوص من القرآن والسنة تدعو لذلك وتؤكده.

فمن القرآن الكريم قوله تعالى:

-﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة/ ١٠]

-﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْأَخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص/ ٧٧].

وفى السنة النبوية حرص ﷺ على تحقيق التوازن بين المادة والروح ومعالجة ظاهرة العزلة والانطوائية والتخلى عن الدنيا.

روى الشيخان عن أنس ﷺ أنه «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها، وقالوا: أين نحن من النبى ﷺ وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

قال أحدهم: أما أنا فأصلى الليل أبداً.

وقال الآخر: وأنا أصوم الدهر أبداً ولا أفطر.

وقال الآخر: وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً.

فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر، وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى»».

إن القصد والاعتدال أمر مطلوب حتى فى مجال العبادة التى بمقتضاها يتقرب الإنسان إلى الله تعالى، فلا إفراط ولا تفريط.

وإن ما نراه من بعض الناس عندما لا يراعون حق الزوجة والأولاد وحقوق العمل والكسب، وغير ذلك، فى الوقت الذى ينهمكون فيه بالعبادة من صلاة وصيام وغير ذلك يعد نوعاً من الغلو فى الدين الذى ينهى عنه الشرع الحكيم، وأوضح مثال على ذلك حديث عبد الله بن عمرو قال: دخل رسول الله ﷺ حجرتى، فقال: «ألم أخبر أنك تقوم الليل وتصوم النهار» قلت: بلى، قال: فلا تفعلن، نم وقم، وصم وأفطر، وإن لعينيك عليك حقاً، وإن

لجسدك عليك حقاً، وإن لزوجتك عليك حقاً، وإن لصديقك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وأن عسى أن يطول بك عمر، وأنه حسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثاً، فذلك صيام الدهر كله، وإن الحسنة بعشر أمثالها»[رواه الشيخان]

من هذه المواقف التى وقفها عليه الصلاة والسلام أعظم برهان وأقوى حجة، على أن الإسلام العظيم هو دين الفطرة، والتوازن والوسطية والاعتدال[1].

٦- العالمية:

هذه الشريعة فى كل أحكامها وأنظمتها ومبادئها.. ذات صبغة إنسانية، وخصيصة عالمية. فهى رحمة للعالمين، وهى هداية للناس كافة، وهى منهاج للبشرية عامة، فليست تشريعاً لجنس خاص من البشر، أو لفئة خاصة من الناس، بل هى للإنسان من حيث هو إنسان، بغض النظر عن لونه، أو جنسه، أو لغته أو أرضه، فلا عنصرية فى هذه الدعوة، ولا عصبية فى هذا التشريع، ولا طبقية فى الإسلام، وإنما الناس فيه سواء لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات/ ١٣].

وهذه العالمية للدعوة الإسلامية قد بينها الله عز وجل فى أكثر من آية:

-﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء/ ١٠٧].

-﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا....﴾[سبأ/ ٢٨].

-﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا...﴾ [الأعراف/ ١٥٨]

---

١) المصدر السابق، صـ٣٧-٤٢.

كما أن هذه العالمية أكدها عليه الصلاة والسلام فى أكثر من مناسبة:

ـ ففى الحديث الذى رواه الشيخان عنه ﷺ أنه قال: «...كان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعثت للناس عامة».

ـ ثبت فى السيرة أنه عليه الصلاة والسلام أرسل إلى ملوك الأرض فى عصره كالنجاشى وكسرى، وقيصر، والمقوقس كتباً يدعوهم فيها إلى الإسلام، فلو لم تكن دعوته ﷺ عالمية، لما أرسل إلى ملوك الأرض يدعوهم إلى الإسلام، ويأمرهم باعتناق هذا الدين.

وانطلاقاً من هذه التوجيهات الربانية الإسلامية، انطلق المسلمون فى أرجاء الأرض، وآفاق الدنيا يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله، ونداؤهم لكل من يقف عقبة فى طريق الدعوة. ابتعثنا الله لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام(١).

٧ـ مكملة وخاتمة:

ومن مزايا هذه الشريعة الإسلامية الغراء أنها جاءت مكملة للشرائع السابقة وخاتمة لها ومهيمنة عليها، وتوضيح ذلك كما يلى:

ـ تمتاز بأنها مكملة لأنها جمعت فى طياتها دعوات الأنبياء والرسل السابقين وزادت عليها بالتشريع الكامل الأبدى.

والقرآن الكريم قد وضح فى أكثر من آية، أن الله سبحانه شرع لأمة الإسلام من الدين ما وصى به الأنبياء والرسل من قبل، وأمرهم أن يؤمنوا بهم وكتبهم وما أنزل عليهم قال الله تعالى:

– ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ... ﴾ [الشورى/ ١٣]

---

١) المصدر السابق، صـ١٦-١٩.

-﴿قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾[آل عمران/ ٨٤].

والرسول عليه الصلاة والسلام قد بين في أكثر من مناسبة أنه بعث ليتمم مكارم الأخلاق، وأنه اللبنة التي ختم الله بها شرائع الرسل السابقين.

روى مسلم في صحيحة أنه عليه الصلاة والسلام قال:

«مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين».

ومن المعلوم أن رسالات الأنبياء جميعاً جاءت متفقة على الأسس التالية:

- متفقة على وحدانية الله وتنزيهه عن الشرك والشبيه والمماثلة.
- متفقة على الإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر.
- متفقة على تهذيب النفس الإنسانية وتحليها بمكارم الأخلاق.
- متفقة على عبادة الله عز وجل، وتحرير الإنسان من اتخاذ المخلوقين أرباباً من دون الله.
- متفقة على توطيد السلام والأمن والمحبة والرحمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين أبناء الشعوب والأمم.

وتمتاز بأنها خاتمة لكونها جمعت من المزايا والخصائص والمقومات ومرونة التشريع ومقتضيات التجدد والشمول.. ما يجعلها جديرة أن تكون شريعة البقاء، ورسا له الخلود.

ومما يدل على خلودها واكتمالها قوله تبارك وتعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ..﴾ [المائدة/ ٣].

ومما يدل على ختم الرسالات بها إلى يوم البعث والنشور قوله عز وجل: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب/ ٤٠]

٨- العدل المطلق:

يتمثل هذا المبدأ فى التوجيهات القرآنية التى تأمر بالعدل المطلق بين الناس، وتنهى عن الظلم حتى مع من نبغض ونعادى، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة/٨].

والحرص على العدل ونبذ الظلم، هو الذى جعل أهل بلاد الشام النصارى يرحبون بالمسلمين ويعلنون حبهم لهم، مع أنهم كانوا يُحكمون من أبناء دينهم الروم، ومن المعلوم لدى كل ذى فهم وبصيرة: أن هدف الشريعة الإسلامية الأساسى هو إقامة العدل المطلق بين الناس جميعاً، وتحقيق الرخاء بينهم وصيانة دمائهم وأعراضهم وأموالهم وعقولهم. كما صان دينهم وأخلاقهم فغايتها الوحيدة تحقيق مصالح العباد فى المعاش والمعاد..

وليس غاية الشريعة تحقيق مصلحة طبقة خاصة دون طبقة، ولا جنس دون جنس، ولا أمة دون أمة، وليست غايتها تحقيق المصلحة المادية مع إهمال الناحية الخلقية والروحية، وليست غايتها تحقيق المصلحة الدنيوية بقطع النظر عن المصالح الأخروية.. كما تفعل القوانين الأرضية، وليست غايتها تحقيق المصلحة الأخروية بغض النظر عن المصالح الدنيوية كما هو شأن بعض الديانات والنحل المغالية فى نزعتها الروحية.

وهذا تأكيد جازم على أن الشريعة الإسلامية نزلت لتحقق لبنى الإنسان الخير العام، والعدل المطلق.. فى دينهم ودنياهم وآخرتهم.

٩- الوسطية:

الشريعة الإسلامية شريعة وسطية، جاءت وسطا بين طرفي الإفراط والتفريط.

قال تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[البقرة / ١٤٣]

والتوسط في كل شيء محمود، وضده مذموم، وخير الأمور أواسطها.

- ففي مجال الإنفاق في سبيل الله ، دعا القرآن إلى التوسط والاعتدال : ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾[الإسراء/٢٩]، وأيضاً قوله تعالى ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾[الفرقان/ ٦٧].
- وفي مجال التشريع - بالنسبة للمرأة الحائض مثلا - نجد أن اليهود والمجوس كانوا يبالغون في التباعد عن المرأة حال حيضها ، فلم يؤاكلوها ، ولم يجالسوها على فراش ولم يساكنوها في بيت ، والنصارى كانوا يجامعوهن ، ولا يبالون بالحيض وتصرف كلا الطرفين (اليهود والنصارى) مذموم ، لأنه إفراط وتفريط فلما جاء الإسلام كان معتدلا ، وسلك طريقا وسطا بين طرفي الإفراط والتفريط، فأباح مؤاكلتها ومشاربتها ، لقول عائشة - رضي الله عنها - كنت أشرب وأنا حائض ، فأناوله النبي ﷺ فيضع فاه على موضع في فيشرب (رواه النسائي) ، ومنع المعاشرة الزوجية - الجماع فقط - بقوله تعالى :

﴿فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾ [البقرة / ٢٢٢]

- وفي مجال العبادة التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه ، سلك الإسلام طريقا وسطا ، ونهى عن التعمق والتشدد في الدين: (هلك المتنطعون) (رواه مسلم) والشريعة الإسلامية لحرصها على أن تكون العبادة فيها بعيدة عن المشقة المجهدة، كانت تتجه - دائما - إلى اليسر ، وكان ﷺ يحث على التيسير ويمنع التشدد، فقال: «بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا»(رواه الشيخان)

وقالت عائشة - رضي الله عنها - في وصف أعماله عليه السلام: «ما خير رسول الله ﷺ بين أمرين قط، إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما»(رواه الشيخان). هذا، وقد سبق ذكر الشواهد العديدة، والأمثلة المتنوعة، في مواضع مختلفة من هذا المبحث، فضلا عن أمثلة أخرى، سيأتي ذكرها في حينها - إن شاء الله - فلا داعي للتكرار منعا للإطالة والإسهاب.

١٠- التوازن بين مصلحتى الفرد والمجتمع:

وهذه ظاهرة فريدة فى التشريع الإسلامى ألا وهى وجود التناسق والانسجام بين حياة الفرد وحياة الجماعة.

فالتشريع الإسلامى يؤكد وجود الكيان الشخصى للفرد، ويعتبره مسئولاً أمام الله وأمام نفسه، وأمام المجتمع: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء/ ٣٦].

ثم هو بالتالى يضمن لك الحقوق السياسية.

كحق الحياة: ﴿وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾. [البقرة/ ١٧٩]

وحق الحرية: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾[البقرة/٢٥٦]

وحق التعليم: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر/٩]

وحق المساواة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات/١٣]

وحق التملك: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ﴾ [النور/٣٣].

وحق الكرامة: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ..﴾ [الحجرات/١١]

أما فيما يتعلق بحياة الجماعة، فالتشريع الإسلامى يغرس فى النفس الإنسانية شعورها بمسئولية الجماعة، ويأمر كل فرد فى المجتمع بمراعاة الصالح العام المشترك، ومما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة/ ٧١].

وقد مثل عليه الصلاة والسلام مسئولية الفرد تجاه المجتمع، ومسئولية المجتمع تجاه الفرد بمثال السفينة، ليؤكد لكل مسلم وظيفته الاجتماعية تجاه الشاذين والمنحرفين.. حتى تسلم للأمة عقيدتها وأخلاقها، ويتحقق لها فى الوجود كيانها وسيادتها وإليكم التشبيه الرائع الذى صوره وجسّده عليه الصلاة والسلام:

روى البخارى عن النعمان بن بشير ـ رضى الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال: «مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فصار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين فى أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم فقالوا: لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقاً ولم نؤذ من فوقنا، فإن تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعاً، وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعاً».

والعبادة فى الإسلام تربى المسلم على الاستشعار بالوظيفة الاجتماعية ومراعاة الصالح العام المشترك.

ـ فالصلاة حين تقام في جماعة خمس مرات من كل يوم تغرس الشعور الاجتماعي التعارفي في نفس الفرد.

ـ والزكاة فرض على كل من يملك نصاباً، وهى حق للجماعة.

ـ والصوم شعور اجتماعي نبيل، يدفع الصائم ليؤدى حق الفقير والمسكين واليتيم وابن السبيل.

ـ والحج تربية اجتماعية كريمة، تدفع الحجاج لكي يتعارفوا ويتعاونوا ويشهدوا منافع لهم.

والتربية الاجتماعية فى الإسلام وسيلة إيجابية فى مراعاة حقوق الآخرين. كمراعاة حق الوالدين، وحق الأرحام، وحق الجار، وحق الرفيق، وحق الكبير، ووسيلة عملية فى التزام الآداب العامة كآداب الطعام، وآداب السلام، وآداب المجلس وآداب الحديث، وآداب المزاح، وآداب التهنئة، وآداب التعزية...إلخ.

وصفوة القول:

أن الإسلام بتشريعه المتكامل، يقرر حقوق الفرد كما يقرر حقوق الجماعة ويقيم نوعاً من التناسق والتوازن والانسجام بين كل منهما وفى حالة التعارض وعدم التوافق، فإن الإسلام يقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد، وبناء على هذا يقول علماء الأصول: «يتحمل الضرر الخاص لدفع الضرر العام»[1].

الفرق بين التشريع السماوى والوضعى

الواقع أنه لا مقارنة بين التشريع الإلهى، وبين ما يضعه الناس لأنفسهم من قوانين وضعية يظهر نقصها وعدم وفائها بحاجات الناس من حين لآخر، وإنما هو من قبيل إظهار مكانة الإسلام على حد قوله تعالى:

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[سبأ/ ٢٤].

وأهم هذه الفروق:

١ـ أن التشريع السماوى جاء به رسول معصوم من عند الله تعالى وهو سبحانه، محيط بكل مادق وجل من شئون عباده، والعمل بتشريعه دين وطاعة له ثواب، ومخالفته معصية عليها عقاب.

والوضعى نظام دنيوى لا علاقة له بالطاعات ولا بالمعاصى.

٢ـ التشريع السماوى ينظم العلاقة بين الله والناس، علاقة دينية والتشريع الوضعى خاص بشئون الدنيا فقط.

٣ـ والسماوى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيشمل بيان الخير والحث عليه وبيان الشر والتنفير منه، وليس هذا فى الوضعى.

---

١) المصدر السابق، صـ٣٧، ٤٢.

٤ـ الشرائع السماوية أديان يتعبد بها، فامتثالها طاعة يثاب لأجلها، ومخالفتها معصية يعاقب عليها، فالأصل فى الجزاء فيها أخروى، أما القوانين الوضعية فالجزاء فيها دنيوى مادى، تقوم على تنفيذه السلطات التنفيذية والقضائية.

٥ـ التشريع السماوى شامل لأفعال القلوب والنيات والجوارح، أما الوضعى فالمؤاخذة فيه على الأعمال الخارجية المتصلة بالغير.

٦ـ العدالة فى السماوى مستمرة والخير دائم، لأنه من الغنى الحميد، أما الوضعى فليس فيه تلك الخصائص: لأنه من صنع البشر، وهم لا يعلمون الغيب.

٧ـ الوضعى قد تباح فيه بعض المحظورات التى تحرمها الشرائع السماوية. كالاتجار فى الخمور، وفتح دور اللهو، والتعامل بالربا، بزعم أن في ذلك مصلحة للعباد، والسماوى: الله واضعة، وهو أعلم بالخير وإن خفى على الناس[١].

ذلك مجمل الفروق فى وجوه الفرق بين التشريعين، ومنها يتبين لك أن للأهواء والرغبات وللعوامل المختلفة أثر كبير فى التشريع الوضعى، وإذا كانت الشريعة الإسلامية تمتاز بكل هذا. فهى شريعة تستحق البقاء والخلود، لأنها شريعة الله، وهى السبيل إلى تقدم البشر نحو العزة والرفعة والكمال وهى الطريق إلى الحضارة الصحيحة.

﴿قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَـٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَـٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[المائدة/ ١٥، ١٦]



١) مدخل الفقه الإسلامى، نخبة من علماء الأزهر.

المبحث الثالث

فى

مقاصد الشريعة

فى

رعاية مصالح العباد

قال الله تعالى:

* ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾{المائدة: ٦}

وقال رسول الله ﷺ :

* «رفع القلم عن ثلاث : عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يفيق »{ أبو داود }

* « إن الله تعالى فرض فرائض فلا تضيعوها ، - وسكت عن أشياء - رحمة بكم، غير نسيان - فلا تبحثوا عنها» {الدارقطنى}

المبحث الثالث
مقاصد الشريعة فى رعاية مصالح العباد

حكمة التشريع ـ تكاليف الشريعة، ترجع إلى حفظ مقاصدها فى الخلق. أولاً: الأمور الضرورية ـ ما الذى شرعة الإسلام للأمور الضرورية للناس ؟ ثانياً: الحاجيات ـ ما الذى شرعة الإسلام للأمور الحاجية للناس ؟ ثالثاً: التحسينات ـ ما الذى شرعه الإسلام للأمور التحسينية للناس ؟ ملاحظة في أساس تقسيم المصالح .

حكمة التشريع:

إن الجمهرة العظمى من علماء المسلمين، متفقون على أن أحكام الشريعة فى جملتها معللة، وأن لها مقاصد فى كل ما شرعته ، وأن هذه المقاصد والعلل والحكم، معقولة ومفهومة ـ جملة وتفصيلاً ـ إلا فى بعض الأحكام التعبدية المحضة، والتى كان من الحكمة المعقولة، ألا يعرف تفصيل ما وراءها من أسرار.

ولهذا أكد المحققون من علماء المسلمين : أن الله ـ سبحانه ـ ما شرع حكما إلا لمصلحة عباده، وأن هذه المصلحة إما جلب نفع لهم وإما دفع ضرر عنهم ، فالباعث على تشريع الحكم ـ أى حكم شرعى ـ هو جلب منفعة للناس ، أو دفع ضرر عنهم ، حتى العبادات نفسها روعيت فيها مصلحة المكلفين، ولهذا نجد فى كتاب الله تعالى صوراً متعددة لحكمة التشريع للعبادات الكبرى فى الإسلام.

* فى الوضوء حكمته: ﴿.. مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[المائدة / ٦].

* وفى الصلاة حكمتها: ﴿.. إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾[العنكبوت/ ٤٥].

* وفى الزكاة : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا.. ﴾[التوبة/ ١٠٣]

* وفى الصوم : ﴿.. كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾.. ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[البقرة/١٨٣]

* **وفى الحج :** ﴿.. لِّيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ..﴾[الحج/٢٨]

وفى غير العبادات، نرى صوراً متعددة لحكمة التشريع منها :

* **الخمر والميسر :** حتى لا تقع العداوة والبغضاء بين الناس بسبب الخمر والميســر: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾[المائدة / ٩١]

* **الريـــاح:** أنها مبشرة بالمطر: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾[الفرقان / ٤٨]

* **خلـق المـوت والحيـاة:** لابتلاء النـاس واختبـارهم: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ..﴾[الملك /٢]

* **تحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها .. كى لا يقطع النـاس أرحامهم.**

عن ابن عباس قـال: نهى رسول الله ﷺ أن يتزوج الرجل المرأة على العمة أو على الخالة، وقـال: «إنكم إن فعلتم ذلك ، قطعتم أرحـامكم»(رواه الطبرانى)

* **الدين:** ليس المقصود منه التضييق على الناس ، وتكليفهم بالمشـاق : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ..﴾[الحج/ ٧٨]

بل ليطهرهم وليتم نعمته عليهم ، قـال تعـالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ..﴾[المائدة / ٦]

وبـين العبـادات والمعـاملات، تظهـر حكمـة التشـريع واضـحة فـى هـذه الأمثلة:

* إباحة الفطر للمريض فى رمضان حكمته دفع المشقة عن المريض.

* استحقاق الشفعة للشريك أو الجار حكمته إزالة الضرر عن كل منهما.
* وإيجاب القصاص من القاتل، عمداً وعدواناً حكمته، حفظ حياة الناس.
* وإيجاب قطع يد السارق حكمته حفظ الأموال.
* وإقامة حد الزنا والقذف حكمته حماية الأعراض والمحافظة على الشرف.
* خلق الجن والإنس، حكمته فى قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[الذاريات/٥٦].

إلى غير ذلك من الأمثلة العديدة، التى يطول ذكرها ويصعب حصرها والغرض منها الاستدلال على أن الله سبحانه، ما شرع حكماً إلا لمصلحة عباده، وأن هذه المصلحة : إما جلب نفع لهم ، وإما دفع ضرر عنهم، وذلك سر من أسرار الشريعة ، وما يعقلها إلا العالمون.

تكاليف الشريعة
ترجع إلى حفظ مقاصدها فى الخلق

أكد المحققون من علماء الأمة : أن الشريعة إنما وضعت لإقامة مصالح العباد فى المعاش والمعاد ، أو فى العاجل والآجل ، بجلب النفع لهم ، ودفع الضرر عنهم ، كما ذكرنا سابقاً .

وهذه المصالح : إما ضرورية ، أو حاجية ، أو تحسينية ، فإذا توافرت لهم ضرورياتهم وحاجياتهم وتحسينياتهم ، فقد تحققت مصالحهم. قال الإمام الشاطبى: (تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها فى الخلق ، وهذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام:

أحدها: أن تكون ضرورية.

والثانى: أن تكون حاجية.

والثالث: أن تكون تحسينية.

والدليل على أن مصالح الناس لا تخرج عن هذه الثلاثة، هو الحس والمشاهدة؛ لأن كل فرد أو مجتمع تتكون مصلحتهم من أمور ضرورية

وأمور حاجية وأمور كمالية، مثلاً: **الضرورى** لسكنى الإنسان: مأوى يقيه حر الشمس وزمهرير البرد، ولو مغارة في جبل، **والحاجى**: أن يكون المسكن مما يسهل ويصح فيه السكنى؛ بأن تكون له نوافذ تفتح وتغلق حسب الحاجة، **والتحسينى**: أن يجمل ويؤثث، وتوفر فيه وسائل الراحة، فإذا توافر له ذلك فقد تحققت مصلحته في سكناه، وهكذا طعام الإنسان ولباسه وكل شأن من شئون حياته، تتحقق مصلحته فيه بتوافر هذه الأنواع الثلاثة له. والمجتمع مثل الفرد في ذلك[1].

ويحسن بنا أن نبين مراد الشارع، بالأمور الضرورية، والحاجية، والتحسينية ثم نذكر ما شرعه الإسلام، لكل من هذه الأمور الثلاثة. على النحول التالى:

أولاً: الأمور الضرورية

الضروريات للحياة البشرية، هي ما تقوم عليه حياة الناس، ولابد منه لاستقامة مصالحهم، وإذا فقد فقد اختل نظام حياتهم، ولم تستقم مصالحهم، وعمت فيهم الفوضى والفساد.

*** ما الذي شرعه الإسلام للأمور الضرورية للناس؟**

والإجابة هي: حفظ الضروريات الخمس.

وتوضيح هذا: أن الأمور الضرورية للناس، ترجع إلى خمسة أشياء:

«* الدين * والنفس * والعقل * والعرض * والمال».

وقد شرع الإسلام لكل واحد من هذه الخمسة، أحكاماً تكفل إيجاده وتكوينه، وأحكاماً أخرى تكفل حفظه وصيانته، وبهذين النوعين من الأحكام حقق للناس ضرورياتهم.

---

١) علم أصول الفقه ، عبد الوهاب خلاف.

المقصد الأول: حفظ الدين:

الدين هو مجموعة العقائد والعبادات والأحكام والقوانين، التي شرعها الله سبحانه، لتنظيم علاقة الناس بربهم، وعلاقاتهم بعضهم ببعض، وقد شرع الإسلام لإيجاده وإقامته إيجاب الإيمان، وأحكام القواعد الخمس التي بنى عليها الإسلام وهي: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، وسائر العقائد وأصول العبادات، التي قصد الشارع بتشريعها، إقامة الدين وتثبيته في القلوب، باتباع الأحكام التي لا يصلح أمر الناس إلا بها، وأوجب الدعوة إليه، وتأمين الدعوة إليه من الاعتداء عليها، وعلى القائمين بها ومن وضع عقبات فى سبيلها.

وشرع لحفظه وكفالة بقائه وحمايته من العدوان عليه أحكام الجهاد، لمحاربة من يقف عقبة في سبيل الدعوة إليه، ومن يفتن متديناً ليرجعه عن دينه، وعقوبة من يرتد عن دينه، وعقوبة من يبتدع ويحدث في الدين ما ليس منه، أو يحرف أحكامه عن مواضعها..

المقصد الثاني: حفظ النفس:

شرع الإسلام لإيجادها الزواج، للتوالد والتناسل، وبقاء النوع الإنسانى على أكمل وجوه البقاء.

وشرع لحفظها وكفالة حياتها، إيجاب تناول ما يقيمها من ضرورى الطعام والشراب واللباس والسكن، وإيجاب القصاص والدية والكفارة على من يعتدى عليها، وتحريم الإلقاء بها إلى التهلكة، وإيجاب دفع الضرر عنها.

المقصد الثالث: حفظ العقل:

وشرع لحفظ العقل تحريم الخمر، وكل مسكر، وعقاب من يشربها أو يتناول أى مخدر لما يترتب على تناوله من زوال العقل وترك الواجبات، وارتكاب المحرمات؛ التي تضره في نفسه وماله وعرضه.

وبالعقل رفع الله مكانة الإنسان، على بقية أنواع الحيوان، ورتب عليه التكاليف الشرعية، وفى الحديث الذى رواه أبو داود، أن النبى ﷺ قال: «رفع القلم عن ثلاث: عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبى حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل».

فالتكليف ساقط عمن فقد عقله، وقد ورد : إذا أخذ ما وهب سقط ما وجب ، فلا تصلح منه عبادة ، ويحجر عليه فى المعاملة، ويتولى وليه أمره، فيخرج زكاته ويتصرف لمصلحته.

المقصد الرابع : حفظ النسل:

ومن أجل المحافظة على النسل ، فقد عنيت الشريعة ؛ بالمحافظة على الإنسان وبحياة العفة والطهارة ، التى تكون أفضل الطرق للإنجاب ، فشرعت النكاح وحرمت السفاح ، ونهت عن دخول بيوت الغير بغير استئذان ، وأمرت بالحجاب وبغض البصر من المؤمنين والمؤمنات ومنعت الاختلاط بين الذكور والإناث إذا لم يكن من المحارم ، وأوجبت الحد على مرتكبى فاحشة الزنا ، كما أوجبت حد القذف ثمانين جلدة ؛ كى يظل النسل بعيداً عن شبهة الاختلاط ، وتحفظ سمعة الأسرة المسلمة ، ويقوى بناء الأمة، وتنهض بتبعاتها خير قيام .

المقصد الخامس: حفظ المال:

ولحفظ المال، شرع الإسلام لتحصيله وكسبه ، إيجاب السعى للرزق وإباحة المعاملات والمبادلات التجارية والمضاربة .. وشرع لحفظه وحمايته أيضاً تحريم السرقة وحد السارق والسارقة .. وتحريم الغش والخيانة، وأكل أموال الناس بالباطل، وإتلاف مال الغير ، وتحريم الربا ..

وقد أضاف القرافى وغيره إلى هذه الخمسة، عنصراً سادساً وهو:

حفظ العرض: والعرض بتعبيرنا هو السمعة والكرامة ، ولهذا حرمت الشريعة القذف والغيبة ونحوها، وقد جاء في الحديث الصحيح: «كل المسلم على المسلم حرام، دمه وعرضه وماله» فقرن العرض بالدم وقدمه على المال[١].

ويبين الشاطبى: إن مصالح الدين والدنيا مبنية على الأمور الخمسة المذكورة فيما تقدم، بحيث اعتبر قيام هذا الوجود الدنيوى مبنيا عليها، وكذلك الأمور الأخروية ، لا قيام لها إلا بذلك :

فلو عدم العقل لارتفع التدين (لأن العقل هو المخاطب بالتكاليف) .

---

١) المصدر السابق والحديث رواه مسلم.

ولو عدم الدين لعدم ترتب الجزاء المرتجى .
ولو عدم المكلف (النفس) لعدم من يتدين .
ولو عدم النسل لم يكن فى الدنيا بقاء .
ولو عدم المال لم يبق عيش[1].

* الضرورات تبيح المحظورات:

وتتمه لكل ما تقدم ، فإن الإسلام كفل حفظ الضروريات كلها، بأن أباح المحظورات من أجل المحافظة على الضروريات ، وهو نص القاعدة الشرعية (الضرورات تبيح المحظورات). ومن أمثلة ذلك : من اضطر فى مخمصة إلى أكل الميتة أو شرب الخمر ، فلا إثم عليه فى تناوله . ومن لم يستطع الدفاع عن نفسه إلا بالإضرار بغيره ، فلا إثم عليه فى الدفاع به . ومن امتنع من أداء ما عليه من ديون مع يساره وغناه، يؤخذ الدين من ماله بغير إذنه .. إلخ.

ثانياً : الحاجيات

والمقصود بالحاجيات الأمور التى يحتاج إليها الناس لليسر والسعة، واحتمال مشاق التكاليف، وأعباء الحياة ، بحيث إذا فقد لا يختل نظام حياتهم ولا تعم فيهم الفوضى - كما إذا فقد الضرورى - ولكن ينالهم الحرج والضيق.

* ما الذى شرعه الإسلام للأمور الحاجية للناس ؟

الأمور الحاجية للناس - كما قلنا - تهدف إلى ما يرفع الحرج عنهم ، ويخفف عنهم أعباء التكاليف، وقد شرع الإسلام فى مختلف أنواع العبادات والمعاملات والعقوبات جملة أحكام المقصود بها : رفع الحرج ، واليسر بالناس، وإليك أمثلتها لتتضح حقيقتها:

ففي العبادات شرع الرخص ترفيها وتخفيفا عن المكلفين إذا كان فى العزيمة[2] مشقة عليهم ، فأباح الفطر فى رمضان لمن كان مريضاً أو على

---

1) مدخل لدراسة الشريعة الإسلامية ، د . يوسف القرضاوى.
2) العزيمة : وهى عزائم الله، أى فرائضه التى أوجبها وفى الحديث : إن الله يحب أن تؤتى رخصه، كما يجب أن تؤتى عزائمه .

سفر ، وقصر الصلاة الرباعية للمسافر ، والصلاة قاعدا لمن عجز عن القيام ، وأباح التيمم لمن لم يجد الماء ، والصلاة فى السفينة ولو كان الاتجاه لغير القبلة ، وغير ذلك من الرخص التى شرعت لرفع الحرج عن الناس فى عبادتهم .

وفى المعاملات شرع كثيراً من أنواع العقود والتصرفات التى تقتضيها حاجات الناس ، كأنواع البيوع والإجارات والشركات والمضاربات ..

ورخص فى عقود لا تنطبق على القياس ، وعلى القواعد العامة فى العقود، كالسلم والمزارعة والمساقاة، وغير ذلك مما جرى عليه عرف الناس ودعت إليه حاجتهم ، وشرع الطلاق للخلاص من الزوجية عند الحاجة وأحل الصيد وميتة البحر والطيبات من الرزق.

وجعل الحاجات مثل الضروريات فى إباحة المحظورات .

وفى العقوبات جعل الدية على العاقلة[1] تخفيفا عن القاتل خطأ ، ودرأ الحدود بالشبهات ، وجعل لولى المقتول حق العفو عن القصاص من القاتل، وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿.. وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [الحج/٧٨]

وقوله سبحانه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴾ [النساء/٢٨]

وقول الرسول ﷺ **«إنى أرسلت بحنيفية سمحة»**(رواه أحمد)[2].

ثالثا : التحسينات

والمقصود بالتحسينات ما تقتضيه المروءة والآداب ، وسير الأمور على أقوم منهاج ، وإذا فقد لا يختل نظام حياة الناس ـ كما هو الحال فى الأمر الضرورى ـ ولا ينالهم ضيق أو حرج ـ كما هو الحال إذا فقد الأمر الحاجى ـ ولكن تكون حياتهم مستنكرة فى تقدير العقول الراجحة والفطر السليمة، والأمور التحسينية للناس بهذا المعنى ، ترجع إلى مكارم الأخلاق ، ومحاسن العادات ، وكل ما يقصد به سير الناس فى حياتهم على أحسن منهاج .

---

١) العاقلة: العصبة: وهم القرابة من جهة الأب الذين يشتركون فى دفع الدية .

٢) انظر علم أصول الفقه عبد الوهاب خلاف

*** ما الذى شرعه الإسلام للأمور التحسينية للناس ؟**

الأمور التحسينية للناس ـ كما قدمنا ـ ترجع إلى كل ما يجمل حالهم ، ويجعلها على وفق ما تقتضيه المروءة ومكارم الأخلاق ، وقد شرع الإسلام فى مختلف أبواب العبادات والمعاملات والعقوبات، أحكاماً تقصد إلى هذا التحسين والتجميل، وتعود الناس أحسن العادات، وترشدهم إلى أفضل المناهج وأقومها.

ففى العبادات شرع الطهارة للبدن ، والثوب ، والمكان ، وستر العورة والاحتراز عن النجاسات ، والاستنزاه من البول ، وندب إلى أخذ الزينة عند كل مسجد ، وإلى التطوع بالصدقة والصلاة والصيام ، وفى كل عبادة شرع مع أركانها وشروطها آداباً لها ، ترجع إلى تعويد الناس أحسن العادات .

وفى المعاملات حرم الغش والتدليس والتغرير والإسراف والتقتير ، وحرم التعامل فى كل نجس وضار ، ونهى عن بيع الإنسان على بيع أخيه، وعن تلقى الركبان ، وغير ذلك مما يجعل معاملات الناس على أحسن منهاج .

وفى العقوبات حرم قتل الرهبان والصبيان والنساء في الجهاد والحرب، ونهى عن المثلة والغدر ، وقتل الأعزل ، وإحراق ميت أوحى.

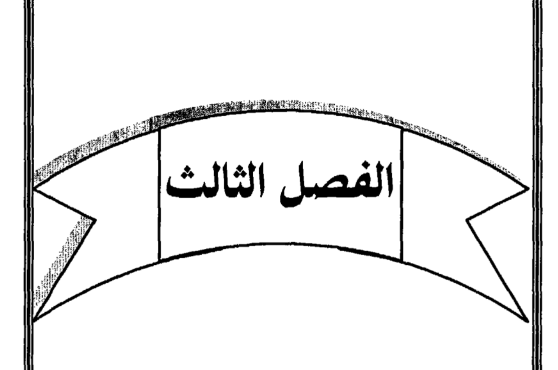
وفى أبواب الأخلاق وأمهات الفضائل، قرر الإسلام ما يهذب الفرد والمجتمع، ويسير بالناس فى أقوم السبل وأحسنها.

وقد دل على ذلك قوله تعالى: ﴿.. وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ.. ﴾[المائدة/٦]

وقول الرسول ﷺ «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»(رواه أحمد).

وقوله عليه الصلاة والسلام: **«إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً»** (رواه مسلم)[١]

١) المصدر السابق



من أسرار التشريع في الكتاب والسنة

وفيه أربعة مباحث:

- المبحث الأول: من أسرار التشريع في كتاب الله تعالى.
- المبحث الثاني: فضائل القرآن وآدابه.
- المبحث الثالث: من أسرار التشريع في السنة.
- المبحث الرابع: الوحى وصور تنزلاته.

قال الله تعالى :

ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ { النساء : ٥٩ }

وقال رسول الله ﷺ :

ـ «إنى قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا : كتاب الله وسنة نبيه » {الحاكم}

ـ «أطيعونى ما كنت بين أظهركم، وعليكم بكتاب الله، أحلوا حلاله، وحرموا حرامه» {الطبرانى}

من أسرار التشريع
في الكتاب والسنة

مصادر التشريع في عهد النبوة:

كان العرب قبل مبعث النبي ﷺ أمة فاقدة النظام تسودها الهمجية، ويخيم عليها ظلام الجهل لا يربطهم دين، ولا يخضعون لقانون، وقد كان من أثر ذلك أن تشبعت نفوسهم بالعقائد الباطلة، فصاروا يتخيلون الإله مرة في الهياكل التي ينحتونها بأيديهم، ومرة في الكواكب التي تبدو وتغيب أمام نواظرهم، كما أن كل فريق منهم يرى الحق فيما نشأ عليه وورثه عن آبائه، والعظمة فيما فشا وعرف بين قبيلته.

ولم يكن لهم إلا النذر اليسير من الضوابط التي يفصلون بها في خصوماتهم وشيء من العادات المستحسنة والنزعات الطيبة الكريمة التي فطروا عليها فكان مجمل حالهم يقوم على أمرين: الوثنية في الدين، والفوضى في نظام المجتمع فكان لابد لانتشالهم من الهمجية، واستخلاصهم لنصرة دين الله من إصلاح هذين الأمرين فيهم، بأن يغرس في قلوبهم عقيدة التوحيد لله سبحانه، ويقتلع من نفوسهم الأخلاق المرذولة، ويمحو من بينهم العادات المستخبثة، ويطبعهم على غرار من حسن الأخلاق الفاضلة والسجايا الكريمة، وبأن يضع لهم نظاماً محكماً يتناول كافة شئونهم فشرع لهم الأحكام التي تتناول كل شأن من شئونهم، وتتصل بحياة الفرد والجماعة في كل ناحية من نواحيها: في العبادات والمعاملات، والجهاد، والمواريث، والزواج والطلاق.. إلخ.

ثم إن هذا التمهيد يسوقنا إلى القول: بأن التشريع في عصر النبوة كان سائراً مع الواقع، ومبنياً على أن المسلمين إذا عرض لهم أمر يقتضي بيان الحكم رجعوا إلى النبي ﷺ فيفتيهم تارة: بالآية، أو الآيات، ينزل عليه الوحي بها من عند الله.

وتارة بالحديث، قولاً، أو فعلاً، أو تقريراً.

أو أن يعمل البعض منهم عملاً فيقرهم عليه إن كان صواباً أو ينهاهم عنه إن كان غير ذلك وكيفما كان الجواب منه ﷺ فلم يكن يصدر إلا عن الوحي من ربه: قرآناً كان الوحي، أو سنة قولية أو عملية أو تقريرية: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[النجم: ٣، ٤].

ويتلخص من هذا كله:

أن سلطة التشريع في هذا العصر كانت للنبي ﷺ وحده، دون أن يتدخل فيها أحد سواه، وأن مرجعه في التشريع كان الوحي بقسميه: المتلو وهو القرآن، وغير المتلو وهو السنة، على نحو ما سنوضحه في المباحث التالية:

- المبحث الأول: من أسرار التشريع في كتاب الله تعالى.
- المبحث الثاني: فضائل القرآن وآدابه.
- المبحث الثالث: من أسرار التشريع في السنة.
- المبحث الرابع: الوحي وصور تنزلاته.

المبحث الأول

من أسرار التشريع في كتاب اللّه تعالى

قال الله تعالى:

* ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ {الإسراء: ٩}

* وقال على ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«أما إنها ستكون فتنة. قلت: فما المخرج يا رسول الله ؟

قال: كتاب الله تعالى .. فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم. وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله تعالى، ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله تعالى. وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم. وهو الذى لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق من كثرة الرد، ولا تنقضى عجائبه، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته حتى قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ {الجن : ١، ٢}

ومن قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدى إلى صراط مستقيم » {كنز العمال ١٥٦/١ }

المبحث الأول
مـــن أســـرار التشريع
في كتاب الله تعالى

القرآن كتاب هداية وإرشاد - أسماء القرآن الكريم وصفاته - الحكمة من نزول القرآن - نزول القرآن - التنزل الأول للقرآن - التنزيل الثاني - التنزيل الثالث - كيفية هذا النزول - نزول القرآن منجماً والسر في ذلك - جمع القرآن - كتابة القرآن في عهده ﷺ - طريقة الكتابة - لماذا لم يجمع القرآن في مصحف واحد في زمن النبي ﷺ ؟ - جمع القرآن في عهد الصديق - الجمع الثاني في عهد عثمان - جملة ما في القرآن من أحكام - تقسيمات القرآن ورسم المصحف - الرسم العثماني - هل يجوز كتابة القرآن بالرسم الإملائي وليس العثماني؟ - الأشياء التي استحدثت في المصاحف.

هو ذلك القرآن المبين، والكنز الثمين، عمدة الملة، وأساس الدين، أودع الله - سبحانه وتعالى - فيه علم كل شيء، وأبان به الرشد من الغي، فهو ينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، والعالم به على التحقيق عالم بجملة الشريعة، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩]. وقال جل ذكره: ﴿..مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ ..﴾ [الأنعام: ٣٨]. وفي الحديث: «.. هو حبل الله المتين ونوره المبين، والذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تتشعب معه الآراء، ولا يشبع منه العلماء، ولا يمله الأتقياء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه ..»[رواه الترمذي].

وقد عني الأصوليون بتعريف القرآن فقالوا: القرآن هو الكتاب المنزل على سيدنا محمد ﷺ باللفظ العربي، المنقول إلينا بالتواتر، المكتوب في المصحف المبدوء بسورة الفاتحة، المختوم بسورة الناس.

والقرآن هو معجزة الرسول الكبرى، وهو المصدر الأول لشريعة الإسلام، والحجة على جميع الأنام، أنزل على محمد ﷺ منجماً من ليلة اليوم السابع عشر من رمضان للسنة الحادية والأربعين من ميلاده ﷺ - حيث أوحى إليه في غار حراء - الذي كان يتحنث فيه - أول آية وهي: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١-٥]. إلى ما قبل وفاته بتسعة أيام، في ربيع الأول سنة عشر من الهجرة، في الثالثة والستين من ميلاده ﷺ حيث أوحى إليه بآخر آية وهي: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[البقرة: ٢٨١].

فالمدة بين مبتدإ التنزيل ومختتمه، اثنتان وعشرون سنة وشهران واثنان وعشرون يوماً.

القرآن كتاب هداية وإرشاد

القرآن الكريم هو الحجة البالغة، والمعجزة الخالدة، معين لا ينضب، وعطاء متجدد، ونهر فياض، وبحر لا ساحل له، وهو ينبوع العلوم، ومعدن المعارف. ومبنى قواعد الشرع، وأصل كل علم، أودع الله فيه الهدى والنور، وأبان فيه العلم والحكمة، فأقبل العلماء ينهلون من معينه، واستنبط الفقهاء من أحكامه، واهتدى أهل البيان بنظامه، وتفكر المفكرون في قصصه وأخباره.

انتظم هذا الكتاب السماوي من العقائد الصحيحة، والآداب الحميدة، والأخلاق الفاضلة، والأعمال الصالحة، ما هو كفيل بسعادة البشر في دينهم ودنياهم، وآخرتهم، فهو منحة الخالق، وهديته لإصلاح الخلق، وشريعة السماء لأهل الأرض، والشريعة العامة التى تكفلت بجميع ما يحتاج إليه البشر في أمور الدين والدنيا، وهو في كل ذلك حكيم كل الحكمة، لا يعتريه خلل ولا اختلاف، ولا تناقض ولا اضطراب، وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

فلا عجب .. أن كانت السعادة لا تنال إلا بالاهتداء بهديه، والتزام ما جاء به وأن كان فيه الشفاء لأمراض النفوس وأدواء المجتمع، فاهتدت به القلوب بعد ضلال، وأبصرت به العيون بعد عمي، واستنارت به العقول بعد جهالة، واستنارت به الدنيا بعد ظلمات، وصدق الله إذ يقول: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإسراء: ٩، ١٠]

وقال أيضاً: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾

[الإسراء: ٨٢]

وتجاوزت رسالة القرآن الكريم الإنس إلى الجن: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ۖ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩-٣١]

فالقرآن الكريم حجة الله على خلقه إذا تركوه، وعز الدنيا بين دفتيه إذا نفذوه، والرائد إلى جنة الخلد إذا حفظوه، وصدق الله تعالى، إذ يقول: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٣، ١٢٤]

أسماء القرآن الكريم وصفاته:

لقد اختص الله تعالى القرآن الكريم دون سائر الكتب السماوية بعدة أسماء وصفات، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على شرفه وعلو منزلته.

فقد سماه الله عز وجل بأسماء عديدة منها:

- القرآن: ﴿... فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْءَانِ﴾[المزمل: ٢٠].
- الفرقان: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ...﴾[الفرقان: ١].
- الكتاب: ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ...﴾[البقرة: ٢].
- الذكر: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].
- الروح: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا..﴾ [الشورى: ٥٢].
- التنزيل: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٩٢].

وقد وصف القرآن الكريم بأوصاف كثيرة منها:

- نور: ﴿...وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤].
- موعظة، وشفاء، وهدى، ورحمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[يونس: ٥٧]
- مبارك: ﴿وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ...﴾ [الأنعام: ٩٢].
- مبين: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ﴾[المائدة: ١٥]
- بشرى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧]
- عزيز: ﴿...وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ [فصلت: ٤١].
- مجيد: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ [البروج: ٢١].
- بشير، ونذير: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [فصلت: ٤]

وكل تسمية أو وصف وصف بها القرآن الكريم، فهي باعتبار معنى من معانيه.

الحكمة من نزول القرآن:

للقرآن الكريم أسرار عظيمة وفوائد جمة من وراء نزوله منها :

١ـ أنه معجزة مؤيدة للرسول ﷺ في دعوته : وقد سجل التاريخ أن العرب وهم أرباب الفصاحة والبيان ، وقفوا مشدوهين أمام فصاحة القرآن ، ثم عجزوا عن محاكاة أقصر سورة منه .

٢ـ القرآن حدد قواعد الشريعة ، ووضع أحكامها بشيء من التفصيل والإطناب ، ومن هنا فهو أصل في التشريع الإسلامي ، يستضيء به المجتهد ، ويستنبط من آياته الأحكام ، ويشهد لهذا المعنى قول الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾[النساء : ١٠٥] .

٣ـ أنه وسيلة للتعبد : ففي قراءة القرآن قربة ينال بها العبد ثواب تقربه إلى الله سبحانه وتعالى . روى الترمذي عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة والحسنة بعشر أمثالها . لا أقول الٓمٓ حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف» .



نزول القرآن

هذا المبحث من مباحث أسرار القرآن الكريم من الأهمية بمكان، لأنه بهذا المبحث يعرف تنزلات القرآن الكريم من حيث مكان وزمان نزوله، وعلى من أنزل وكيف كان يتلقاه أمين الوحي جبريل عليه السلام من الله تبارك وتعالى. وعلى أي حال كان يتلقاه الرسول الكريم ﷺ من جبريل عليه السلام ومن عظم تشريف الله تعالى، وتكريمه للقرآن الكريم أن جعل له وجودات في أماكن ثلاثة، كل مكان يختلف عن الآخر، تفخيماً لأمره وأمر من نزل عليه، وإلهاباً للشوق إليه، وهذا يدل على عناية الله عز وجل بالقرآن الكريم.

وللقرآن الكريم وجودات ثلاثة هي:

- وجوده في اللوح المحفوظ.
- وجوده في بيت العزة في السماء الدنيا.
- وجوده في الأرض بنزوله على النبي ﷺ.

التنزيل الأول للقرآن:

إلى اللوح المحفوظ، وكان هذا التنزيل بطريقة لا يعلمها إلا الله ـ سبحانه وتعالى ـ وكان جملة واحدة، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝﴾[البروج: ٢١، ٢٢].

ولعل السر في هذا النوع من النزول، يرجع إلى الحكمة العامة من وجود اللوح المحفوظ نفسه، واعتباره سجلاً جامعاً لكل ما قضى الله ـ عز وجل ـ وقدر، وكل ما كان من عوالم الإيجاد والتكوين، فهو شاهد ناطق ومظهر من أروع المظاهر، التي تدل على عظمة الخالق وإرادته.

التنزيل الثاني:

من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا، مرة واحدة في ليلة واحدة موصوفة بأنها مباركة، معروفة وهي ليلة القدر، قال تعالى:

- ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ﴾[الدخان: ٣].

- ﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾[القدر: ١].

- ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ ﴾[البقرة: ١٨٥].

فهذه الآيات الثلاث دلت على أن القرآن الكريم نزل جملة واحدة، في ليلة واحدة هي ليلة القدر، والتي توصف بأنها مباركة، كما جاء في آية الدخان، وتسمى ليلة القدر، أخذاً من آية سورة القدر، وهي من شهر رمضان، كما جاء في آية سورة البقرة، جمعاً بين تلك الآيات، وحتى لا توهم التعارض فيما بينها روى عن ابن عباس أنه قال: أنزل القرآن جملة واحدة إلى السماء الدنيا، ليلة القدر، ثم أنزل بعد ذلك في عشرين سنة ثم قرأ: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وحكمة هذا التنزيل.. تفخيم شأن القرآن وشأن من أنزل عليه القرآن فإن في تعدد النزول وتعدد السجلات تأكيداً للثقة فيه، ومبالغة في نفى الشك عنه.

قال السيوطى - رحمه الله - قيل السر في إنزاله جملة إلى السماء تفخيم أمره وأمر مَن نزل عليه؛ وذلك بإعلام سكان السموات السبع، أن هذا آخر الكتب المنزلة على خاتم الرسل، لأشرف الأمم قد قربناه إليه لتنزله عليهم، ولولا أن الحكمة الإلهية اقتضت وصوله إليهم منجماً بحسب الوقائع؛ ليهبط به إلى الأرض جملة كسائر الكتب المنزلة قبله، ولكن الله باين بينه وبينها، فجعل له الأمرين: إنزاله جملة، ثم إنزاله مفرقاً تشريفاً للمنزل عليه[1].

التنزيل الثالث:

وهي المرحلة الأخيرة التي شع فيها النور على البشرية، وحق الحق، وزهق الباطل حيث نزل من بيت العزة في السماء الدنيا على النبي ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام منجماً طوال مدة الرسالة.

---

١) الإتقان للسيوطي (١/٥٤-٥٥).

وشواهد هذا النزول أكثر من أن تحصى، قال جل شأنه:

- ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء: ١٩٢- ١٩٥].
- ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل: ١٠٢].

والذي نزل به على النبي ﷺ هو أمين الوحي (جبريل) ﷺ. وهو المقصود بالروح الأمين في آية الشعراء، وبروح القدس في سورة النحل. وهو الرسول الكريم ذو القوة المتين. قال تعالى:

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ﴾[التكوير: ١٩- ٢٢].

وقد جاء النص - صريحاً - على أن النازل به هو جبريل في قوله سبحانه:

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[البقرة: ٩٧][1].

وهذا النزول هو ما كانت به رسالة نبينا محمد ﷺ وتكليف الأمة باتباعه، والعمل به، وبه تم إخراج الدنيا من ظلمات الجهل والشرك إلى نور العلم والإيمان. والاعتراف والإقرار بوحدانية الواحد الديان، ودانت الدنيا كلها لذلك النور الإلهى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

١) التشريع الإسلامي/ شعبان محمد إسماعيل صـ١١٣-١١٩.

كيفية هذا النزول

• نزوله بحسب الوقائع والمناسبات :

لم ينزل القرآن جملة واحدة في لحظة واحدة، ولو أراد الله تعالى ذلك لكان. ولكن اقتضت حكمته أن ينزل القرآن الكريم منجماً حسب المناسبات والأحوال. ولقد كان ذلك محلاً لاعتراض المشركين وتعنتهم فيما يحكيه الكتاب عنهم: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ ثم رد عليهم مبيناً الحكمة بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]

- وأيضاً بقوله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].
- من هذا يتبين: أن القرآن لم ينزل على النبي ﷺ جملة واحدة كما نزلت التوراة على موسى عليه السلام، بل كان ينزل - في الغالب وفقاً لحوادث تقع في المجتمع الإسلامي، وتعرف هذه الحوادث بأسباب النزول، وأحياناً كان ينزل جواباً عن أسئلة يسألها بعض المؤمنين، وقليلاً ما كانت الأحكام تنزل مبتدأة. ولنضرب مثلاً لكل من هذين النوعين.

(١) أرسل رسول الله ﷺ مرثداً الغنوى إلى مكة ليخرج منها قوماً مسلمين مستضعفين، فلما وصلها عرضت امرأة مشركة نفسها عليه، وكانت ذات جمال ومال فأعرض عنها خوفاً من الله تعالى، ثم أقبلت عليه مرة أخرى تريد منه أن يتزوجها، فقبل على شرط أن يرجع بالأمر إلى النبي ﷺ، فلما قدم المدينة عرض الأمر عليه، وسأله أن يأذن له في التزوج بها فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ

﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ﴾[البقرة: ٢٢١].

(٢) ورد في القرآن أحكام كثيرة عقب أسئلة صدرت من المؤمنين أو من غيرهم من ذلك قوله تعالى:

- ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ﴾ [البقرة: ٢١٩].
- ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ...﴾ [البقرة: ٢٢٠].
- ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى...﴾ [البقرة ٢٢٢].
- ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۖ....﴾ [البقرة: ٢١٧]
- ﴿وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ﴾ [النساء: ١٢٧].
- ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ...﴾[الأنفال: ١]

أما الأحكام التي أنزلت بدون حادث أو سؤال فقليلة، وقلما نجد في القرآن حكماً لم يذكر له المفسرون حادثاً أنزل الحكم مرتباً عليه.

• نزول القرآن منجماً والسر في ذلك:

ظل القرآن ينزل على رسول الله ﷺ منجماً حسب الوقائع والمناسبات:

- فتارة تنزل عليه سورة بجملتها كما في الفاتحة والمدثر، وكما في الأنعام، فإنها نزلت كلها دفعة واحدة بمكة إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة.
- وتارة تنزل عليه عشر آيات كما في قصة الإفك، وأول سورة المؤمنين.
- وتارة خمس آيات وذلك كثير.

ـ وقد صح أنه نزل عليه بعض آية وذلك كما في قوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾

فإنه نزل بعدما نزل قوله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[النساء: ٩٥].

وكقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فإنه نزل بعد: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ ..﴾

[التوبة: ٢٨] ومازال الأمر هكذا حتى كملت الشريعة بتمام نزول القرآن.

وقد ذكر العلماء وجوهاً من الأسرار والحكم في إنزاله منجماً منها:

١ـ أنه أنزل هكذا ليقوى به قلب الرسول فيعيه ويحفظه، وقد كان رسول الله ﷺ أميًّا لا يقرأ ولا يكتب، وهذه حال يصعب معها الحفظ، أما غيره من الرسل السابقين فقد كانوا كاتبين قارئين يمكنهم أن يحفظوا ما ينزل عليهم من الكتب جملة، فإن موسى عليه السلام كان كاتباً، فلما نزلت عليه التوراة جملة واحدة تمكن من الحفظ بالكتابة، وهذا معنى قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ﴾[الفرقان: ٣٢].

٢ـ وكذلك الحال بالنسبة إلى الصحابة، فقد تلقوه أجزاء فسهل عليهم حفظه، وتمكنوا من فهمه من غير مشقة ولا عسر فارتبطت به قلوب المؤمنين.

٣ـ واقتضت حكمة الله تعالى أن يكون في القرآن الكريم، المنسوخ الذي انتهت حكمة العمل به، والناسخ الذي تبدل به الحكم إلى ما علم الله أنه أوفق لمصالح المسلمين، وذلك أيضاً لا يمكن تحقيقه إلا بالنزول منجماً كما أراد سبحانه.

٤ـ وكانت الآيات تنزل بياناً لحكم حادثة، أو جواباً لسؤال أو استفتاء، وكانت هذه الأسئلة والاستفتاءات والحوادث بمثابة قرائن تعين على فهم الكتاب الكريم وإدراك أسراره، وهذا لا يمكن إلا بنزوله منجماً.

٥ـ ومنها أن في نزوله منجماً رحمة بالعباد، فلقد سبق علمه أن يأخذ المسلمين بالتدرج في التشريع، فإنهم كانوا قبل الإسلام في إباحة مطلقة، فلو نزل عليهم القرآن

دفعة واحدة لثقلت عليهم التكاليف، فتنفر قلوبهم عن قبول ما فيه من الأوامر والنواهي. ويوضح ذلك ما أخرجه البخاري عن عائشة قالت: «إنما نزل أول ما نزل من القرآن سور من المفصل،. فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء: لا تشربوا الخمر، لقالوا: لا ندع الخمر أبداً. ولو نزل: لا تزنوا، لقالوا: لا ندع الزنا أبداً».

الحكمة السادسة: تسلية النبي عما يصيبه من أذى.

٦ـ ومنها تسلية النبي ﷺ عما يصيبه من أذى في سبيل تبليغ دعوة الله تعالى للناس، وأنها حق، وأن الله تعالى ناصره ومؤيده وأن العاقبة للمؤمنين، وأن الخزى والخسران على الكافرين. وهذا لأن الرسول ﷺ كان يأسى ويحزن لعدم إيمان قومه وإصرارهم على ما هم عليه من عبادة غير الله تعالى، كما قال الحق سبحانه:

ـــــــ ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾[الكهف:٦].

. ﴿... فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾

[فاطر:٨]

فهذه الآيات ونحوها تسليه وتذهب أسفه.

٧ـ إظهار الإعجاز القرآني:

ـ ومن أسرار التنجيم التدرج في التحدى لمعارضيه، والنزول معهم إلى أبسط أنواع التحدى حتى يثبت عجزهم تماماً عن معارضة القرآن، حيث تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بعشر سور فعجزوا، ثم تحداهم أن يأتوا بسورة واحدة فعجزوا في كل ذلك، وهذا يلزمهم الحجة.

ولو أن القرآن نزل جملة واحدة لقالوا: لا نقدر على معارضته والإتيان بمثله، لأنه نزل دفعة واحدة، ولو أنزل مفرقاً لفعلنا ذلك، وكانت حكمة الله تعالى في تنجيم

القرآن، ونزوله مفرقاً إلجاماً لهم وإفحاماً، وقطعاً لعذرهم ودحضا لحجتهم، حيث كان يكرر لهم التحدي المرة بعد المرة، ويتيح لهم الفرصة بعد الأخرى.

وبهذا ثبت على وجه اليقين إعجاز القرآن الكريم، وأنه كلام الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد[1].

بقى التوفيق بين قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾[القدر: ١] وما علمناه من نزول القرآن منجماً. وأقرب وجوه التوفيق أن نقول: معنى نزوله في ليلة القدر أن ابتداء نزوله كان فيها. فالضمير في أنزلناه للقرآن، ولاشك أن ابتداء نزول القرآن كان في تلك الليلة[2].



١) دراسات في علوم القرآن، د. محمد عبد الجليل ص٥٥.

٢) انظر: تاريخ الفقه الإسلامي، محمد على السايس، ص٢٠ : ٢٢.

جمــع القــرآن

يطلق جمع القرآن الكريم ويراد به أمران:

أولهما: جمعه في الصدور وحفظه في القلوب.

ثانيهما: كتابته في الصحف، وتدوينه كله حروفاً وكلمات وآيات وسوراً.

فهذا جمع في السطور والصحف، وذلك جمع في القلوب والصدور، ثم إن جمعه بمعنى كتابته في السطور والصحف، قد حدث في الصدر الأول ثلاث مرات:

الأولى: في عهد النبي ﷺ.

الثانية: في عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق ﷺ.

الثالثة: في خلافة ذى النورين عثمان بن عفان ﷺ.

وهذه المرة الأخيرة، هي التي حدث فيها نسخ المصاحف، وإرسالها إلى الآفاق الإسلامية وسنتكلم - بإذن الله وعونه - عن جمعه، في كل عصر من هذه العصور الثلاثة بشيء من التفصيل، مع توضيح دوافعه ومميزاته.

كتابة القرآن
في عهده صلى الله عليه وسلم

كانت همة الرسول ﷺ وأصحابه - رضوان الله عليهم - في أول الأمر منصرفة إلى جمع القرآن في القلوب بحفظه واستظهاره، ضرورة أنه نبي أمى بعثه الله في الأميين، أضف إلى ذلك أن أدوات الكتابة لم تكن ميسورة لديهم في ذلك العهد، ومن هنا كان التعويل على الحفظ في الصدور، يفوق التعويل على الحفظ في السطور، على عادة العرب من جعل صفحات صدورهم وقلوبهم دواوين لأشعارهم وأنسابهم، ومفاخرهم وكان الرسول ﷺ قد اتخذ كتاباً للوحي، كلما نزل عليه شيء من القرآن أمرهم بكتابته، زيادة في التوثيق والضبط والاحتياط في كتاب الله تعالى، حتى تظاهر الكتابة الحفظ. وأنه - صلى الله عليه وسلم - إمعاناً منه في المحافظة على القرآن، نهى هؤلاء الكتبة - في أول الأمر - عن أن يكتبوا غير القرآن، وأمرهم أن يمحصوا القرآن ويخلصوه من أي شيء

يكتب معه. والنهى عن كتابة ما سوى القرآن كان الباعث عليه: خوف اشتباه القرآن بغيره في بدء الأمر، فلما اطمأن - صلوات الله وسلامه عليه - إلى أن أصحابه لن يخلطوا أبداً بين القرآن وغيره، سمح لهم بكتابة السنة الشريفة[1].

• طريقة الكتابة:

وكان هؤلاء الكتاب من خيرة الصحابة، وكان - صلى الله عليه وسلم - يدلهم على موضع المكتوب من سورته، فيكتبونه فيما يسهل عليهم من العسب[2] واللخاف[3] والأضلاع[4] والكرانيف والرقاع[5] وقطع الأديم[6]، ذلك لأن صنع الورق لم يكن مشتهراً عند العرب، وقد كان عند بعض الأمم الأخرى كالفرس والروم (وكانت هذه الأنواع المختلفة، والأصناف المتعددة، التي كتبوا فيها بين يدى رسول الله وأمره وإشرافه، محفوظة عنده، مودعة في بيته، ولم تكن مرتبة متوالية، بحيث يقع بعضها عقب بعض، ولم يكن لها دفتان أي - غلاف يجمعها - أي لم تكن كالكتاب الواحد له غلاف، ويضم بداخله أوراقاً مرتبة مرقمة يقع بعضها إثر بعض، وإنما كانت متفرقة مبعثرة غير مرتبة، وهو وضع طبيعي وأمر ضروري ولهم عذرهم؛ لأن هذه الأشياء التي كتبوا فيها، ليست من نوع واحد، ولا في حجم واحد حتى يتمكنوا من ضم بعضها إلى بعض وتغليفها)[7].

وكان الصحابة - رضوان الله عليهم - يجتمعون في بيت النبي يكتبون القرآن من الرقاع ونحوها، وذلك بأن يضموا الآية إلى الآية حتى تكتمل السورة، ثم يجمعون السورة إلى السورة، حسبما يحفظون ويسمعون من النبي ﷺ وعلى هذا فقد كتب

---

1) بحث عناية المسلمين بالقرآن الكريم، د. صلاح الدين شلبي، بتصرف.

2) العسب: جريد النخل المستقيمة يكشط خوصها.

3) اللخاف: الحجارة الرقاق البيض العريضة.

4) الأضلاع جمع ضلع وهو العظم العريض في جنب الحيوان.

5) الرقاع: جمع رقعة وهي القطعة من الجلد أو القماش أو الورق.

6) الأديم : الجلد

7) الدر النظيم، د. إبراهيم الديب ص٩٥.

القرآن كله بين يدى رسول الله ﷺ ، والدليل على أن القرآن كتب كله في حضرته ﷺ وبأمر منه فور نزوله كثيرة منها :

(١) ما أخرجه مسلم عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال : «لا تكتبوا عني غير القرآن ومن كتب عني غير القرآن فليمحه» .

(٢) ما أخرجه الحاكم في المستدرك عن زيد بن ثابت أنه قال : «كنا عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع - أي نجمعه - ، وكان هذا التأليف عبارة عن (ترتيب الآيات) حسب إرشاد النبي ﷺ وبأمر من الله تبارك وتعالى .

(٣) وما أخرجه أبو داود بسنده عن عثمان قال : كان النبي ﷺ مما ينزل عليه الآيات ، فيدعو بعض من كان يكتب له ويقول له : ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وتنزل عليه الآية والآيتان فيقول مثل ذلك ، وكان الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - يعرضون ما لديهم من القرآن حفظاً وكتابة بين الحين والحين على رسول الله ﷺ تأكيداً وتثبيتاً لما كتبوه ، لأن جبريل عليه السلام كان يعارض رسول الله ﷺ بالقرآن مرة كل سنة في ليالي رمضان ، فلما كان العام الذي قبض فيه ﷺ عارضه بالقرآن مرتين .

روى البخاري بسنده عن فاطمة - رضى الله عنها - قالت : أسرّ النبي إليّ أن جبريل كان يعارضني بالقرآن كل سنة مرة ، وأنه عارضني العام مرتين ، ولا أراه إلا حضر أجلي . .

وقد شهد زيد بن ثابت العرضة الأخيرة ، ولذلك اختاره أبو بكر لجمع القرآن كما سيأتي إن شاء الله .

والخلاصة:

أن القرآن كتب كله بين يدى رسول الله ﷺ آية آية وسورة سورة ، إلا إنه لم يكن مجموعاً في مصحف واحد ، أو مجلد واحد ، وإنما كتابة منثورة بين العسب والرقاع وغيرها .

وقد أجمع العلماء على أن جمع القرآن (توقيفى) يعنى أن ترتيبه بهذه الطريقة التي عليها اليوم في المصاحف ، إنما هو بأمر ووحى من الله ، فقد ورد أن جبريل عليه السلام كان

ينزل بالآية أو الآيات على النبي فيقول له: يا محمد، إن الله يأمرك أن تضعها على رأس كذا من سورة كذا. وكذلك كان الرسول ﷺ يدلهم على موضع المكتوب من سورته فيقول للصحابة: «ضعوها موضع كذا...»[1].

لماذا لم يجمع القرآن في مصحف واحد (في زمن النبي ﷺ؟)

قال السيوطي في ذلك: إنما لم يجمع القرآن في مصحف واحد في عهده ﷺ لما كان يتوقعه، من نزول قرآن ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته فلما أتم الله تعالى كتابه، وانقضى الوحي بوفاة النبي ﷺ ألهم الله الخلفاء الراشدين بجمع القرآن في الصحف، كما حدث في عهد أبي بكر الصديق ﷺ، وفي المصاحف كما حدث في عصر ذي النورين عثمان بن عفان ﷺ على الوجه الذي سنراه بعد ذلك وفاء بوعده الصادق، بضمان حفظه على هذه الأمة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]

جمع القرآن في عهد الصديق

كان جمع الصديق ﷺ للقرآن، إثر موقعة اليمامة، سنة ١٢هـ، تلك المعركة التي دارت فيها رحى الحرب، بين المسلمين وأهل الردة من أتباع مسيلمة الكذاب، وكانت معركة حامية الوطيس استشهد فيها كثير من قراء القرآن، من الصحب الكرام وحفظتهم، ينتهي عددهم إلى السبعين، وأنهاه بعضهم إلى الخمسمائة.

ولقد هال ذلك المسلمين وأفزعهم، وعز الأمر على عمر ﷺ فدخل على أبي بكر وأخبره الخبر، واقترح عليه أن يجمع القرآن، خشية ضياعه بموت الحفاظ وقتل القراء.

وبعد مفاوضة بينه وبين عمر، تجلى له وجه المصلحة، فاقتنع بصواب الفكرة، وعلم أن ذلك الجمع، الذي يشير به إليه عمر. ما هو إلا وسيلة من الوسائل العظيمة النافعة لحفظ الكتاب الشريف والمحافظة عليه من الضياع والتحريف.

---

١) القول السديد في مباحث من علوم القرآن المجيد، د. عوض السيد.

روي البخاري في صحيحه بسنده عن زيد بن ثابت قال :

«أرسل إليّ أبو بكر مقتل أهل اليمامة، وعنده عمر فقال أبو بكر : إن عمر أتاني وقال : إن القتل قد استحر - أي اشتد - يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني لأرى أن تجمع القرآن.

قال أبو بكر : فقلت لعمر : كيف أفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟

فقال : هو والله خير. فلم يزل يراجعني حتى شرح الله صدرى. ورأيت الذي رأي عمر.

قال زيد : - وعنده عمر جالس لا يتكلم - فقال لي أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل، ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن.

قلت : كيف تفعلان شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ؟

فقال أبو بكر : هو والله خير. فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر.

فقمت. فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع غيره ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ إلى آخر السورة، فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر بوصية من أبيها إلى أن طلبها منها عثمان».

وقد أمر أبو بكر ﷺ كلا من عمر وزيد بن ثابت - رضي الله عنهما - بألا يقبلا شيئاً إلا بشاهدي عدل.

الجمع الثاني: في عهد عثمان

كان المسلمون حتى عهد عثمان يقرءون القرآن بقراءات مختلفة إلى أن جمعهم عثمان ﷺ على مصحف واحد.

وسبب ذلك: أن الفتوحات الإسلامية اتسعت في عهد سيدنا عثمان ﷺ وتفرق المسلمون في الأمصار والأقطار، وكان أهل كل إقليم من أقاليم الإسلام يأخذون بقراءة من اشتهر بينهم من الصحابة.

فأهل الشام يقرءون بقراءة أبي بن كعب، وأهل الكوفة يقرءون بقراءة عبدالله بن مسعود، وغيرهم يقرءون بقراءة أبي موسى الأشعري فكان بينهم اختلاف في حروف الأداء ووجوه القراءة، بطريقة فتحت باب الشقاق والنزاع في قراءة القرآن، أشبه بما كان بين الصحابة قبل أن يعلموا أن القرآن نزل على سبعة أحرف.

وتروى كتب السنة - كما هو عند البخاري ومسلم أن خلافاً حدث بين الصحابة بسبب تعدد القراءات، وأن كلا سمع من الرسول قراءة حفظها منه ووعاها عنه، ولم يحفظ غيرها، فكان يحدث خلاف من جراء ذلك إلى أن علم الصحابة أن القرآن أنزل على سبعة أحرف، كلها كاف شاف، توسعة على الأمة الأمية، وتيسيراً عليها.

وإذا كان من شأن التوسعة والتيسير بإنزال القرآن على سبعة أحرف في حياته ﷺ ما قد علمنا من خلاف، فإن أمراض هذا التيسير وتلكم التوسعة، قد ازدادت واستفحل خطرها في خلافة عثمان حتى كفر الناس بعضهم بعضا وكادت تكون فتنة في الأرض وفساد كبير.

ولم يقف هذا البلاء عند حد بل كاد يلفح بناره جميع الأقطار الإسلامية حتى الحجاز والمدينة، وأصاب الكبار والصغار على حد سواء.

فلما كانت غزوة (أرمينية)، وكان المجاهدون فيها من بلاد مختلفة، كالشام والحجاز ومصر، وكان كل واحد يقرأ القرآن بقراءات مختلفة تبعاً لسماعهم من

الصحابة الذين كتبوا لأنفسهم صحفاً ومصاحف، وتمسك أهل كل بلد بما سمع وتعصب له، حتى إن الرجل ليقول: إن قراءتي خير من قراءتك وقراءتي أفضل من قراءتك.

وكان في هذه الغزوة حذيفة بن اليمان الذي يروى عنه البخاري هذا الحديث:

«أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازى أهل الشام، في فتح أرمينية، وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال لعثمان: أدرك الأمة قبل أن يختلفوا كما اختلفت اليهود والنصارى».

وبعد انتهاء الغزوة قدم إلى المدينة حذيفة، فأخبر عثمان بذلك، فما كان من عثمان ﷺ إلا أن جمع أصحاب الرسول ﷺ واستشارهم في هذه الفتنة التي كادت تطيح بالرءوس وتسفك الدماء، لهذه الأحداث والأسباب رأي سيدنا عثمان ﷺ بثاقب رأيه وصادق نظره، وكبار الصحابة معه، أن يتداركوا الخرق قبل أن يتسع على الراقع، وأن يستأصلوا الداء قبل أن يعز الدواء.

ثم عزم على توحيد القراءة عن طريق توحيد المصحف، فأرسل عثمان إلى حفصة: أن أرسلى إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فلما أرسلت بها إليه أمر بتشكيل لجنة من خيار الصحابة للقيام بهذا العمل الجليل هم: زيد بن ثابت، وعبد الله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام، وأمرهم أن ينسخوها في المصاحف.

وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن؛ فاكتبوه بلسان قريش؛ فإنه إنما نزل بلسانهم»[البخاري]. ففعلوا ذلك، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة، وأرسل إلى كل قطر بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سوى ذلك من القرآن - في كل صحيفة أو مصحف - أن يحرق، وكان ذلك بإجماع المهاجرين والأنصار، فتم بذلك حفظ القرآن الكريم، وبقى نوراً للناس وشفاء للصدور إلى يوم الدين.

وخلاصة القول في مراحل الجمع الثلاثة ومميزاتها:

أن القرآن كله كان مكتوباً في العهد النبوي، ولكنه لم يكن مجموعاً في مصحف واحد ولا مرتب السور، بل كان موزعاً في العسب والرقاع وغيرها، هذا من جهة. ومن جهة أخرى فإنه كان محفوظاً في صدور الصحابة ولكنهم كانوا متفاوتين في مقدار المحفوظ منه. فمنهم من كان يحفظ أكثره ومنهم من كان يحفظ بعضه.

وفي تمام وفاته صلى الله عليه وسلم عرض القرآن على جبريل مرتين. ثم قام بأمر الناس بعده أبو بكر الصديق ﷺ فحدث في عهده ما حمله على جمع القرآن في صحف متحدة، وقد قام بهذا الجمع زيد بن ثابت حين جمعه ورتبه ووضعه عند أبي بكر. وقد راعى زيد في كتابة الصحف أن تكون مشتملة على ما ثبتت قرآنيته متواتراً واستقر في العرضة الأخيرة، ولم تنسخ تلاوته وأن تكون مرتبة الآيات والسور جميعاً. وتم جمعه على هذا النحو ووضع في بيت أبي بكر، ثم وضع عند عمر بن الخطاب، ثم عند حفصة. وظل الأمر هكذا: إلى أن تولى عثمان بن عفان الخلافة، وفي السنة الثانية أو الثالثة من الخلافة كانت غزوة أرمينية وأذربيجان. واجتمع فيها أهل الشام والعراق وكان من بينهم القراء للقرآن فكان، هذا يقرأ وذاك يسمع ووقع الخلاف بين القراء في وجوه القراءة، وكان كل منهم يتهم الآخر بالخطأ والتحريف في كتاب الله، وأنه هو على الصواب دون غيره، وأدرك عثمان مغبة هذا الاختلاف بين المسلمين، فرأى بحصافة عقله وأد هذه الفتنة والقضاء عليها، فقام بجمع القرآن ونسخه في مصاحف توزع على أمصار الإسلام تكون مرجعاً للناس عند الاختلاف، وإحراق ما عداه وبذلك تجتمع الأمة ويزول الخلاف[1].

---

١) انظر: المنتقى في تاريخ التشريع، محمد أنيس عبادة ص٤٥ : ٤٩.
وكتاب: من الفقه الإسلامي، أحمد الحصري ص١٧ : ٢٣.

جملة ما في القرآن من أحكام

القرآن الكريم ـ كما بينا ـ نور وشفاء، ودستور لشريعة أبدية أصيلة صالحة لإسعاد الناس في حياتهم وبعد مماتهم. وقد اشتمل على:

التوحيد والعقائد كمعرفة الله تعالى وكماله في ذاته وصفاته، مما بحث فيه العلماء في علم التوحيد والكلام.

وفيه من مكارم الأخلاق من العدل والإحسان والصدق، وسائر مباحث علم الأخلاق وفيه أيضاً بيان قصص السابقين، وما كان منهم مع رسلهم وما في ذلك من العظة والاعتبار، وفيه بيان الأحكام التي اختصت بها هذه الشريعة وقد تعرض القرآن الكريم لبيان جميع الأحكام التي تصدر عن الناس وهي:

أولاً: الأحكام التي تنظم المعاملة بين العبد وربه: وهي التي تسمي بالعبادات، وهي:

- إما عبادات بدنية محضة كالصلاة والصوم.
- أو مالية اجتماعية: وهي الزكاة.
- أو بدنية ومالية: وهي الحج.

وتلك العبادات الأربع مع الإيمان بالله هي الأساس للدين الإسلامي.

ثانياً: مشروعات لتأمين الدعوة: وهي الجهاد وما يتعلق به من العهود والغنائم، والأسرى، وعلاقة المسلمين بغير المسلمين ـ على العموم ـ من القوانين الدولية بمختلف أنواعها.

ثالثاً: مشروعات لتكوين الأسر: كالزواج، والطلاق، والميراث، والوصية، والقيام على اليتامى، وآداب الاستئذان، وهي ما سميت بالأحوال الشخصية.

رابعاً: مشروعات للمسائل المدنية لتنظيم معاملات الناس: من بيع وشراء وإجارة، ورهن، وسلم وربا، وهي المعروفة بالمعاملات.

خامساً: مشروعات للأمور الجنائية: من السرقة، والزنا، والقتل وقطع الطريق. وقد بينت حدودها والعقوبات المقررة عليها كالقصاص من القتل، والقطع، والجلد أو الصلب.

تقسيمات القرآن ورسم المصحف

أولاً: تقسيمات القرآن:

- عدد سور القرآن الكريم (١١٤) مائة وأربع عشرة سورة بإجماع العلماء .
- عدد أجزائه (٣٠) ثلاثون جزءاً .
- عدد أحزابه (٦٠) ستون حزباً ، لأنه قسموا الجزء إلى حزبين.
- عدد أرباعه (٢٤٠) مائتان وأربعون ربعاً ، حيث جعلوا الحزب أربعة أرباع .
- عدد آيات القرآن (٦٢٣٦) ستة آلاف ومائتان وست وثلاثون آية . في قول الكوفيين ، وهو العدد الذي رواه مسلم والكسائى عن حمزة .
- عدد حروفه (٣٤٠٧٤٠) ثلثمائة ألف وأربعون ألف وسبعمائة وأربعون حرفاً ، ذكره القرطبي[1] .

ونصفه في الكهف (وليتلطف) في الفاء .

- أما كلماته فهي (٧٧٤٣٩) سبعة وسبعون ألفا وأربع مائة وتسع وثلاثون كلمة .
- وأطول سورة في القرآن الكريم هي سورة البقرة ، أما أقصر سورة فهي سورة الكوثر .
- أطول آية هي آية الدين : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ﴾[البقرة : ٢٨٢] .
- وأما عن أقصر آية ، فقد قال القرطبي : «وقد تكون الكلمة وحدها آية تامة نحو قوله تعالى : ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ ، ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ ، ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾ ، وكذلك ﴿الٓمٓ﴾ ، و﴿الٓمٓصٓ﴾ و﴿طه﴾ ، و﴿يسٓ﴾ ، و﴿حمٓ﴾ في قول الكوفيين ، وذلك في فواتح السور فأما في حشوهن فلا . قال أبو عمرو الداني : ولا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله في الرحمن : ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ لاغير[2] .

---

١) تفسير القرطبي (٦٤/١).

٢) المصدر السابق ص٦٧.

ثانياً: أقسام السور من حيث الطول والقصر:

قسم العلماء السور إلى أربعة أقسام:

*** الطوال. * المئون. * المثاني * المفصل**

١ـ **الطوال**: وهي سبع سور هي: البقرة وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام. والأعراف، والسابعة يونس على الراجح.

٢ـ **المئون**: هي ما ولى الطوال، وسميت بذلك لأن كل سورة منها تزيد على مائة آية، أو تقاربها.

٣ـ **المثاني**: ما ولى المئين لأنها ثنتها أي كانت بعدها، فهي لها ثوان، والمئون لها أوائل، وهي السور التي آياتها تقارب المائة، وقد تطلق على القرآن كله وعلى الفاتحة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]

٤ـ **المفصل**: ما ولى المثاني من قصار السور، سمى بذلك لكثرة الفواصل التي بين السور بالبسملة، وقيل لقلة المنسوخ فيه وبهذا يسمى بالمحكم - كما روى عن ابن عباس - وأوله سورة «الحجرات» على الراجح وآخره سورة «الناس».

الرسم العثماني

الرسم العثماني عبارة عن الطريقة التي ارتضاها عثمان ﷺ في كتابة المصحف الشريف بحروفه وكلماته.

والأصل في المكتوب أن يكون موافقاً تمام الموافقة للفظ المنطوق به من غير زيادة ولا نقص، ولا تبديل ولا تغيير حرف بحرف، ولا كلمة بكلمة. وهكذا. إلا أن المصاحف العثمانية قد خالفت هذا الأصل، فوجد فيها زيادة، وحذف وتبديل حرف بحرف، ولم ترسم الهمزات المتماثلة موحدة، ووصلت بعض الكلمات في موضع، وفصلت في موضع آخر، وهي متماثلة مثل كلمة «أن» مع «لا» - أي ألا - وأيضاً بعض الكلمات التي ورد فيها أكثر من قراءة، وكتبت على وجه واحد مثل: ﴿فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾[الحجرات/٦] و﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾[التوبة/١٢٨].

قال صاحب البرهان: (خطان لا يقاس عليهما، خط المصحف، وخط تقطيع العروض، وقال أبو البقاء: ذهب جماعة من أهل اللغة إلى كتابة الكلمة على لفظها إلا في خط المصحف، فإنهم اتبعوا في ذلك ما وجدوه في الإمام، والعمل على الأول[1].

من هنا يمكن أن نقول إن الخط أنواع ثلاثة:

الأول: خط يقتدى به ولا يغير، وهو رسم المصحف العثماني.

الثاني: خط جرى على إثبات ما جاء به اللفظ، وإسقاط غيره، وهو خط تقطيع العروض.

الثالث: خط جرى على ما عرف عادة وفق القواعد الإملائية، وهو الذي يتكلم به النحوي.

والرسم العثماني أصبح علماً مستقلاً، وفناً له كيانه وأهميته، حتى لقد ألفت فيه المؤلفات، وصنفت فيه المصنفات، ووضعت فيه قواعده وأصوله الخاصة به، ومن أراد الوقوف عليه فليرجع إلى كتاب (المقنع) لأبي عمرو الداني.

هل يجوز كتابة القرآن بالرسم الإملائي وليس العثماني؟

روى أن الإمام مالك سئل: أرأيت من استكتب مصحفاً أترى أن يكتب على ما استحدثه الناس من الهجاء اليوم؟

فقال: لا أرى ذلك، ولكن يكتب على الكتبة الأولى.

· وجاء في المحيط البرهانى في فقه الحنفية ما نصه: (إنه ينبغي ألا يكتب المصحف بغير الرسم العثماني).

---

١) البرهان (١/٣٧٦).

من هذا يتبين أن الرسم العثماني أمر مقدس، وواجب لا محيد عنه، إلا أنه يجوز أن يكتب القرآن بالرسم الإملائى في حالات الضرورة مثل:

١ـ كتابة الألواح في الكتاتيب، للأطفال في مرحلة تعليمهم القرآن الكريم، تلقيناً وكتابة، بكتابتها في تلك الألواح أو ما في حكمها مثل الكراسات والكشاكيل ونحوها، ويلحق بالأطفال من في حكمهم من حيث تعلم القرآن وكتابته لمن يجهل ذلك من الكبار.

٢ـ كتابة الآيات القرآنية التي يستشهد بها في جميع المؤلفات والمصنفات والرسائل العلمية ونحوها.

٣ـ الآيات القرآنية المتواجدة في كتب التفسير أيضاً[1].

---

١) دراسات في علوم القرآن، د. محمد عبد الجليل ص٣٢٥.

الأشياء التي استحدثت في المصاحف

النقط: وهي

- ❖ نقط إعراب.
- ❖ نقط إعجام.

أولاً: نقط الإعراب:

وهو العلامات الدالة على ما يعرض للحرف من: حركة - فتحة أو كسرة أو ضمة - أو سكون أو شد أو مد إلخ وأول من وضعه، هو (أبو الأسود الدؤلى) المتوفى سنة ٩٠هـ، بأمر زياد بن زياد المتوفى سنة ٥٢هـ، والي البصرة، في خلافة معاوية بن أبي سفيان.

سبب وضعه:

إن معاوية بعث إلى زياد يطلب منه إرسال ولده عبيد الله بن زياد، فلما قدم عليه وكلمه وجده يلحن في الكلام، فرده إلى أبيه، وبعث إليه كتاباً يلومه فيه على وقوع ابنه في اللحن، فبعث زياد إلى أبي الأسود وقال له: إن الأعاجم قد أفسدوا لغة العرب، فلو وضعت شيئاً يصلح الناس به كلامهم، فامتنع أبو الأسود، فأجلس زياد رجلاً في طريق أبي الأسود، وقال له: إذا مر بك أبو الأسود فاقرأ شيئاً من كتاب الله تعالى وتعمد اللحن، فلما مر أبو الأسود قرأ الرجل: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ بجر لام (ورسوله) فقال أبو الأسود: معاذ الله أن يتبرأ الله من رسوله، ثم رجع إلى زياد وقال له: قد أجبتك إلى طلبك، فاختار رجلاً من قبيلة عبد القيس وقال له: خذ المصحف ومداداً يخالف لونه لون المصحف، فإذا فتحت شفتي فانقط فوق الحرف نقطة، وإذا ضممتها فانقط أمامه نقطة، وإذا كسرتها فانقط تحته نقطة، وإذا أتبعته غنة - أي تنويناً - فأنقط نقطتين، حتى أتى على آخر المصحف.

وعن (أبى الأسود) أخذ العلماء النقط وأدخلوا عليه بعض التحسين إلى أن جاء عصر الدولة العباسية، وظهر الخليل بن أحمد المتوفى سنة ١٧٠هـ. فأخذ نقط (أبى الأسود) وأدخل عليها تحسيناً . فجعل علامة الفتحة ألفاً صغيرة مبطوحة، لأن الفتحة إذا أشبعت تولد منها ألف، وجعل علامة الضمة واواً صغيرة لأن الضمة إذا أشبعت تولد منها واو، وجعل علامة الكسرة ياء صغيرة، لأن الكسرة إذا أشبعت تولد منها ياء . وزاد على ذلك فجعل علامة للتشديد وهي رأس شين، وعلامة للسكون، وهي رأس خاء، وأخرى للهمز ... إلخ وظل الأمر على ذلك مع بعض تحسين طفيف حتى عصرنا هذا .

ثانياً: نقط الإعجام (الحروف المنقوطة):

هو العلامات التي تميز الحروف بعضها من بعض، كي لا يلتبس معجم بمهمل، والحروف المعجمة خمسة عشر حرفاً وهى : ب، ت، ث، ج، خ، ذ، ز، ش، ض، ظ، غ، ف، ق، ن، ي.

وأن أول من نقط الحروف العربية، لإيجاد الفرق بين الحروف المتشابهة هو : نصر بن عاصم، ثم يحيى بن يعمر، وقد جعلا النقط بلون مداد المصحف ليتميز عن نقط (أبي الأسود) وذلك بأمر الحجاج بن يوسف الثقفي، لاهتمامه بشكل القرآن ونقطه، وتوزيعه على الأمصار مشكولاً، منقطاً، حتى لا يحدث لبس أو تحريف أو تصحيف.

كذلك استحدث أيضاً في رسم المصحف شيء آخر، هو تقسيم المصحف إلى : أجزاء، وأحزاب، وأرباع .. وما يتصل بذلك مثل وضع علامات للسجدات، والوقوف، والفواصل، والسكت، ثم وضع أسماء السور في المصاحف .. إلخ وكان ذلك في زمن الحجاج بن يوسف الثقفي.



المبحث الثاني

فى

فضائل القرآن وآدابه

قال الله تعالى:

* ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾

{الإسراء: ٨٢}

* وعن عثمان بن عفان ﷺ عن النبى ﷺ قال:

«خَيركم من تعلم القرآن وعلمه» {البخارى}

* وقال الإمام الشاطبى فى فضل القرآن:

وخير جليس لا يمل حديثـــــه وترداده تزداد فيه تجمـــــــلا

وحيث الفتى يرتاع فى ظلماته من القبر يلقاه سنا متهلـــــــلا

هنالك يهنيه مقيلا وروضـــة ومن أجله فى ذروة العز يجتلى

يناشد فى إرضائه لحبيبـــــه وأجدر به سؤلا إليه موصـــلا

فيأيها القارى به متمسكـــــا فجلا له فى كل حال مبجـــــلا

هنيئا مريئا والداك عليهــما ملابس أنوار من التاج والحلى

المبحث الثاني
في
فضائل القرآن وآدابه

فضيلة تلاوة القرآن - إكرام أهل القرآن - آداب القرآن - أولاً: آداب حامل القرآن - ثانياً: آداب القراءة. ثالثاً: آداب ختم القرآن - وجوب تعظيم القرآن وإكرام المصحف.

إن الله - سبحانه وتعالى، من على هذه الأمة - زادها الله شرفاً - بالإسلام، وأكرمها بالقرآن أفضل الكلام، الذي أنزله على محمد ﷺ خير الأنام، وضاعف الأجر والثواب بتلاوته، وتعبدنا بقراءته آناء الليل وأطراف النهار، وأمرنا بالاعتناء به والإعظام، وملازمة الأدب معه، وبذل الوسع في الاحترام.

يقول ابن قتيبة[1]:

وإنما يعرف فضل القرآن، من كثر نظره، واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانهم في الأساليب، وما خص الله به لغتهم دون جميع سائر اللغات.. .

هذا، وقد وقفت على كتاب (التبيان في آداب حملة القرآن) للإمام النووي - رحمه الله - أفرده بالحديث عن آداب حمل القرآن الكريم علماً وتعلماً، وبحث فيه أوقات تلاوته، وطرائقها وفضائلها... إلخ ولأهميته ولاستيعابه معظم ما يتعلق بموضوعه، فقد اقتبست منه جملاً وسطوراً، تفيدك - أيها القارئ الكريم - عسى أن يكون فيها الخير الكثير، والنفع العميم، فدونك إياها في العناوين التالية:

- فضيلة تلاوة القرآن.
- إكرام أهل القرآن والنهى عن أذاهم.
- آداب حامل القرآن.
- آداب قراءة القرآن.
- وجوب تعظيم القرآن واحترام المصحف.

---

١) تأويل مشكل القرآن ص١١.

فضيلة تلاوة القرآن

قال الله عز وجل:

- ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ۝ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ ﴾[فاطر: ٢٩، ٣٠].

- ﴿ ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾ [فاطر: ٣٢]

وقال رسول الله ﷺ :

- «خيركم من تعلم القرآن وعلمه»[رواه البخاري].
- «الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران»[رواه الشيخان].
- «إن الله تعالى يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين»[رواه مسلم].
- «اقرءوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه»[رواه مسلم].
- مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة لا ريح لها، وطعمها طيب حلو. ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كمثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة ليس لها ريح وطعمها مر»[رواه الشيخان].
- «لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله القرآن، فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار، ورجل آتاه الله مالاً فهو ينفقه آناء الليل وآناء النهار»[رواه الشيخان].
- «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الٓمٓ) حرف ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف»[رواه الترمذي].
- «إن الذي ليس في جوفه شيء من القرآن كالبيت الخرب»[رواه الترمذي].

«يقال ـ لصاحب القرآن ـ اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها»[رواه أبو داود].

ـ «يقول الله سبحانه وتعالى: من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين، وفضل كلام الله سبحانه وتعالى على سائر الكلام كفضل الله تعالى على خلقه»[رواه الترمذى].

ـ «من قرأ القرآن وعمل بما فيه، ألبس الله والديه تاجاً يوم القيامة، ضوؤه أحسن من ضوء الشمس في بيوت الدنيا ، فما ظنكم بالذي عمل بهذا»

[رواه أبو داود]

ـ «اقرءوا القرآن، فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن، وإن هذا القرآن مأدبة الله، فمن دخل فيه فهو آمن، ومن أحب القرآن فليبشر»[رواه الدارمي].

إكرام أهل القرآن والنهى عن أذاهم

قال الله عز وجل:

- ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾[الحج: ٣٢].

- ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[الأحزاب: ٥٨].

وقال رسول الله ﷺ :

ـ «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله تعالى»[رواه مسلم].

ـ «إن من إجلال الله تعالى، إكرام ذى الشيبة المسلم، وحامل القرآن غير الغالى فيه والجافى عنه، وإكرام ذى السلطان المقسط»[رواه أبو داود].

ـ وعن جابر بن عبد الله: أن النبي ﷺ كان يجمع بين الرجلين من قتلى أحد، ثم يقول: أيهما أكثر أخذاً للقرآن، فإن أشير إلى أحدهما قدمه في اللحد»

[رواه البخاري]

ـ وعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الله عزوجل قال: من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»[رواه البخاري].

وعن الإمامين الجليلين أبي حنيفة والشافعي قالا: «إن لم يكن العلماء أولياء الله فليس لله ولي».
قال الحافظ أبو القاسم بن عساكر رحمه الله:
«اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة، وأن من أطلق لسانه في العلماء بالثلب ابتلاه الله تعالى قبل موته، بموت القلب، ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾».
[النور:٦٣]

آداب القرآن

وهي آداب كثيرة ومتنوعة، ونحن نشير إلى أطراف منها، كراهة الإطالة، وخوفاً على القارئ من السآمة والملل، ولذا نوجزها في ثلاثة أقسام هي:
* آداب حامل القرآن. * آداب القراءة. * آداب ختم القرآن.

أولاً: آداب حامل القرآن:

* **ومن آداب حامل القرآن أن يكون على أكمل الأحوال وأكرم الشمائل،** وأن يرفع نفسه عن كل ما نهى القرآن عنه إجلالاً للقرآن، متواضعاً للصالحين وأهل الخير والمساكين، وأن يكون متخشعاً ذا سكينة ووقار.

فقد جاء عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: ينبغي لحامل القرآن أن يعرف بليله إذا الناس نائمون، وبنهاره إذا الناس مفطرون، وبحزنه إذا الناس يفرحون، وبكائه إذا الناس يضحكون، وبصمته إذا الناس يخوضون، وبخشوعه إذا الناس يختالون.

وعن الفضيل بن عياض قال: حامل القرآن حامل راية الإسلام، لا ينبغي أن يلهو مع من يلهو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلغو مع من يلغو تعظيماً لحق القرآن.

* **أن لا يتكسب العيش من تلاوة القرآن:**

قال النوي: ومن أهم ما يؤمر به، أن يحذر كل الحذر من اتخاذ القرآن معيشة يكتسب بها، فقد جاء عن عبد الرحمن بن شبيل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «اقرءوا القرآن، ولا تأكلوا به ولا تجفوا عنه، ولا تغلوا فيه»
[رواه مسلم]

وأما أخذ الأجرة على تعليم القرآن فقد اختلف العلماء فيه، فمنع أخذ الأجرة عليه جماعة من العلماء، وأجازه آخرون، وقد جاء بالجواز الأحاديث الصحيحة.

* المحافظة على القراءة بالليل:

ينبغي أن يكون اعتناؤه بقراءة القرآن في الليل أكثر. قال الله تعالى:

﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾[آل عمران: ١١٣، ١١٤].

وثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل»[رواه الشيخان]. وفي الحديث الآخر: «يا عبد الله لا تكن مثل فلان كان يقوم الليل ثم تركه»[رواه الشيخان].

وعند الطبراني أن رسول الله ﷺ قال: «شرف المؤمن قيام الليل».

قال النووي: وإنما رجحت صلاة الليل وقراءته؛ لكونها أجمع للقلب، وأبعد عن الشاغلات والملهيات والتصرف في الحاجات، وأبعد عن الرياء، مع ما جاء الشرع به من إيجاد الخيرات في الليل. فإن الإسراء برسول الله ﷺ كان ليلاً.

وحديث: «ينزل ربكم كل ليلة إلى سماء الدنيا، حين يمضى شطر الليل فيقول: هل من داع فاستجيب له»[رواه البخاري].

وحديث: «من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً إلا أعطاه الله إياه، وهى كل ليلة»[رواه مسلم].

واعلم أن فضيلة قيام الليل تحصل بالقليل والكثير، وكلما كثر كان أفضل روى أبو داود أن رسول الله ﷺ قال: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقسطين».

* الأمر بتعهد القرآن والتحذير من نسيانه: ثبت في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: ـ «تعاهدوا هذا القرآن، فو الذي نفس محمد بيده لهو أشد تفلتاً من الإبل في عقلها»[رواه الشيخان].

- «إنما مثل صاحب القرآن، كمثل الإبل المعقلة، إن عاهد عليها أمسكها وإن أطلقها ذهبت»[رواه الشيخان].

«من قرأ القرآن ثم نسيه لقى الله - عز وجل - يوم القيامة وهو أجذم» [رواه الترمذي]

ثانياً: آداب القراءة

قال النووي: يجب على القارئ الإخلاص، ومراعاة الأدب مع القرآن، فينبغي له أن يستحضر في نفسه أنه يناجي الله تعالى، ويقرأ على حال من يرى الله تعالى، فإنه إن لم يكن يراه فإن الله تعالى يراه.

١- السواك عند القراءة:

وينبغى له إذا أراد القراءة أن ينظف فاه بالسواك وغيره، والاختيار في السواك أن يكون بعود من أراك، ويجوز بغيره وبكل ما ينظف الفم والأسنان كالفرشاة والمعجون ونحو ذلك.

٢- القراءة على طهارة:

يستحب أن يقرأ القرآن وهو على طهارة، فإن كان محدثاً جاز بإجماع المسلمين - طالما في غير المصحف - لكنه تارك للأفضل، أما الجنب والحائض فإنه يحرم عليهما قراءة القرآن ولو آية، ويجوز لهما إجراء القرآن على قلبهما من غير تلفظ به، كما يجوز لهما النظر في المصحف، وأجمع المسلمون على جواز التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير والصلاة على النبي ﷺ وغير ذلك من الأذكار للجنب والحائض.

٣- القراءة في مكان طاهر:

ويستحب أن تكون القراءة في مكان نظيف طاهر؛ ولهذا استحب جماعة من العلماء القراءة في المسجد، لكونه جامعاً للنظافة وشرف البقعة، ومحصلاً لفضيلة أخرى وهى الاعتكاف، فإنه ينبغي لكل جالس في المسجد أن ينوى الاعتكاف، سواء أكثر فى جلوسه أو أقل، وهذا الأدب ينبغي أن يعتني به، ويشاع ذكره، ويعرفه الصغار والكبار، فإنه مما يغفل عنه.

٤ـ استقبال القبلة عند القراءة:

يستحب للقارئ ـ في غير الصلاة ـ أن يستقبل القبلة، ويجلس متخشعاً بسكينة ووقار، مطرقاً رأسه، ويكون جلوسه وخضوعه كجلوسه بين يدى معلمه، فهذا هو الأكمل، ولو قرأ قائماً أو مضطجعاً، أو في فراشه، أو على غير ذلك من الأحوال جاز، وله أجر، ولكن دون الأول. قال الله عز وجل:

﴿ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[آل عمران: ١٩١].

وثبت في الصحيحين عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: كان رسول الله ﷺ يتكئ في حجرى وأنا حائض، ويقرأ القرآن». وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: إنى لأقرأ حزبي، وأنا مضطجعة على السرير.

٥ـ الاستعاذة في أول القراءة:

فإذا أراد الشروع في القراءة استعاذ فقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾[النحل: ٩٨]

ثم إن التعوذ مستحب وليس بواجب، وهو مستحب لكل قارئ، سواء كان في الصلاة أو في غيرها، وينبغي أن يحافظ على قراءة بسم الله الرحمن الرحيم في أول كل سورة سوى سورة براءة.

٦ـ الخشوع في القراءة:

فإذا شرع في القراءة فليكن شأنه الخشوع والتدبر عند القراءة، والدلائل عليه أكثر من أن تحصر، وأشهر من أن تذكر، فهو المقصود المطلوب، وبه تنشرح الصدور، وتستنير القلوب، قال الله عز وجل:

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾[النساء: ٨٢].

والأحاديث فيه كثيرة، وأقاويل السلف فيه مشهورة، وقد بات جماعة من السلف يتلون آية واحدة يتدبرونها ويرددونها إلى الصباح، وقد صعق جماعة من السلف عند القراءة، ومات جماعات حال القراءة.

روى عن بهز بن حكيم: أن زرارة بن اوفى التابعى الجليل ﷺ أمّ الناس في صلاة الفجر، فقرأ حتى بلغ: ﴿ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٖ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾[المدثر: ٨، ٩] فخر ميتاً. قال بهز: وكنت فيمن حمله. وقال العارف بالله إبراهيم الخواص: دواء القلب في خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين.

٧- استحباب الترتيل:

وينبغي أن يرتل قراءته، امتثالاً لقول الحق تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلاً﴾ [المزمل: ٤]. أى لا تعجل بقراءة القرآن، بل اقرأه في مهل وبيان مع تدبر المعاني.

ثبت عن أم سلمة -رضى الله عنها- «أنها نعتت قراءة رسول الله ﷺ قراءة مفسرة حرفاً حرفاً» رواه الترمذى في سننه.

وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: لأن أقرأ سورة أرتلها أحب إليّ من أن أقرأ القرآن كله.

قال العلماء: والترتيل مستحب للتدبر ولغيره. وقالوا: يستحب الترتيل للعجمى - الذي لا يفهم معناه - لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام، وأشد تأثيراً في القلب.

٨ - القراءة حسب ترتيب المصحف:

قال العلماء: الاختيار أن يقرأ على ترتيب المصحف وخاصة فى الصلاة، فالآية أو السورة التي يقرأها في الركعة الثانية تكون في الترتيب بعد التي قرأها في الركعة الأولى، فلو عكس كان تنكيساً، وهو مكروه.

٩ - القراءة من المصحف أفضل:

قراءة القرآن من المصحف أفضل من القراءة عن ظهر القلب؛ لأن النظر في المصحف عبادة مطلوبة، فتجتمع القراءة والنظر هكذا.

وذكر الغزالى في الإحياء أن كثيرين من الصحابة ـ رضى الله عنهم ـ كانوا يقرءون من المصحف، ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا في المصحف.

ولو قيل: إنه يختلف باختلاف الأشخاص، لكان هذا قولاً حسناً.

١٠ـ رفع الصوت بالقراءة:

اعلم أنه جاءت أحاديث كثيرة ـ في الصحيح ـ دالة على استحباب رفع الصوت بالقراءة، وجاءت آثار دالة على استحباب الإخفاء.

قال الغزالى وطريق الجمع بين الأحاديث والآثار المختلفة أن الإسرار أبعد من الرياء فهو أفضل في حق من يخاف ذلك، فإن لم يخف الرياء فالجهر ورفع الصوت أفضل، لأن فائدته تتعدى إلى غيره، ولأنه يوقظ القارئ، ويطرد النوم ويزيد في النشاط.

عن أبي موسى الأشعرى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود»[رواه الشيخان].

وروى ابن أبي داود عن علي ﷺ أنه سمع ضجة ناس في المسجد يقرءون القرآن، فقال: طوبى لهؤلاء كانوا أحب الناس لرسول الله ﷺ وعن عقبة بن عامر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة، والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة» قال الترمذي: حديث حسن ومعناه أن الذي يسر بقراءة القرآن أفضل من الذي يجهر بها؛ لأن صدقة السر أفضل عند أهل العلم من صدقة العلانية.

١١ـ استحباب تحسين الصوت بالقراءة:

قال النووى: أجمع العلماء من السلف والخلف ومن بعدهم من أئمة المسلمين على استحباب تحسين الصوت بالقرآن، ودلائل هذا من حديث رسول الله ﷺ مستفيضة عند الخاصة والعامة مثل:

ـ حديث: «من لم يتغن بالقرآن فليس منا»[رواه أبو داود].

قال جمهور العلماء: معنى لم يتغن أي لم يحسن صوته.

وحديث البراء ﷺ قال: «سمعت رسول الله ﷺ قرأ في العشاء بالتين والزيتون، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً منه»[رواه الشيخان].

قال العلماء رحمهم الله: فيستحب تحسين الصوت بالقراءة وترتيلها ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط وإلا حرام.

ثالثاً: آداب ختم القرآن

قال النووي: ينبغي أن يحافظ على تلاوة القرآن والإكثار منها، وكان السلف رضى الله عنهم لهم عادات مختلفة في قدر ما يختمون فيه، فروى ابن أبي داود عن بعض السلف أنهم كانوا يختمون في كل شهرين ختمة واحدة، وعن بعضهم في كل شهر ختمة، وعن بعضهم في كل عشر ليال ختمة، وعن بعضهم في كل ثمانى ليال، وعن الأكثرين في كل سبع ليال، وعن بعضهم في كل ست، وعن بعضهم في كل خمس، وعن بعضهم في كل أربع، وعن كثيرين في كل ثلاث، وعن بعضهم في كل ليلتين. وختم بعضهم في كل يوم وليلة ختمة.. وقد كره جماعة من المتقدمين الختم في يوم وليلة، ويدل عليه الحديث الصحيح: «لا يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»[رواه أبو داود].

قال النووي: والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف، فليقتصر على قدرما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة، فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل.

هذا، وقد ذكر النووي خمس مسائل تتعلق بآداب الختم هذه خلاصتها:

الأولى: في وقته، ويستحب أن يكون الختم للقارئ ـ وحده ـ في الصلاة، وأنه قيل: يستحب أن يكون في ركعتى سنة الفجر، وركعتى سنة المغرب، وأنه يستحب أن يختم ختمة في أول النهار في دور، ويختم ختمة أخرى في آخر النهار في دور آخر.

وأما من يختمه في غير الصلاة، فيستحب أن تكون الختمة أول النهار، أو في أول الليل، وأول النهار أفضل عند بعض العلماء.

المسألة الثانية: يستحب صيام يوم الختم، إلا أن يصادف يوماً نهى الشرع عن صيامه، روى هذا عن بعض التابعين الكوفيين.

المسألة الثالثة: يستحب حضور مجلس ختم القرآن استحباباً مؤكداً، روى عن أنس بن مالك ﷺ كان إذا ختم القرآن جمع أهله ودعا، وكانوا يقولون: الدعاء يستجاب عند ختم القرآن، وفي بعض الروايات الصحيحة: أن الرحمة تنزل عند خاتمة القرآن.

المسألة الرابعة: الدعاء مستحب عقب الختم استحباباً متأكداً.

روى الدارمي قال: من قرأ القرآن ثم دعا أمن على دعائه أربعة آلاف ملك وينبغي أن يلح في الدعاء، وأن يدعو بالأمور المهمة، وأن يكثر في دعائه في صلاح المسلمين وصلاح سلطانهم وسائر ولاة أمور المسلمين، ويختار الدعوات الجامعة.

المسألة الخامسة: يستحب إذا فرغ من الختمة، أن يشرع في أخرى، فقد استحبه السلف واحتجوا فيه بحديث أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «خير الأعمال الحل والرحلة. قيل وما هما؟ قال: افتتاح القرآن وختمه»[1].

وجوب تعظيم القرآن وإكرام المصحف

ثبت في صحيح مسلم عن تميم الدارى أن النبي ﷺ قال:

«الدين النصيحة» قلنا لمن؟

قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»

قال العلماء: النصيحة لكتاب الله تعالى هي الإيمان بأنه كلام الله تعالى وتنزيله، لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها، والخشوع عندها، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله، والاعتناء بمواعظه، والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه، والتسليم بمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه..إلخ.

قال القاضى عياض: أجمع المسلمون على أن القرآن المتلو في الأقطار، المكتوب في الصحف، الذي بأيدى المسلمين مما جمعه الدفتان من أول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى آخر: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ كلام الله

---

١) قال محققه: لم أعثر على الحديث في كتب الصحاح.

ووحيه المنزل على سيدنا محمد ﷺ وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص منه حرفاً ـ قاصداً لذلك ـ أو زاد فيه مما لم يشتمل عليه المصحف .. فهو كافر.

وجوب صيانة المصحف:

قال النووي: أجمع المسلمون على وجوب صيانة المصحف واحترامه، ولو ألقاه مسلم في القاذورة ـ والعياذ بالله تعالى ـ صار بذلك كافراً قال: ويحرم توسده، بل توسد آحاد كتب العلم حرام، فالمصحف أولى بالحرمة.

١ـ يَحرم السفر بالمصحف إلى أرض العدو، إذا خيف وقوعه في أيديهم للحديث المشهور في الصحيحين: «أن رسول الله ﷺ نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو»[رواه الشيخان].

٢ـ لا يجوز أن يشترى الكافر مصحفاً؛ لما في ذلك من الإهانة للمصحف وإن اشتراه فالشراء فاسد، واحتج الفقهاء لذلك بالحديث السابق.

٣ـ يحرم على المحدث والجنب والحائض مس المصحف، وحمله، سواء حمله بعلاقته أو بغيرها، سواء مس نفس الكتابة أو الحواشي أو الجلد، ولو كتب القرآن في لوح فحكمه حكم المصحف، ولو بعض آية.

٤ـ لا تجوز كتابة القرآن بشيء نجس، وتكره كتابته على الجدران.

٥ـ اعتاد المسلمون على أن يضعوا المصحف في المرتبة العالية، فلا يضعونه على الأرض، ولا يضعون شيئاً فوقه، فإنه يعلو ولا يعلى عليه، وعلو مكانه من علو منزلته، ومن ثم نهى الشارع عن توسده.

٦ـ والحلف بالمصحف، أو بالقرآن، أو سورة، أو آية منه، يعتبر يميناً، كالحلف بالله تعالى.

ما يصنع بالمصحف إذا بلى:

ذهب الفقهاء من الحنفية، إلى أن المصحف إذا بلى وصار بحال لا يقرأ فيه فإنه يجعل في خرقة طاهرة، ويدفن في محل غير ممتهن، كما أن المسلم إذا مات يدفن إكراماً له.



المبحث الثالث

من أسرار التشريع في السنة

قال الله تعالى:

﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾

{النحل: ٤٤}

* وقال رسول الله ﷺ «أوصيكم بالسمع والطاعة، وإن تأمر عليكم عبد. وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا. فعليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة» {الترمذى}

المبحث الثالث
من أسرار التشريع في السنة

تمهيد ـ معناها ـ أقسامها ـ الفرق بين السنة والحديث ـ حجية السنة في التشريع ـ مرتبة السنة في التشريع ـ علاقة السنة بالقرآن ـ المخالفون في حجية السنة ـ تدوين السنة ـ أثر تدوين السنة.

تمهيـــد:

لما كان القرآن الكريم هو المصدر الأول للتشريع الإسلامي، وجاءت معظم آياته مجملة، جاءت السنة النبوية المشرفة، وهي المصدر الثاني للتشريع ببيان هذا المجمل، وتفصيل المقيد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، والله عز وجل هو الذي وكل إلى النبي ﷺ هذا البيان، فقال سبحانه وتعالى:

﴿.. وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ..﴾[النحل: ٤٤].

والرسول ﷺ في كل ذلك لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي، كما نطق بذلك القرآن الكريم، لذا وجب علينا طاعته، والتحذير من مخالفته، كما قال سبحانه وتعالى:

﴿.. وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ..﴾[الحشر: ٧].

وقال جل ثناؤه: ﴿.. فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣].

فالقرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة هما أساس الدين والنور الهادي إلى الصراط المستقيم، والتمسك بهما هو سر نجاح هذه الأمة، وتقدمها وسعادتها، مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً: كتاب الله وسنتي»[رواه مسلم].

ولما كان للسنة النبوية هذه المكانة العظيمة، عرف السلف الصالح للسنة مكانتها وقدرها فرعوها حق رعايتها بالحفظ في الصدور، والسطور، والعمل بها والتمسك بأحكامها، والتحلي بآدابها .. جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم.

معناها: السنة في اللغة الطريقة المعتادة حسنة كانت أو سيئة، ومنه الحديث الذي رواه الإمام مسلم: «من سن في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء».

ـ **والسنة عند الفقهاء**: تطلق على ما يقابل الواجب، فإذا قيل: إن الركعتين قبل صلاة الفجر سنة يعنى: لا يتحتم فعلهما، وفي معنى السنة عند أكثر الفقهاء: المندوب، المستحب، التطوع والنفل، وبعضهم فرق بين السنة والمندوب وغيره.

وقد تطلق في مقابلة البدعة: فيراد بها المشروع مطلقاً، سواء أدل عليه كتاب أم أثر، فيقال: فلان على سنة إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي ﷺ ويقال: فلان على بدعة إذا عمل على خلاف ذلك.

ـ **والسنة عند علماء الأصول**: هي ما صدر عن النبي ﷺ ـ غير القرآن ـ من قول أو فعل أو تقرير، وهي بهذا المعنى دليل من أدلة إثبات الأحكام الشرعية.

أقسامها:

تنقسم السنة باعتبار مفهومها إلى:

١ـ **السنة القولية**: وهي الأحاديث المروية عن الرسول ﷺ كقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى»[رواه الشيخان].

٢ـ **السنة الفعلية**: وهي ما وقع من النبي ﷺ من الأعمال الشرعية، كفعله ﷺ في الصلاة ومناسك الحج والوضوء، والحدود.

٣ـ **السنة التقريرية**: وهي ما ثبت بسكوته عن إنكار فعل أو قول صدر من أحد من أمته في حضرته أو غيبته مع علمه وقدرته على الإنكار، مثل: ما روى من طعن المنافقين في نسب أسامة بن زيد بسبب اختلاف اللون لشدة سواد أسامة وشدة بياض أبيه زيد، فنظر إليهما القائف وقد غطيا بقطيفة ولم يظهر منهما سوى أقدامهما وقال: إن هذه الأقدام بعضها من

بعض، فظهر السرور على وجه النبي ﷺ بهذا القول، فكان ذلك تقريراً من الرسول ﷺ على جواز ثبوت النسب بالقيافة.

- وهذه الأنواع الثلاثة - للسنة - حجة تثبت بها الأحكام الشرعية.

الفرق بين السنة والحديث:

السنة أعم وأشمل لأنها تشمل القول والفعل والتقرير، أما الحديث فهو يختص بقوله ﷺ فهو متحد مع السنة القولية، ومن ثم كانت السنة أعم وأشمل من الحديث.

حجية السنة في التشريع:

السنة مصدر من مصادر التشريع والدليل على ذلك:

أولاً: القرآن الكريم:

١- قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ ..﴾[النساء:٥٩]. فقد صرحت الآية بالأمر بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ وهذا دل على أن طاعة الله ما أمر به ونهى عنه في كتابه، وطاعة الرسول ما أمر به ونهى عنه مما جاء به مما ليس في القرآن، وعن ميمون بن مهران أن الرد إلى الله هو الرجوع إلى كتابه، والرد إلى الرسول هو الرجوع إليه في حياته وإلى سنته بعد مماته.

٢- قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾[الفتح: ١٠] ولا تتحقق المبايعة إلا باعتبار قوله وفعله وهو سنته.

٣- قوله تعالى: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[النور: ٦٣] فقد حذر الله من مخالفة رسوله، وتوعد من يخالفه بالعذاب الشديد.

ثانياً: إن الإسلام لا يتحقق في مسلم إلا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وأنه صادق في كل ما يبلغه عن ربه، فإذا تقرر ذلك :

١ـ فإنه صلى الله عليه وسلم قال: «ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه. ألا يوشك رجل شبعان على أريكته يقول: عليكم بهذا القرآن فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه، وما وجدتم فيه من حرام فحرِّموه، ألا وإن ما حرم رسول الله كما حرم الله»[رواه أبو داود]. وهذا نص صريح على أن ما حرمه الرسول ﷺ مثل ما حرم الله ، ومثل الحرام بقية الأحكام، لأنه لا فرق بين الأحكام الشرعية.

٢ـ روى الأوزاعي عن حسان قال: كان الوحي ينزل على رسول الله ﷺ ويحضره جبريل بالسنة التي تفسر ذلك، فلم يكن للنبي ﷺ فيما يصدر عنه من قول، أو فعل، أو تقرير، إلا مصدراً عن الوحي ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝ ﴾[النجم: ٣، ٤] ولهذا قال مطرف بن عبد الله لما قيل له: لا تحدثونا إلا بالقرآن، قال: والله لا نبغي بالقرآن بدلاً ولكن نريد من هو أعلم منا بالقرآن.

٣ـ وعن ابن مسعود؇: قال لعن الله الواشمات والمستوشمات والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله، فقالت له امرأة في ذلك، فقال: وما لي لا ألعن من لعنه رسول الله ﷺ وهو في كتاب الله؟ قال الله تعالى:

﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ ﴾[الحشر:٧] متفق عليه.

وعن عمران بن حصين أنه قال: «إنك امرؤ أحمق أتجد في كتاب الله الظهر أربعاً لا يجهر فيها بالقراءة، ثم عدّد عليه الصلاة والزكاة ونحو هذا. ثم قال: أتجد ذلك في كتاب الله مفسراً. إن كتاب الله أبهم هذا. وإن السنة تفسر ذلك. ذكر هذه الآثار ابن عبد البر في كتاب جامع بيان العلم وفضله(٢ـ١٨٨).

٤ـ فالقرآن محتاج في بيانه وفهمه إلى السنة أكثر من احتياج السنة إلى القرآن. وذلك أن الله تعالى أمرنا بالصلاة والصوم والزكاة والحج... ولكن الكتاب العزيز لم يبين عدد الصلوات وأوقاتها وكذلك سائر ما أمر به مجملاً، وقد جاءت السنة فبينت ذلك، تفصيلاً وتوضيحاً، فذلك داخل

تحت عموم قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ..﴾ [النحل: ٤٤].

٥ـ وقد وردت في السنة أحكام سكت عنها القرآن. كتحريم نكاح البنت على عمتها أو خالتها، وتحريم الحمر الأهلية وكل ذى ناب من السباع، وفكاك الأسير، وقتل المسلم بالذمى. وأحكام الدية.. فهذه الأحكام ونحوها مصدرها الوحيد هو السنة، ولا غرابة في ذلك فإن الله تعالى جعل بيان القرآن للتشريع بياناً كلياً عاماً. وترك لرسوله ﷺ ـ عن طريق السنة ـ تبيان كل شيء، مصداق ذلك قوله تعالى:

﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾[النحل: ٤٤] فمن ثم كانت السنة واجبة الاتباع[١].

مرتبة السنة في التشريع:

القرآن هو أصل الشريعة والسنة هي الدليل الثاني، وقد دلت الآيات الكثيرة على حجية السنة، وأن رتبتها في الاعتبار بعد رتبة الكتاب، فهى في المقام الثاني منه، والدليل على ذلك أمور منها:

١ـ أن الكتاب مقطوع به جملة وتفصيلاً، لأن آياته متواترة عن الرسول ﷺ عن جبريل عليه السلام عن رب العزة جل وعلا، أما القطع به جملة فلأنه جميعه في جملته متواتر ومقطوع بأنه من عند الله تعالى.

وأما القطع به على التفصيل: فلأن كل آية من آياته ثبتت بالتواتر، ومقطوع بأنها من عند الله سبحانه وتعالى، وأما السنة فإنها مظنونة وما فيها من القطع كالحديث المتواتر ففي الجملة فقط، أي أنها في جملتها تشتمل على المقطوع به، والمظنون فيها كثير، والمقطوع به مقدم على المظنون.

٢ـ أن السنة بيان للكتاب، والبيان يكون بعد المبيّن.

---

١) انظر المنتقى في تاريخ التشريع الإسلامي، محمد أنيس عبادة.

٣ـ حديث معاذ ـ الذي رواه أبو داود ـ أن النبي ﷺ حين أرسله إلى اليمن، قال له كيف تصنع إذا عرض لك قضاء؟

قال: أقضى بما في كتاب الله .

قال: صلى الله عليه وسلم: فإن لم يكن في كتاب الله ؟

قال ـ معاذ ـ فبسنة رسول الله.

قال صلى الله عليه وسلم : فإن لم يكن في سنة رسول الله ؟

قال: أجتهد رأي لا آلو.

ـ فقد جاء ترتيب السنة بعد القرآن في هذا الخبر ونحوه.

وعن عمر بن الخطاب أنه كتب إلى شريح القاضي: «انظر ما تبين لك في كتاب الله فلا تسأل عنه أحداً، وما لم يتبين لك في كتاب الله فاتبع فيه سنة رسول الله ﷺ » ومثل هذا كثير في كلام السلف والعلماء.

علاقة السنة بالقرآن:

علاقة السنة بالقرآن من حيث الأحكام الثابتة بها تتضمن ما يأتي:

١ـ السنة المؤكدة: وهي الأحاديث التي تؤكد المعانى والأحكام التي جاءت في بعض آيات القرآن الكريم: ومثل هذا النوع كثير لا يعد ولا يحصى، ومن أمثلة تلك السنة المؤكدة.

* حديث: «لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب من نفسه»[رواه الديلمى] فقد جاء تأكيداً للآية الكريمة: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾[النساء: ٢٩].

* حديث: «إن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»[رواه البخاري] فقد جاء تأكيداً وموافقاً لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَـٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[هود: ١٠٢].

٢ـ السنة المفسرة للكتاب، والمبينة لمراد الله تعالى: فمثلاً جاء الأمر بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة في قوله تعالى:

﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[البقرة: ٤٣] فإن النص القرآنى جاء مجملاً في أعداد الصلاة المفروضة والأوقات، وهو كذلك في مقدار النصاب الذي تجب فيه الزكاة، والأموال نفسها، وقد جاءت السنة ببيان هذا بالقول أو الفعل، قال صلى الله عليه وسلم: «صلوا كما رأيتمونى أصلى»[رواه البخاري] وقال «خذوا عنى مناسككم»[رواه مسلم].

٣ـ وتأتي السنة لتوضيح المشكل: مثل قوله تعالى:

﴿ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ﴾[البقرة: ١٨٧]

فالآية تفيد حل الأكل والشرب للصائم إلى أن يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود. فقد ظن بعض الصحابة أن المراد بالخيط ظاهره، فأخذ عقالاً أبيض وعقالاً أسود ووضعهما تحت الوسادة، فنظر فلم يتبين شيئاً وذكر ذلك للرسول ﷺ فضحك وقال: «إن وسادك لعريض طويل، إنما هو الليل والنهار» فزال الإشكال.

٤ـ وأيضاً السنة قد تخصص عموم القرآن، كقوله تعالى:

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ ﴾[الأنعام: ٨٢] فقد فهم بعض الصحابة أن المراد بالظلم العموم حتى قالوا: أينا لم يظلم، فقال صلى الله عليه وسلم: ليس بذاك إنما هو الشرك، ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾[لقمان:١٣].

٥ ـ ثم تأتي السنة لتقييد المطلق. كقوله تعالى في عقوبة السارق: ﴿فَٱقۡطَعُوٓاْ أَيۡدِيَهُمَا ﴾[المائدة: ٣٨] فاليد مطلقة تصدق على اليمين وعلى اليسار فقيده صلى الله عليه وسلم باليد اليمنى.

٦ـ السنة المستقلة وقد ترد السنة مثبتة لحكم سكت عنه القرآن، وهي بهذا تكون مصدراً تشريعياً مستقلاً بذاته في الظاهر، ومن أمثلة ذلك تحريم السنة للجمع بين المرأة وعمتها، وبينها وبين خالتها، والدليل على هذا التحريم الحديث الذى رواه الشيخان: «لا يجمع بين المرأة وعمتها ولا بين المرأة وخالتها» لأن المعنى الذي لأجله حرم الجمع بين الأختين موجود في

الجمع بين المرأة وعمتها، ولذا جاء في الحديث في إحدى رواياته «إنكم إن فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم».

- ومنها: رجم الزانى المحصن - فقد ثبت بما جاء في قصة الغامدية، وكتحريم التحلى بالذهب، ولبس الحرير على الرجال، وغير ذلك مما جاءت به السنة، وكان مسكوتاً عنه في القرآن.

وقد نازع بعض العلماء في هذا النوع من السنة وأنكروا استقلال السنة بالتشريع وقالوا إن الأحكام كلها وردت في القرآن إما على سبيل الإجمال أو التفصيل لقول الله تعالى: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾[الأنعام: ٣٨].

وجمهور الفقهاء على أن السنة قد تستقل بتشريع بعض الأحكام لأن الرسول ﷺ قال - في الحديث الذي رواه أبو داود - «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه».

٧- وقد تأتي السنة ناسخة لحكم ثبت بالقرآن - وهذا النوع محل خلاف - ومثال ذلك حديث «لا وصية لوارث»[1] فإنه ناسخ لحكم الوصية للوالدين والأقربين الوارثين الثابت بقوله تعالى:

﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾[البقرة: ١٨٠].

والخلاصة:

أنه يتبين مما قدمنا أن السنة مع كونها راجعة للقرآن رجوع الشرح للمشروح والمبين للمجمل، فهي أيضاً: تعتبر - في بعض الأحيان - مستقلة في التشريع. على معنى أنه ثبت بها أحكام غير منصوصة في القرآن، وما كان لنا أن نهتدى إليها فيه بمجرد عقولنا لولا هدي الرسالة لنا.

كما أن السنة بوصفها المصدر التالي للقرآن؛ بالنسبة للأحكام الشرعية فهي فى عملها هذا، تتصل اتصالاً وثيقاً بالقرآن. ويستمد التشريع منها كثيراً من الأحكام.

---

١) الحديث رواه الترمذى ونصه: «إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه فلا وصية لوارث».

المخالفون في حجية السنة

ولقد ضل قوم وأضلوا لأنهم طرحوا سنة الرسول ونبذوها، وقالوا في كتاب الله تبيانٌ لكل شيء، فما حاجتنا بالسنة؟؟ وظنوا خطأ أن نظرهم المجرد يكفيهم في الوصول إلى مقاصده، وهذا هو ما أوقع الروافضة والجهمية والخوارج في المخالفة في حجية السنة.

- فالروافض ردوا حديث البخاري: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» بعموم قوله تعالى: ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ ﴾[النساء: ١١]. - والجهمية - من المعتزلة - ردوا أحاديث الصفات بآية ﴿ لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴾[الشورى: ١١].

والخوارج - الذين خرجوا على عليّ ومعاوية - ردوا أحاديث الشفاعة بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خُلَّةٞ وَلَا شَفَٰعَةٞۗ ﴾[البقرة: ٢٥٤] وكذلك ردوا الأحاديث الدالة على خروج أهل الكبائر من النار بما فهموا من آيات الوعيد في القرآن.

فما الذي سوغ لهؤلاء القوم أن يقفوا عند ظواهر الكتاب، ولا يسترشدوا بنور النبوة وهدى الرسالة، والكتاب يأمر باتباعها، ويتوعد على مخالفتها، قال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]. وقال جل شأنه: ﴿ فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[النور: ٦٣].

ولقد نعى النبي ﷺ على من ردّ سنة صحيحة، فقد روى عنه ﷺ أنه قال: «يوشك رجل منكم متكئاً على أريكته يحدث بحديث عني فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه. ألا إن ما حرمه رسول الله ﷺ مثل الذي حرم الله»[رواه أبوداود].

فقد ثبت بما تقدم حجية السنة، وأنها المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، وأن ما تعلق به بعض الملحدين وضعاف الإيمان إنما هو وهم وخيال لا أساس له، والمقصود منه إنما هو التشكيك في حقيقة هذا الدين الذي أعزنا الله به، وجعلنا به خير أمة أخرجت للناس، وصدق الله العظيم إذ يقول:

﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ .﴾ البقرة: ٢١٧

تدوين السنة

مر تدوين السنة بعدة مراحل على النحو التالي:

١ـ في عهد الرسول ﷺ :

من الثابت أن السنة النبوية لم تدون في عهد الرسول ﷺ فلم يأمرهم بكتابتها كما كان يأمرهم بكتابة القرآن، بل العكس من ذلك كان ينهاهم عن كتابتها. ففي صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال: «لا تكتبوا عنى غير القرآن ومن كتب عنى شيئاً غير القرآن فليمحه» ولعل هذا النهى منه صلى الله عليه وسلم كان لكتاب وحيه الذين كانوا يكتبون القرآن في صحف لتحفظ في بيت النبوة، فلو أنه أجاز لهم كتابة الحديث لم يُؤمن أن يختلط القرآن بغيره.

ـ لكن ثبت أن النبي ﷺ أجاز الكتابة لمن سأله ذلك، ففي مسند أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش؛ فقالت إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ، ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «اكتبّ والذي نفسى بيده ما خرج منى إلا حق» وكان أبو هريرة يقول لم يكن أحد أكثر منى ملازمة للنبي ﷺ إلا ما كان من عبد الله بن عمرو بن العاص فإنه يكتب ولا أكتب.

ـ ومهما يكن من شيء فإن الذي كتب على عهد رسول الله ﷺ من السنة قليل جداً، وذلك للأسباب الآتية:

- شيوع الأمية.
- الخوف من اختلاط السنة بالقرآن.
- ولئلا ينصرف الناس بحفظ السنة عن حفظ القرآن.

٢ـ السنة في عهد الصحابة وحتى نهاية القرن الأول:

* كان الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ يتشددون في رواية الحديث خوفاً من انصراف الناس عن القرآن إلى السنة، وخشية الوقوع في الكذب على رسول الله ﷺ ، ولهذا كانوا لا يقبلون الحديث إلا إذا شهد عليه شهود غير راويه. كما كانوا يحلّفون الراوى، وكانوا لا يحبون الإكثار من الرواية

وغير راغبين في كتابتها، وقد عاقب عمر ﷺ على كثرة التحديث وقال إنكم تحدثون عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً.

* وكان عمر قد سيّر جماعة من الصحابة إلى العراق ومشى معهم، وقال أتدرون لم شيعتكم؟ قالوا نعم مكرمة لنا، قال ومع ذلك، فإنكم تأتون أهل قرية لهم دوى بالقرآن كدوى النحل، فلا تصدوهم بالأحاديث فتشغلوهم، جردوا القرآن. وأقلوا الرواية عن رسول الله ﷺ . ولقد فكر مرة في كتابة السنة، ثم انصرف عنها، لأنه لا يريد أن يلبس كتاب الله بشيء ولا يحب أن يصرف اهتمام الناس عنه إلى الحديث المكتوب وقد استشار أصحابه فأشاروا عليه بالكتابة، فلبث شهراً يستخير الله في ذلك شاكاً فيه. ثم أصبح يوماً وقد عزم الله له وقال تذكرت فإذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله ، وإني والله لا ألبس كتاب الله بشيء، فترك كتابة السنة.

* وقد تتابع الخلفاء على سنة عمر ﷺ فلم يشأ أحدهم أن يدوّن السنن ولا أن يأمر الناس بذلك حتى جاء عمر بن عبد العزيز فأمر بجمع الحديث لدواع اقتضت ذلك بعد حفظ الأمة لكتاب ربها، وأمنها عليه أن يشتبه بالسنة.

٣- السنة في القرن الثاني:

ثم لما انتشر الإسلام، واتسعت البلاد، وشاع الابتداع، وتفرقت الصحابة بالأمصار، ومات كثير منهم في الحروب وغيرها، وقل الضبط لضعف ملكة الحفظ، دعت الحاجة إلى تدوين الأحاديث وكتابتها، فكتب الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز - على رأس المائة الأولى - إلى قاضى المدينة: «انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه، فإنى خفت دروس العلم وذهاب العلماء».

ولكن الخليفة توفى بعد ذلك بعام واحد ولم تدون السنة.

- ومن ذلك الوقت (أواخر عهد بنى أمية) أقبل العلماء على جمع السنة وتدوينها بعدما لبثت في القرن الهجري الأول كله محفوظة في صدور رواتها وحفاظها فقط.

وتتابع على هذا التدوين كثير من العلماء، ففي سنة ١٤٠هـ دون الإمام مالك بن أنس كتابه (الموطأ) في صحيح الحديث بناء على طلب الخليفة المنصور العباسى.

ثم جاء في منتصف القرن الثاني جماعة عنيت بتأليف المسانيد، ومن هذه المسانيد:

مسند الإمام أحمد بن حنبل ﷺ وطريقة الوضع لتلك المسانيد أن تساق الأحاديث المروية عن كل صحابي على حدتها، فيجمع مثلاً ما رواهُ عمر على حدة، وما رواه أبو بكر على حدة بصرف النظر عن موضوع الحديث، فالحديث في الصلاة يعقبه حديث في الجهاد إلى حديث في المعاملات وهكذا..

ثم تلت هؤلاء طبقة ثالثة جعلت مهمتها تمييز الصحيح من غيره، واشترط كل منهم لقبول الحديث شروطاً قد تتفق وقد تختلف عن شروط سواه. ومن هؤلاء الأئمة الستة:

- محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ.
- مسلم بن الحجاج النيسابورى المتوفى سنة ٢٦١هـ.
- أبو داود سليمان بن الأشعث السجستانى المتوفى سنة ٢٧٥هـ.
- أبو عيسى محمد بن عيسى السّلمى الترمذى المتوفى سنة ٢٧٩هـ.
- أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى المعروف بابن ماجة ت٢٧٣هـ.
- أبو عبد الرحمن بن أحمد بن شعيب النسائي المتوفى سنة ٣٠٣هـ.

وكتب هؤلاء هي المعروفة بالكتب الستة[١].

أثر تدوين السنة:

وقد أدت هذه المؤلفات وغيرها خدمة جليلة في علم السنة والفقه، حيث سلمت السنة من الدخيل. وتميز الحديث الصحيح عن غيره، وعُبّد الطريق أمام الفقهاء وسهل الاستنباط، وتيسرت الفتوى، وتضخم الفقه، وزادت مسائله بشمول السنة لمعظم الأحوال.

---

١) انظر تاريخ الفقه الإسلامي، محمد على السايس، دار الكتب العلمية، بيروت.
والمنتقى في تاريخ التشريع الإسلامي، محمد أنيس عبادة، دار الطباعة المحمدية، القاهرة.

المبحث الرابع

الوحى وصور تنزلاته

* قال الله تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾

{الشورى: ٥١}

* وأخرج البخارى فى صحيحه عن عائشة – رضى الله عنها – أن الحارث بن هشام سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحى؟ فقال رسول الله ﷺ : «أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علىّ، فيفصم عنى وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لى الملك رجلاً، فيكلمنى فأعى ما يقول» قالت عائشة – رضى الله عنها – ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقا.

المبحث الرابع
الوحي وصـــور تـنـزلاتـــه

الوحي في القرآن - صور تنزلات الوحي - أنواع الوحي - كيفيات الوحي - تنبيه - الصحابة يشاهدون الوحي - كتاب الوحي - كيفية الكتابة

موضوع الوحي من أهم الموضوعات في علوم القرآن والسنة لهذا كان من الواجب علينا أن نحدد معنى الوحي في القرآن الكريم، وكيفياته، ودفع الشبهات حوله حتى يزداد المؤمن إيماناً به وتنقطع أعذار الذين لم يدخل الإيمان قلوبهم، فنقول وبالله التوفيق:

الوحي في القرآن الكريم:

١- يكون الوحي من الله تعالى إلى غير العاقل بمعنى الإلهام الغريزى. قال الله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾[النحل: ٦٨].

٢- ويكون الوحي من الله تعالى إلى البشر على سبيل الإلهام الفطري الواضح من غير نبوة كقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾[القصص: ٧].

٣- ويكون الوحي من الله تعالى إلى الملائكة بطريقة تتناسب مع ملائكيتهم كقوله تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾[الأنفال: ١٢].

٤- ويكون الوحي من الشياطين إلى أوليائهم من بني الإنسان، وذلك بالوسوسة وتزيين الشر لهم. قال تعالى: ﴿.. وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ ..﴾[الأنعام: ١٢١].

٥- ويكون الوحي بإشارة سريعة، وقد حمل على ذلك قول الله تعالى عن زكريا:

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾[مريم: ١١]. أي أشار.

٦- ويكون الوحي بمعنى التسخير وإلقاء الأمر للامتثال، قال تعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا..﴾ [فصلت: ١٢]

أي سخر كل سماء لما يراد فيها، فالوحي - هنا - يطلق على تسخير الله تعالى بعض مخلوقاته لقبول أثر قدرته، كما في قوله تعالى:

﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ﴾[الزلزلة: ٤، ٥].

٧- ويكون الوحى بمعنى الإيحاء - أى الإرسال - من الله سبحانه وتعالى، إلى أنبيائه ورسله، وهو موضوع الباب، وإليه الإشارة بقوله تعالى:

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ...﴾[النساء: ١٦٣].

صور تنزلات الوحي

أنواع الوحي :

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾[الشورى: ٥١].

هذه الآية أجملت صور تنزلات الوحي في ثلاثة أنواع هي:

١ـ **إما أن يكون وحياً**، بمعنى أن الله يلقى المعنى في قلب النبي ﷺ مباشرة، مع اليقين الكامل أنه من عند الله ، سواء أكان ذلك يقظة أم مناماً.

٢ـ **وإما أن يكون من وراء حجاب**، أي بدون رؤية الله عز وجل، كما حدث لما جاء موسى لميقات ربه.

٣ـ **وإما أن يرسل رسولاً، وهو الملك** ﴿فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ﴾ وسفير الوحي بين الله وبين أنبيائه جميعاً، هو جبريل عليه السلام وهو خاص بالأنبياء جميعاً.

ثم إن هذا الإجمال لصور تنزلات الوحي نوضحه في الكيفيات التالية:

كيفيات الوحي

الكيفية الأولى: الرؤيا الصالحة:

فقد كان عليه الصلاة والسلام في أول بعثته لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح وكان ذلك تهيئة لرسول الله حتى ينزل عليه الوحي يقظة، وليس في القرآن شيء من هذا النوع، لأن القرآن نزل كله يقظة.

ـ وقد ورد في السنة الصحيحة، ما يبين كيفية نزول الوحي من خلال الرؤيا الصادقة، فقد أورد البخاري في حديثه المشهور عن أم المؤمنين عائشة قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يري رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء. وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ أي يتعبد ويتطهر ـ الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله، ويتزود إلى ذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء ..... الحديث» ومما يبين أن الرؤيا الصادقة للأنبياء فى المنام، من أنواع الوحى الإلهى ما جاء في قصة إبراهيم عليه السلام من رؤيا ذبحه لولده، قال تعالى:

﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ۝ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ۝ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾[الصافات: ١٠١-١٠٧]

والواضح أنه لو لم تكن هذه الرؤيا وحياً يجب اتباعه لما أقدم إبراهيم عليه السلام على ذبح ولده، لولا أن تفضل الله عليه بالفداء.

- ومن ذلك أيضاً رؤيا نبي الله يوسف عليه السلام والتي أشار إليها القرآن في قوله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ۝ قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[يوسف: ٤-٦].

- ومن هذا النوع أيضاً ما رآه النبي ﷺ من دخول المسلمين المسجد الحرام وأدائهم مناسك العمرة، وكانت هذه الرؤيا في وقت لم يكن المسلمون فيه بمأمن على أنفسهم من أعدائهم، ولقد تحققت رؤيا النبي ﷺ وذكر الله ذلك في قوله تعالى: ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾[الفتح: ٢٧].

الكيفية الثانية للوحي :

وهي ما يلقيه الملك في روع النبي ﷺ وقلبه من غير أن يراه.

وذلك كما جاء في قوله ﷺ: «إن روح القدس نفث في روعي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله ، فإن ما عند الله لا

ينال إلا بطاعته»[1].

ـ وذلك شعور داخلي عميق، كان النبي ﷺ يحسه إحساساً يخالج روعه وذلك هو النفث ـ أي النفخ ـ وهو من صور الوحي التي لا يتراءى فيها جبريل للنبي عياناً.

الكيفية الثالثة:

أن يأتي الملك للنبي ﷺ على صورة آدمي حسن الهيئة فيأخذ عنه الرسول ويسمع منه، ويعي ما يقوله له، حتى إن الصحابة في هذه الحالة كانوا يرونه أحياناً، وهذه الكيفية من كيفيات الوحي هي أهون ما يكون من مراتب الوحي بالنسبة للرسول ﷺ .

ومما هو جدير بالذكر أن جبريل عليه السلام كان إذا أتي النبي ﷺ في صورة آدمي، كان غالباً ما يأتيه في صورة الصحابي الجليل دحية بن خليفة الكلبي. وكان أزواج النبي ﷺ يرونه معه فيغلب على ظنهن أنه دحية والذي يوضح ذلك ويؤيده مايلي:

* ما أخرجه البخاري عن أبي عثمان النهدى قال: «أنبئت أن جبريل أتي النبي ﷺ وعنده أم سلمة فجعل يتحدث، فقال النبي ﷺ لأم سلمة من هذا؟ قالت هذا دحية، فلما قام قالت: والله ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة النبي ﷺ يخبر خبر جبريل...».

* وأيضاً حديث جبريل المشهور الذي رواه البخاري ومسلم: «بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد ... الحديث».

الكيفية الرابعة:

أن يأتيه الوحي في مثل صلصلة الجرس، وأحياناً يسمع الجالس مع النبي ﷺ ـ في تلك الأثناء ـ دويًّا كدوى النحل، وتأخذ النبي ﷺ حالة روحانية شديدة، ربما يغيب فيها عما حوله، ويثقل جسمه، حتى لتكاد الناقة التي يركبها تبرك، وإذا جاءت فخذه على فخذ إنسان تكاد ترضها، ويتصبب عرقه ﷺ وربما يُسمع له غطيط كغطيط النائم، فإذا ما سُرِّى عنه وجد نفسه

---

1) كنز العمال (١٩/٤) والنفث شبيه بالنفخ، والروع بضم الراء: القلب.

واعيًا لكل ما سمع من الوحي فيبلغه كما سمعه، وهذه الحالة أشد حالات الوحي على النبي ﷺ ويشير إلى هذا قوله تعالى:

﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ﴾ [المزمل: ٥]

ومما يوضح ذلك ويؤكده ما أخرجه البخاري عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن الحارث بن هشام ﷺ سأل رسول الله ﷺ فقال:

يا رسول الله كيف يأتيك الوحي ؟

فقال رسول الله ﷺ : «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصِم عنىّ وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول».

قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً».

الكيفية الخامسة:

وذلك بأن يكون الوحي بواسطة الملك، ويرى النبي ﷺ ـ في هذه الحالة ـ جبريل على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها، فيوحى إليه ما شاء الله أن يوحيه وقد وقعت رؤية النبي ﷺ لجبريل على صورته الحقيقية مرتين:

المرة الأولى: وقد كانت ببطحاء مكة عند تحنثه في غار حراء، حيث رآه ﷺ بَسُدُّ الأفق لعظم خلقه. قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴾ [التكوير: ٢٣]

وقال أيضاً: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴾[النجم: ٥-١٠].

المرة الثانية: كانت عند سدرة المنتهى ليلة عروجه ﷺ إلى السموات العلى. يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا

طَغَىٰ﴾[النجم: ١٣-١٧].

- وقد أشارت السنة الصحيحة إلى هاتين المرتين، فقد أخرج مسلم في صحيحه عن عائشة - رضى الله عنها - قالت:

أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك[1] رسول الله ﷺ فقال:

«إنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين رأيته منهبطاً من السماء سادًّا عظم خلقه ما بين السماء والأرض».

الكيفية السادسة:

وهي أن يكلم الله النبي تكليماً واضحاً جلياً في اليقظة بدون واسطة بينه سبحانه وبين من يكلمه من أنبيائه، بحيث يُسمِعه جل شأنه كلامه بكيفية يعلمها، ومن أمثلة ذلك تكليم الله لموسى عليه السلام حين ناداه بالوادى المقدس طوى وقد جاء ذلك في قوله تعالى:

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ۝ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾[طه: ٩-١٤].

- ومن ذلك أيضاً ما حدث للنبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، فقد أمره الله في تلك الليلة المشهودة بالصلاة من فوق سبع سموات، وذلك على سبيل التعظيم للصلاة.

وقد أسمع الله كلامه للنبي ﷺ دون واسطة كما يفهم من الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه، وجاء فيه عن النبي ﷺ :

- «فأوحى الله إليّ ما أوحَي ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة ومازال ﷺ يسأل ربه التخفيف حتى قال: يا محمد: إنهن خمس صلوات

---

١) أي عن قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ من سورة التكوير، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ من سورة النجم.

كل يوم وليلة لكل صلاة عشر، فذلك خمسون صلاة».

- ومن كيفيات الوحي - غير ما تقدم - ما يكون إلهامًا حال اليقظة يقذفه الله في قلب مصطفاه، وذلك بإلقاء المعنى في قلبه إلقاءً واضحاً بحيث يشعر معه شعوراً صادقاً لا شك فيه ولا شبهة أن الذي ألقاه في قلبه هو وحي من الله تعالى.

وهذا الإلهام ليس إلهاماً عاديًّا مثل الذي يحصل لكثير من البشر ولكنه إلهام واضح متميز عن غيره بأنه يقيني المعرفة معلوم مصدره بأنه من عند الله تعالى.

تنبيه:

١- يؤخذ في الاعتبار أن الكيفيات التي ذكرناها في أنواع الوحي الستة لا تتعارض مع حديث الحارث بن هشام المذكور في الكيفية الرابعة - والتي حصرها في صورتين - وذلك لأن سؤال الحارث كان عن الكيفية التي يأتي عليها جبريل عليه السلام ، ويكون له ظهور، فكانت الإجابة على قدر السؤال. وعلى هذا فلا يراد بالحالتين المذكورتين في الحديث حصر الوحي فيهما، وأنهما تحملان على الغالب... أو أن سواهما من الحالات وقع بعد السؤال.

٢- لا يكون الوحي بالقرآن إلا واضحاً جلياً وفي حال اليقظة، فلا يكون إلهاماً أو مناماً، أو نفثاً في الروع، وإنما يكون بواسطة جبريل عليه السلام ، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾[الشعراء: ١٩٢-١٩٥][(١)].

الصحابة يشاهدون الوحي

ويجدر بنا في هذا المقام أن نذكر أن هناك كثرة من الصحابة قد أبصروا الملك جبريل الأمين، وقد تمثل في صورة بشرية حسنة الهيئة،

---

١) بتصرف يسير من ـــ دراسات في علوم القرآن، د. صبره الحسيني مرسي.

وهو يجالس الرسول ﷺ ويخاطبه، وهذه بعض المشاهد التي رويت في ذلك:

١ـ أخرج الإمام أحمد في مسنده عن رجل من الأنصار قال:

«خرجت مع أهلي أريد النبي ﷺ فإذا به قائم ومعه رجل يقبل عليه، فظننت أن لهما حاجة.

قال الأنصاري: لقد قام رسول الله حتى جعلت أرثى له من طول القيام. فلما انصرف، قلت يا رسول الله، لقد قام بك هذا الرجل حتى جعلت أرثى لك من طول القيام.

قال: ولقد رأيته؟ قلت: نعم.

قال: أتدرى من هو؟ قلت: لا.

قال: ذلك جبريل مازال يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه.

ثم قال: أما إنك لو سلمت رد عليك السلام.

٢ـ وأخرج أحمد والطبراني عن حارثة بن النعمان قال:

مررت على رسول الله ﷺ ومعه جبريل، فسلمت عليه ومررت. فلما رجعنا وانصرف النبي ﷺ. قال: هل رأيت الذي كان معي؟ قلت: نعم قال: فإنه جبريل وقد رد عليك السلام.

٣ـ وأخرج الحاكم عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت:

«رأيت جبريل واقفاً في حجرتي هذه، ورسول الله ﷺ يناجيه، فقلت: يارسول الله: من هذا؟

قال: بمن شبهت؟ قلت: بدحية الكلبي.

قال رسول الله ﷺ لعائشة : «لقد رأيت جبريل».

٤ـ ومن تمام الفائدة نسجل هذا المشهد الذي تم فيه لقاء كريم بين جبريل الأمين ومحمد ﷺ ، وكان ذلك على مرأى ومسمع من عدد من صحابة رسول الله ﷺ ، وقد دخل جبريل في صورة بشر، جميل الهيئة، بديع الرؤية، والصحابة حول رسول الله يحيطون به إحاطة الكواكب بالقمر ليلة التمام ومع الإمام مسلم وهو يروى لنا هذا الحديث الجليل القدر، العظيم الفائدة، الذي وقف ـ فيه ـ الأمين جبريل موقف السائل، ووقف الحبيب محمد ﷺ موقف الأستاذ المجيب.

عن عبد الله بن عمر قال: حدثني أبي عمر بن الخطاب قال:

«بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه.

قال: يا محمد، أخبرني عن الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا.

قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه ثم سأله عن الإيمان والإحسان وعن قيام الساعة.

ثم انطلق فلبث ملياً. ثم قال لي: يا عمر، أتدري من السائل؟

قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

٥ـ وأخرج ابن سعد عن ابن عباس قال: رأيت جبريل مرتين.

٦ـ وأخرج أبو بكر بن أبي داود في كتاب المصاحف عن أبي جعفر قال: كان أبو بكر يسمع مناجاة جبريل للنبي ﷺ .

كتاب الوحي:

أما عن كتاب الوحي، فإن الرسول ﷺ اتخذ له كتاباً يكتبون القرآن عند نزوله عليه، فمنهم من لازمه في جميع أدوار التنزيل، ومنهم من كتب له مدة تفاوتت قلة وكثرة على حسب تفاوت ملازمتهم له، وبقدر ما سمحت به ظروفهم واستعدادهم وانقطاعهم لهذه المهمة الجليلة.

وكان هؤلاء الكتاب من بين أصحابه ـ ممن يعرفون الكتابة ـ سواء بمكة المكرمة أو بالمدينة المنورة.

وأشهر هؤلاء الكتاب الخلفاء الأربعة، وعبد الله بن سعد بن أبي السرح، وهو أول من كتب له بمكة من قريش، ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام يوم الفتح، ومنهم أبي بن كعب، وهو أول من كتب له من الأنصار بالمدينة، وكان في أغلب أحواله يكتب الوحي، وهو أحد الفقهاء الذين كانوا يكتبون في عهده ﷺ ومنهم عامر بن فهيرة، وكان يكتب الرسائل للملوك وغيرهم.

وثابت بن قيس بن شماس، وزيد بن ثابت الذي أسلم بعد الهجرة، ومعاوية بن أبي سفيان، وكان معاوية وزيد ملازمين للكتابة بين يدي رسول الله ﷺ في الوحي وغيره لا عمل لهما غير ذلك، والمغيرة بن شعبة، والزبير بن العوام وخالد بن الوليد، والعلاء بن الحضرمي، وعمرو بن العاص، وعبد الله بن الحضري ومحمد بن مسلمة، وحنظلة بن الربيع الأسدي، ومعيقب بن أبي فاطمة وعبد الله بن الأرقم الزهري، وشرحبيل بن حسنة، وعبد الله بن رواحة وحذيفة بن اليمان وغيرهم كثير.

وقد قام بعض العلماء بإحصاء كتاب وحيه ﷺ بين يديه، فبلغوا ثلاثة وأربعين كاتباً[١].

وكان من القراء في العهد النبوي من جمع القرآن كله، حفظاً عن ظهر قلب، منهم: عبد الله بن مسعود، وسالم بن معقل مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت[٢].

كيفية الكتابة:

كان كتاب الوحي يكتبون القرآن بمداد، بدليل ما أخرجه البخاري بسنده عن البراء بن العازب قال: «لما نزلت:

﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾،

قال النبي ﷺ : ادع زيداً، وليجئ باللوح، والدواة والكتف».

وما ورد من أنه ﷺ قال لمعاوية بن أبي سفيان، وكان من كتاب الوحي: «ألق الدواة وحرف القلم مما يدل على أن الكتابة كانت بأقلام أو ما يقوم مقامها كالريشة ونحوها..».

وكانوا يكتبون على الرقاع والأضلاع والعسب ... إلخ، وكانت هذه الأنواع المختلفة التي كتبوا فيها بين يدي رسول الله ﷺ وأمره وإشرافه محفوظة عنده ﷺ ومودعة في بيته.

۞ ۞ ۞ ۞

---

١) بتصرف من : المنتقى في تاريخ التشريع الإسلامي، محمد أنيس عبادة.

٢) انظر: فتح الباري لابن حجر ج٩ ص٢٢.



فى

أهمية الطهارة والنظافة فى الإسلام

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: الطهارة فى التشريع الإسلامى.
- المبحث الثاني: أحكام الدماء الخاصة بالنساء.
- المبحث الثالث: سنن الفطرة فى ضوء الهدى النبوى والتوجيه الطبى..

قال الله تعالى:

* ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ {البقرة: ٢٢٢}

* ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟ ..﴾ {المائدة: ٦}

* ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ {المدثر: ٤، ٥}

وقال رسول الله ﷺ :

* «الطهور شطر الإيمان .. » {مسلم}

* «أحسنوا لباسكم، وأصلحوا رحالكم، حتى تكونوا شامة في الناس»{الحاكم}

المبحث الأول

فى

الطهارة فى التشريع الإسلامى

المبحث الأول

الطهارة فى التشريع الإسلامى

تمهيد فى عناية الإسلام بنظافة جسم الإنسان ـ أهمية الطهارة فى الإسلام وأسرارها ـ حكمة الطهارة وأسرارها ـ ما تكون به الطهارة ــ كيفية التطهر من النجاسات ــ أنواع من التخفيف تتعلق بالنجاسات .

تمهيد فى عناية الإسلام بنظافة جسم الإنسان:

لم يأمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الإنسان بالطهارة والنظافة، إلا لأجل وقاية جسمه من التعرض للأمراض والأوباء؛ لأن سلامة البدن ورعايته تمكنه من المواصلة فى العمل والسعى لكسب الرزق، وعمارة الأرض، وتعينه على عبادة الله تعالى وامتثال أمره.

ومن مظاهر عناية الإسلام بالصحة: أنه وضع لها الوسائل الوقائية وهى: المحافظة على الصحة، وتوقى الأمراض قبل حدوثها (فالوقاية خير من العلاج)، ومن هذه الوسائل (النظافة)، إذ جعلها الله تعالى من الإيمان؛ لذا أوجب الله فى العبادات نظافة الثوب، والبدن، والمكان، قال الله تعالى:

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر/ ٤]

كما أوجب الإسلام نظافة المأكولات والمشروبات؛ محافظة للإنسان من الجراثيم والميكروبات التى تسبب كثيراً من الأمراض؛ فحذر من ترك آنية الطعام مكشوفة عرضة للحشرات، كالذباب وغيره، فقال عليه السلام: «غطوا الإناء وأوكئوا(١) السقاء» [رواه مسلم].

كما دعا إلى الحجر الصحى للوقاية من الأمراض الوبائية الفتاكة كالكوليرا والطاعون والتيفوس. فقال صلى الله عليه وسلم: «إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا منها» [رواه الشيخان]

كما نهى المرضى عن مخالطة الأصحاء خوفاً من العدوى فقال: «لا يورد ممرض على مصح»[رواه البخارى ومسلم].

---

١) أى اربطوا السقاء، وهو القربة من الجلد يوضع فيها الماء.

وقال: «فر من المجذوم فرارك من الأسد»[رواه البخارى].

ويدخل فى النهى عن مخالطة المريض، النوم معه فى غرفة واحدة وعلى فراش واحد، واستعمال ملابسه وغيرها مما يستعمله المريض، وكذلك الأكل والشرب فى إناء أكل منه المريض وشرب قبل تنظيفها.

فهذه الإرشادات الصحية من هدى النبى صلى الله عليه وسلم كانت ولا زالت مبادئ خالدة، معمولاً بها فى حفظ الصحة، وكمال الوقاية وشفاء الأمراض، فحافظ ـ أخى المسلم ـ على صحتك باستعمال الوسائل الوقائية والتعليمات الصحية التى ينصح بها الأطباء، وطهر جسمك وثيابك ونظف بيتك ومحل عملك، لأن النظافة دعامة من دعائم الإسلام، فتمسك بها واحرص عليها، وأظهر محاسن الإسلام، وتحدث بنعمة الله عليك:

﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[الضحى ١١].

أهمية الطهارة فى الإسلام

الطهارة قسمان طهارة حس وطهارة نفس أو بعبارة أخرى: طهارة جسم وطهارة قلب.

ففيما يتعلق بطهارة الحس، نجد القرآن الكريم يقول:

- ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴾[الفرقان/ ٤٨].

- ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ﴾ [المائدة/ ٦].

- ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾[البقرة/ ٢٢٢].

وبهذا نعلم أن الإسلام جعل الماء أساساً للطهارة الحسية ، حين شرع الاغتسال والوضوء وإزالة النجاسة ، وأكد على نظافة البدن والثوب والمكان، كما شرع الإسلام التخلل والتسوك. وسنن الفطرة المؤدية إلى التنظف والتطهر، ومنع المعاشرة الزوجية إذا لم تكن الزوجة طاهرة من

الحيض والنفاس. كما منع الإسلام المسلم أن ينال شرف القيام بعبادة ربه إذا لم يكن طاهراً، فالشخص لا يستطيع الصلاة إذا كان جنباً أو محدثاً بل لابد له من الاغتسال أو الوضوء . فالنظافة فى الإسلام هى ركن الصحة والسلامة والعافية، ولاغنى عنها للمسلم ، لأن النظافة من الإيمان.

كما أرشد النبى ﷺ أمته إلى العناية بتنظيف أجسامهم وأثوابهم ومساكنهم حتى يكونوا جميلى المنظر ومحبوبين بين الناس فقال عليه السلام: «أحسنوا لباسكم وأصلحوا رحالكم حتى تكونوا شامة فى الناس»[رواه الحاكم] ولما للنظافة من أثر صحى فى الجسم، أوجب الدين الإسلامى الاستنجاء من البول والغائط، وسن الختان للذكور والإناث.

كما دعا إلى إزالة الشعر من بعض بدن الإنسان، كحلق العانة، ونتف الإبط وقص الشارب، لأن بقاءها فى الجسم يولد فيه ضيقا وكآبة ودعا إلى تقليم الأظافر فقال صلى الله عليه وسلم: «خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقص الشارب»[رواه الشيخان].

حتى إنه رخص فى ترك هذه الأشياء أو بعضها إلى أربعين يوماً فقط، ولا عذر لتركه بعد ذلك. فعن أنس ﷺ قال: «أقت لنا النبى ﷺ فى قص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وحلق العانة أن لا يترك أكثر من أربعين ليلة»[رواه أحمد].

ومن النظافة تمشيط شعر الرأس واللحية لقوله صلى الله عليه وسلم: «من كان له شعر فليكرمه»[رواه الدارقطنى]، وإكرامه غسله وتسريحه حتى لا يتشعب.

كما أمر النبى ﷺ بغسل اليدين قبل تناول الطعام وبعده، فعن أنس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ إذا حضر غذاؤه، وإذا رفع»[رواه البيهقى]. والمراد بالوضوء هنا غسل اليدين.

وقال صلى الله عليه وسلم وهو يحذر المؤمنين ، من أن يبيت أحدهم وفى يده أثر طعام أو إدام ، من أن يأتى الشيطان للحس ذلك من يده فيؤذيه: «إن الشيطان

حساس لحاس فاحذروه على أنفسكم ، من بات وفى يده ريح غمر فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه »(رواه الترمذى)[1].

وكذلك أمرنا النبى ﷺ بتعهد الأطراف، وأمرنا باستعمال السواك، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[رواه الشيخان].

فعلى المسلم المواظبة على الطهارة، والاحتراز من النجاسات لئلا تصيب الثياب أو البدن، ويجب عليه غسل ما أصابه منها بالماء الطهور، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[المدثر/ ٤-٥].

والرسول ﷺ يقول: «الطهور شطر الإيمان» [رواه مسلم].

ألا فليحافظ المسلم على نظافة جسمه من الأقذار والأوساخ، فإن الله تعالى جميل يحب الجمال، نظيف يحب النظافة، فالإنسان إذا كان نظيف البدن والثياب يكون أهلاً لحضور كل مجتمع، وجدير بلقاء كل إنسان، ويرى نفسه حرياً بكل كرامة.

ويدل على ذلك ما روى عن الرسول ﷺ أنه أكد على غُسل الجمعة، وأمر بلبس جميل الثياب لها لأنه يوم عيد جعله الله للمسلمين وأمر من كان عنده طيب أن يمس منه، فقال «الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وأن يستن ، وأن يمس طيباً إن وجد»[رواه الشيخان].

كما حذر النبى ﷺ من قربان المسجد عندما يأكل الشخص من البصل أو الثوم فقال: «من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزل مسجدنا»[رواه الشيخان].

ويقاس عليه رائحة الفم من أثر التدخين ونحوه.

وبجانب التطهير الحسى عنى الإسلام بالتطهير النفسى أو القلبى أو الأخلاقى وقد جاءت عدة آيات فى القرآن الكريم تشير إلى هذا المعنى، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ

---

١) حساس: شديد الإحساس، ولحاس: كثير اللحس، غمر بفتح الغين والميم: رائحة الطعام

﴿وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران/ ٤٢]، أى طهِّر نفسك وقلبك من الفحشاء والمعاصى، بالفضيلة والتقوى ومكارم الأخلاق، وليس غرضنا - هنا - أن نتكلم عن طهارة القلب والباطن لأن ذلك يطول ولكن المقصود أن نتكلم عن طهارة الجسم من الحدث والخبث - وما فيها من أسرار - مما يجعل المسلم يبنى عبادته على أساس متين مشروع، من الطهارة والنظافة التى سنبينها فى هذا المبحث من استنجاء ووضوء واغتسال ... وما إلى ذلك والله المستعان.

إذن فما المقصود بالطهارة؟

الطهارة معناها: النظافة من الحدث والخبث، أى أن المسلم مطالب أن ينظف جسمه - بالماء أو ما يقوم مقامه - من الحدثين الأصغر والأكبر، وأن ينظف ملابسه، ومكان عبادته من كل نجاسة وقذارة ، ليقف أمام الله تعالى فى عبادته ممتثلاً أمره طاهراً نظيفاً.

حكمة الطهارة وأسرارها

يشتمل تفصيل القول فى حكمة الطهارة وأسرارها ، وما يتبع ذلك من طهارة كل البدن والثياب والمكان، على مجموعة فوائد نجملها فى ثلاثة هى:

الفائدة الأولى: أن غسل البدن كله ، وغسل أطرافه يعطى صاحبه نشاطاً وهمة ، ويزيل ما يعرض لجسده من الفتور والاسترخاء بسبب الحدث، بمعنى أنه متى خرجت هذه الفضلات الضار احتباسها، يشعر الإنسان كأنه يحمل حملاً ثقيلاً وألقاه، ويشعر عقب ذلك بفتور واسترخاء ، فإذا توضأ أو اغتسل زال ذلك ، فنشط وانتعش ، ومن ثم يكون جديراً بأن يقيم الصلاة على الوجه المطلوب شرعاً، ويعطيها حقها من الخشوع ومراقبة الله تعالى.

الفائدة الثانية: أن الطهارة ركن الصحة البدنية ، وبيان ذلك أن مايكتنف البدن من الأقذار عند مزاولة الأعمال ، من شأنه أن يزعج الصحة، ويجلب للبدن الكثير من الأمراض ، من أجل ذلك كانت الطهارة ضرورية لحفظ الصحة ، وسلامة البدن ، كما أن الإنسان إذا أراد أن يقابل شخصاً له مكانته وهيبته فى المجتمع ، تراه يلبس أحسن الثياب وأنظفها، بعد أن يزيل ما على جسمه من الأوساخ والأدران ، حتى لايراه أحد فى حالة تبغضه إليه، وإذا كان الأمر كذلك مع المخلوقين ، فكيف يكون حال من يقف بين يدى الله رب العالمين؟.

الفائدة الثالثة: أن فى الطهارة تكريماً للمسلم فى نفسه ، وفى أهله وقومه الذين يعيش معهم فينبغى له أن يكرمها ويزينها لأجل غشيان بيوت الله تعالى للعبادة ، إمتثالاً لقوله تعالى :

﴿يَـٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[الأعراف/ ٣٠]

ومن دقق النظر فى طبائع النفوس وأخلاق البشر ، رأى بين طهارة الظاهر وطهارة الباطن ، أو طهارة الجسد والثياب وطهارة النفس وكرامتها ارتباطاً وتلازماً[1].

ما تكون به الطهارة:

الطهارة تكون بشيئين لا ثالث لهما:

١ـ الماء المطلق: وهو الباقى على أصل خلقته، بحيث لم يخالطه شىء ينفك عنه غالباً، نجساً كان أو طاهراً، وذلك كمياه الآبار والعيون والأودية والأنهار، والثلوج الذائبة والبحار المالحة، لقوله تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ طَهُورٗا﴾[الفرقان/ ٤٨].

وقول الرسول ﷺ: «إن الماء طهور إلا إن تغيّر ريحه أو لونه أو طعمه بنجاسة تحدث فيه»[رواه البيهقى].

وإنما كانت الطهارة بالماء لحكمة سامية، ذلك أن الماء يزيل عين النجاسة وأثرها، وهى الرائحة الكريهة التى تؤذى الإنسان، ومن ثم فقد أكد

---

١) بتصرف من: أحكام عبادات المرأة فى الشريعة الإسلامية، د.سعاد صالح

الشارع الحكيم على وجوب الطهارة بالماء عند وجوده والتيمم - عند فقده - بالتراب.

واتفق الفقهاء على أن كل ما نزل من السماء أو نبع من الأرض، فهو طاهر فى نفسه مطهر لغيره: ﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾. [الأنفال /١١]

٢ـ الصعيد الطاهر: وهو وجه الأرض الطاهرة من تراب، أو رمل، أو حجارة أو سبخة. لقوله صلى الله عليه وسلم «جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً» [رواه أحمد].

وإنما يكون الصعيد مطهراً عند فقد الماء، أو عند العجز عن استعماله لمرض ونحوه لقوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [النساء/٤٣]

ولحديث: «إن الصعيد الطيّب طهور المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين، فإذا وجد الماء فليمسّه بشرته»[رواه أحمد].

كيفية التطهر من النجاسات:

القاعدة العامة فى إزالة النجاسة هى: إزالة أثر النجاسة حتى لا يبقى لها ما يدل عليها من جرم، أو لون، أو رائحة، أو طعم، إلا إذا تعذر شيء من ذلك، فإنه يعفى عنه وذلك مثل الدم الذى يتعذر على الإنسان إزالة لونه فإنه لا شيء فيه.

وبناء على هذه القاعدة نقول:

- إذا صببنا الماء على بول ولو مرة واحدة فزالت رائحته فقد حصلت الطهارة.
- إذا صببنا الماء على أرض متنجسة فزال أثر النجاسة فقد حصلت الطهارة.
- وإذا كانت النجاسة لها جرم متماسك فوقعت فى شيء جامد، كفأرة ميتة مثلاً وقعت فى سمن متجمد، فألقيت الفأرة وما حولها من السمن فقد زالت النجاسة.

- وإذا مسحت أى شيء مصقول عليه نجاسة كالمرآة والسكين فزال أثر النجاسة فقد طهر ذلك الشيء، وهكذا، ما عدا سؤر الكلب فى الإناء فإنه يغسل سبع مرات إحداهن بالتراب.

أنواع من التخفيف تتعلق بالنجاسات:

١ـ إذا صليت وفى ثوبك أو على بدنك نجاسة، ولكنك لم تذكرها حتى انتهيت من صلاتك، فالصلاة صحيحة وليس عليك إعادتها، وكذلك لو تذكرتها ولكنك لم تقدر على إزالتها بأى شيء.
٢ـ تطهر الأرض التى أصابتها نجاسة بصب الماء عليها كما تطهر بالجفاف، قال أبوقلابة: جفاف الأرض طهورها.
٣ـ يكفى فى تطهير النعل والحذاء المتنجس دلكه بالأرض حتى يزول أثر النجاسة.
٤ـ الماء الذى تقع فيه نجاسة لا يعتبر نجساً إلا إذا تغير ـ بسبب النجاسة ـ لونه أو طعمه أو ريحه، وأكثر الفقهاء يقول بنجاسة الماء القليل ولو لم يتغير.
٥ـ جلد الميتة إذا دبغ فقد طهر ظاهراً وباطناً.
٦ـ ما يصيب ثوب الإنسان وجسمه من طين الشوارع ومائها معفو عنه.
٧ـ ما يصيب الإنسان المضطر ـ بحكم عمله ـ من النجاسة يعتبر معفواً عنه، ومثال ذلك ما يصيب الإنسان الذى يقوم بتنظيف دورات المياه، والجزار الذى يقوم بذبح الحيوانات، والمرأة التى تحمل الصبى بصفة دائمة فيبول عليها... كل هؤلاء وأمثالهم معفو عما يصيبهم من هذه النجاسات. بسبب أنهم مضطرون، والله رفع الحرج والمشقة عن عباده.

هذا.. ولأننا مقيدون وملتزمون بالإيجاز فى هذه الرسالة، فإننا نقصر كلامنا فى مبحث الطهارة على:

- **الوضوء.**
- **الغسل.**
- **التيمم.**
- **المسح على الخفين والجبائر.**

ثم الوقوف على أهم ما فيها من أسرار وحكم تشريعية – كما هو دأبنا في هذا الكتاب – على أن يكون ذلك بالإيجاز غير المخل، ونترك التفاصيل والإسهاب لكتب الفقه. إلا ما كان ضرورياً. وإليك بيانها:

الوضـــــوء

مشروعيته ـ كيفية الوضوء عملياً ـ نواقض الوضوء ـ متى يكون الوضوء سنة؟ ـ أسرار الوضوء وفوائده.

مشروعيته:

الوضوء مشروع بالكتاب والسنة، قال الله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ﴾ [المائدة/ ٦].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»[رواه البخاري].

كيفية الوضوء عملياً:

١ـ اغسل كفيك ثلاث مرات وقل عند الغسْل (بسم الله).

٢ـ تمضمض ثلاث مرات، وبالغ في المضمضة إلا إذا كنت صائماً فلا تبالغ.

٣ـ استنشق ثلاث مرات، واستنثر في كل مرة لتبالغ في نظافة أنفك.

٤ـ اغسل وجهك ثلاث مرات من منبت شعر الرأس المعتاد إلى منتهى اللحية طولاً، ومن وتد الأذن اليمنى إلى وتد الأذن اليسرى عرضاً.

٥ـ اغسل يدك اليمنى إلى المرفق ثلاثاً مخللاً أصابعك، ثم اغسل اليسرى كذلك.

٦ـ ثم امسح رأسك مسحة واحدة بدْءا بمقدم الرأس، ويذهب بيديه ماسحاً إلى قفاه، ثم يردهما إلى حيث ابتدأ.

٧ـ ثم امسح أذنيك بعد ذلك ظاهراً وباطناً.

٨ـ ثم اغسل رجلك اليمنى إلى الكعبين مراعياً الدقة فى تعميم الماء، ثم تغسل اليسرى كذلك.

نواقض الوضوء:

١ ـ الخارج من السبيلين من بول أو غائط أو ريح أو مذى.. ويسمى هذا بالحدث.

٢ ـ النوم الثقيل خاصة إذا كان صاحبه مضطجعاً.

٣ ـ زوال العقل وفقد الشعور بإغماء أو سكر أو جنون.

٤ ـ مس الذكر بباطن الكف أو الأصابع لحديث «من مس ذكره فلا يصل حتى يتوضأ»[رواه الترمذى].

٥ ـ الردة فإنها تنقض الوضوء ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر/ ٦٥]

٦ ـ مس المرأة بشهوة، وقصد الشهوة كوجودها، ومن ذلك القبلة، فمن قبل امرأة ـ ولو امرأته ـ فعليه الوضوء.

متى يكون الوضوء سُنة؟

يكون الوضوء سنة باستمرار، وعند ذكر الله عز وجل، وعند النوم والاستيقاظ منه، وعند دراسة العلوم الشرعية، وبعد كل ذنب من غيبة ونميمة وكذب.. وعند غَسْل الميت وحمله، وعند الغضب، ولقراءة القرآن من ظهر قلب، ولزيارة قبر النبى ﷺ ، ودخول مسجده، والوقوف بعرفة، وعند الأذان والإقامة، وتجديد الوضوء عند كل صلاة.

ويستحب الوضوء لكل صلاة لصاحب السلس، وهو من لاينقطع ـ فى غالب وقته ـ بوله أو ريحه. وأيضاً المستحاضة، وهى من يجرى عليها الدم دائماً فى غير أيام عدتها، فإنه يستحب لها أن تتوضأ لكل صلاة كصاحب السلس.

أسرار الوضوء وفوائده
صحيـاً، وروحـياً، ونفسـياً

١ـ أنـه ينشـط الإنسـان ويبعـث فـى نفسـه الهمـة، ويزيـل الفتـور والاسترخاء، سيما بعد خروج الفضلات من جسمه، لذا قال الفقهاء: يستحب لمن أراد تكرار الجماع أن يتوضأ لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا أتى أحدكم أهله، ثم أراد أن يعود فليتوضأ»[رواه مسلم].

٢ـ يشعر الإنسان بالراحة النفسية والطمأنينة: لذا كان الوضوء مخففاً لحدة توتر الأعصاب والغضب، قال: صلى الله عليه وسلم: «الغضب من الشيطان، وإن الشيطان من النار، وإنما تطفأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ»

[رواه أبو داود]

٣ـ إن الوضوء فيه نظافتان نظافة مادية ونظافة روحية أى نظافة من أجل الحياة الدنيوية، ونظافة من أجل الحياة الأخروية روى مسلم عن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا توضأ العبد المسلم ـ أو المؤمن ـ فغسل وجهه خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كان بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مسَّتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقياً من الذنوب»

[رواه مسلم]

٤ـ أنه مطهر ومنظف للأعضاء الظاهرة التى تتعرض للأوساخ أكثر من غيرها فى جسم الإنسان، ومن ثم تقيها من الأمراض فتقى العيون من إصابتها بالرمد، لأن العين تغسل بالماء النظيف عدة مرات فى اليوم.

كذلك غسل المنخرين ـ الاستنشاق والاستنثار ـ بماء بارد، من أهم أسباب الوقاية من الزكام المتكرر، ومن فوائدها أيضاً تطهير مجارى الأنف من الجراثيم التى تتجمع فى جوانبه.

وفوائد غسل الوجه والأذنين والأيدى ظاهرة، لكثرة ما يصيب الوجه والأجزاء المكشوفة عادة من الأمراض الجلدية والالتهابات، فإن غسلها عدة مرات فى اليوم أحسن وقاية لها من ذلك.

وقد اتضح أخيراً - أن كثيراً من الجراثيم تصيب الإنسان بطريق اختراق الجلد، ولا شك أن الغسل المتكرر يعتبر من الوقايات البسيطة الفعالة .

وأما الجراثيم التى تدخل من الفم، فلا تدخل إلا عن طريق تلويث الأيدى، فإذا كانت الأيدى مغسولة نظيفة على الدوام، كان ذلك أحسن وقاية لها من الجراثيم والأمراض.

٥- أن الوضوء يغسل الذنوب، ويكفر الخطايا والآثام التى ترتكبها بعض جوارح الإنسان، يشهد لما للوضوء من فضيلة عظيمة ما رواه الإمام مسلم أن الرسول ﷺ قال :

«ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط فذلكم الرباط».

«من توضأ فأحسن الوضوء، خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره».

٦- أن الوضوء يرفع درجات المسلم عند الله تعالى، وبسببه ينال الثواب العظيم فى جنات النعيم. يشهد لهذا ما رواه الإمام مسلم عن عمر بن الخطاب ﷺ عن النبى ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء».

وإسباغ الوضوء معناه: إتمامه وإحكامه.

٧- أن الوضوء هو العلامة المميزة لأمة سيدنا محمد ﷺ من بين سائر الأمم يوم القيامة لأن أمته يعرفون من آثار الوضوء غراً محجلين،

فعن أبى هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أمتى يدعون يوم القيامة غراً محجلين[1] من آثار الوضوء فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل» [رواه الشيخان]. وقد أحسن من قال:

ستأتى الناس فى العرصاتِ سَكْرى   بلا أثر يكون لها مُزينا
وتأتــــى أمــــة المختــــار غُـــراً   بآثار الوضوء محجلينا

الغُسل

ما هى الأسباب التى توجب الغسل ؟ ـ ما هى الأغسال المستحبة ؟ ـ كيفية الغسل ـ تنبيهات ومسائل ـ ما يحرم على الجنب ـ فائدة الغسل وحكمته.

الغسل مشروع بالكتاب والسنة، قال تعالى ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُوا۟﴾ [المائدة/ ٦]

وقال: ﴿وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِى سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا۟ ...﴾[النساء/ ٤٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إذا جاوز الختان الختان فقد وجب الغسل»

[رواه مسلم]

ما هى الأسباب التى توجب الغسل؟

١ـ خروج المنى بشهوة سواء كان فى النوم أو اليقظة من رجل أو امرأة.

٢ـ التقاء الختانين أى الجماع ولو بدون إنزال لقول الرسول ﷺ: «إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل» رواه البخارى فى التاريخ الكبير

٣ـ عند انقطاع دم الحيض والنفاس: لقوله تعالى: ﴿فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ [البقرة/ ٢٢٢].

٤ـ الموت: فإذا مات المسلم وجب على المسلمين تغسيله.

٥ـ إذا أسلم الكافر.

---

١) أى: بيض مواضع الوضوء من الأيدى والوجه والأقدام ، ذكره النووى فى رياض الصالحين .

ما هى الأغسال المستحبة؟

١ـ للجمعة: لحديث «الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم» [رواه الشيخان]

٢ـ غسل العيدين: عيد الفطر وعيد الأضحى.

٣ـ لتغسيل الميت: فيستحب لمن غسل ميتاً أن يغتسل.

٤ـ للإحرام: يسن لمن أراد الإحرام بحج أو عمرة أن يغتسل.

٥ـ لدخول مكة وللوقوف بعرفة لفعل الرسول ﷺ ذلك.

كيفية الغسل :

وتتمة للفائدة ينبغى أن نذكر لك هنا، وصفاً كاملاً لصفة الغسل ، مسترشدين فى ذلك بما ورد فى غسل النبى ﷺ من الأخبار الصحيحة :

* يقول: (بسم الله) ناوياً رفع الحدث الأكبر.
* ثم يغسل كفيه ثلاثاً.
* ثم يستنجي فيغسل ما بفرجه وما حولهما من أذى.
* ثم يتوضأ وضوءه الأصغر، إلا رجليه فإن له أن يغسلهما مع وضوئه، وله أن يؤخرهما إلى الفراغ من غسله.
* ثم يغمس كفيه فى الماء فيخلل بهما أصول شعر رأسه، هذا بالنسبة للرجل، أما المرأة فيكفيها أن تحثى على رأسها ثلاث حثيات، وتدلك، ولا تنقض شعرها المفتول.
* ثم يغسل رأسه مع أذنيه ثلاث مرات بثلاث غرفات.
* ثم يفيض الماء على شقه الأيمن، يغسله بدلك من أعلاه إلى أسفله، ثم الأيسر كذلك، متتبعاً أثناء الغسل الأماكن الخفية كالسرة وتحت الإبطين ونحو ذلك، لحديث عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يغتسل من الجنابة بدأ فغسل يديه قبل أن يدخلهما فى الإناء، ثم غسل فرجه، ويتوضأ وضوءه للصلاة، ثم يشرَب شعره الماء، ثم يحثى على رأسه ثلاث حثيات، ثم يفيض الماء على سائر جسده»[رواه الترمذى].

تنبيهات ومسائل:

١ـ الاغتسال يجزى عن الوضوء، وكان رسول الله ﷺ لا يتوضأ بعد الغسل.

٢ـ لا يحرم على الشخص أن ينام جنباً لكن من الأفضل أن يتوضأ وينام وكذلك الأمر فى الأكل والشرب، لما جاء فى حديث عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ إذا كان جنباً فأراد أن يأكل أو ينام، توضأ وضوءه للصلاة»[رواه مسلم].

وأيضاً لمن أراد معاودة الوقاع للحديث المتقدم «إذا أتى أحدكم أهله، ثم أراد أن يعود فليتوضأ»[رواه مسلم].

ما يحرم على الجنب:

١ـ قراءة القرآن إلا الاستعاذة ونحوها.

٢ـ الصلاة فرضاً كانت أو نفلاً.

٣ـ الطواف حول الكعبة.

٤ـ دخول المسجد والمكث فيه.

٥ـ مس المصحف وحمله.

فائدة الغسل وحكمته:

من أسرار التشريع فى الغسل أن الإسلام أوجب غسل جميع البدن عقب الاتصال الجنسى أو الاحتلام أو خروج المادة المنوية بالذات، لأن الغسل نافع جداً، ومفيد للرجل والمرأة ـ على السواءـ فقد ثبت طبياً وعملياً أن جسم الإنسان يفقد شيئاً من حيوته بعد الانتهاء من الاتصال الجنسى، وليس من شيء يعيد إليه تلك القوة الحيوية مثل أن يغسل جميع جسده بالماء النظيف ويدلك جسده بيديه، لذا نرى الإمام مالك انفرد من بين الأئمة الأربعة وقال بوجوب التدليك فى الغسل.

هذا الغسل يمد الجسم بنشاط فى حركة الدم فى الشعيرات الموجودة على ظاهر الجسم. وتفتح المنافذ والمسام الموجودة فى جسم الإنسان بعد أن

ذبلت وانسدت أثناء خروج المادة المنوية منه. فلو بقيت هذه المسام ضعيفة مسدودة، لتعرض الجسم لأنواع من الأمراض المؤذية وقد أفاد بعض الأطباء أن الغسل ينشط الغدد الصماء مما ينجم عنه تنشيط الدورة الدموية والضغط الشريانى(١).

ومن أسرار التشريع الإسلامى - أيضاً - فى وجوب الغسل عند الجنابة، أورد بعضهم سؤالاً، مفاده: لماذا أوجب الشرع الغسل عند خروج المنى فى الجماع ونحوه، ولم يوجبه عند خروج الغائط (البراز)، مع أن الغائط الخارج من الدبر أقذر؟ والجواب:أن المنى يتجمع من سائر الجسد، وليس الأمر كذلك بالنسبة للبراز، كما أن البراز يتكرر خروجه يومياً، فلو وجب الغسل منه لشق ذلك على الناس ووقعوا فى الحرج..

فتأمل ذلك - أخى المسلم - لتعلم أن الشريعة الإسلامية امتازت بخصائص لا توجد فى غيرها من الشرائع الأخرى، فهى سهلة ميسرة، ومرنة سمحة وأحكامها مبنية على اليسر ورفع الحرج والمشقة كما ورد فى الحديث الشريف: «إنى أرسلت بحنيفية سمحة»[رواه أحمد].

التيمم

مشروعية التيمم - أسباب التيمم - كيفية التيمم - مايباح به التيمم - تنبيه - مبطلات التيمم - أسرار التشريع فى التيمم.

مشروعية التيمم:

التيمم مشروع بالقرآن الكريم والسنة الشريفة، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَـٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُوا۟ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ ﴾[النساء/ ٤٣].

وقال صلى الله عليه وسلم: «إن الصعيد الطيب طهور المسلم وإن لم يجد الماء عشر سنين»[رواه أحمد].

١) عن طهارتك أيها المسلم نقلاً عن كتاب روح الصلاة فى الإسلام.

أسباب التيمم:
يباح التيمم لمن أراد الوضوء، أو الغسل إذا وجد سبب من الأسباب الآتية:
١ـ إذا لم يجد الماء أصلاً، أو وجده ولكنه لا يكفى للطهارة من وضوء أو غسل. أو وجده ولكن احتاج إليه لشرب ونحوه كالعجين والخبز...
٢ـ عدم القدرة على استعمال الماء للأمور الآتية:
أ ـ إذا كان به مرض، وخاف من استعمال الماء زيادة المرض أو تأخير الشفاء.
ب ـ إذا كان الماء شديد البرودة، وعجز عن تسخينه، وغلب على ظنه حدوث ضرر باستعماله.
ج ـ إذا كان الماء قريباً منه إلا أنه يخاف على نفسه أو عرضه أو ماله، أو فوت الرفقة، أو حال بينه وبين الماء عدو من بشر، أو حيوان مفترس.

كيفية التيمم:
كيفية التيمم هى: أن يقول: بسم الله، ناوياً استباحة ما يتيمم له، ثم يضرب بكفيه الأرض من تراب أو رمل أو حجارة أو سبخة ونحوها، ولا بأس أن ينفض الغبار من كفيه نفضاً خفيفاً، ثم يمسح وجهه مرة واحدة، ثم يضرب إن شاء بكفيه الأرض مرة أخرى فيمسح كفيه مع ذراعيه إلى المرفقين إن شاء ، وإن اقتصر على الكفين أجزأه.

ما يباح به التيمم:
يباح بالتيمم كل ما كان ممنوعاً قبله من صلاة أو طواف: أو مس مصحف أو قراءة قرآن، أو مكث فى مسجد، وبالجملة يباح بالتيمم كل ما يفعله إذا كان متوضئاً أو مغتسلاً.

تنبيه:
هل يصلى بالتيمم الواحد عدة صلوات إذا لم ينتقض تيممه؟
والجواب: أنه فى المسألة خلاف بين الفقهاء بين مؤيد ومعارض والأحوط يقضى بالتيمم لكل فرض أما صلاة النوافل فتؤدى بتيمم واحد مهما كثرت.

مبطلات التيمم:

التيمم بدل الوضوء فكل ما ينقض الوضوء يكون مبطلاً للتيمم وناقضاً له فنواقض الوضوء المتقدمة، هى نفسها نواقض التيمم، ويضاف عليها وجود الماء الكافى لمن فقده، وهو قولهم (إذا حضر الماء بطل التيمم).

أسرار التشريع فى التيمم:

التيمم أمر تعبدى: يُفعل امتثالاً لله تعالى، وخضوعاً وإذعاناً لأمره عز وجل وله حكم وأسرار سامية نذكر منها ما يلى:

١ـ التيمم من خصائص الأمة المحمدية، لقوله صلى الله عليه وسلم: «فضلنا على الناس بثلاث: جعلت صفوفنا كصفوف الملائكة، وجعلت لنا الأرض كلها مسجداً، وجعلت تربتها لنا طهورا إذا لم نجد الماء»[رواه مسلم]

٢ـ رفع الحرج والمشقة عن المسلمين فيما كلفهم الله تعالى به من العبادات فمن عجز عن الوضوء أو الغسل فعليه بالتيمم لتأدية العبادة، التى لا تصح من العبد إلا بالطهارة.

٣ـ نشأة الإنسان واستمرار وجوده يقوم على الماء والتراب وغذاؤه منهما والماء هو الأصل فى التطهير. فإن فقد كان أنسب الأشياء التى تقوم مقامه هو شقيقه الملازم له، وهو التراب.

٤ـ إن الغرض من التيمم هو التخفيف، فيكفى فيه أن يأتى المسلم ببعض صورة الوضوء، أعنى مسح الوجه واليدين فقط، واختير مسح الوجه فى التيمم لأنه المظهر الذى به يخضع الإنسان لخالقه ويعظمه.

واختير مسح اليدين بالتراب ـ الذى هو رمز للطهارة الباطنة ـ لتطهر اليد من آثامها مع الندم والعزم على الحيلولة بينها وبين اقتراف المنكرات[1].

---

١) المصدر السابق.

المسح على الخفين والجبائر

مشروعية المسح على الخفين والجبائر ـ الحكمة فى المسح ـ شروط المسح ـ كيفية المسح ـ تنبيهان ـ مجمل فوائد الطهارة.

مشروعية المسح على الخفين والجبائر

مشروعية المسح على الخفين ثابتة بالسنة، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «إذا توضأ أحدكم فلبس خفيه فليمسح عليهما وليصل، ولا يخلعهما إن شاء إلا من جنابة»[رواه الحاكم].

أما مشروعية المسح على الجبائر فإنها ثابتة بقوله صلى الله عليه وسلم فى الذى شُجَّ رأسُه فغَسَل رأسه فمات: «إنما كان يكفيه أن يتيمم ويعصب على جرحه خرقة ثم يمسَحَ عليها، ويغسل سائر جسده»[رواه أبو داود].

الحكمة فى المسح :

من محاسن الشريعة الإسلامية ويسرها أنها أجازت المسح على الخفين بدل غسل الرجلين فى الوضوء، ترفيهاً وتخفيفاً ودفعاً للحرج، وهو من خصائص هذه الأمة، لأن أشق شيء فى الوضوء هو غسل الرجلين سيما أيام البرد والشتاء.

ومن تخفيف الله على عباده ـ أيضاً ـ أن الإنسان إذا أراد الوضوء أو الغسل: وكان عنده عضو عليه جبيرة (جبس) بسبب كسره مثلاً، فإن الواجب عليه حينئذ المسح على الجبيرة.

لذا جعل الإسلام المسح على الخفين والمسح على الجبيرة من الرخص والله تعالى يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه.

شروط المسح :

يشترط فى المسح على الخفين وما فى معناهما، ما يلى:

١ـ أن يلبسهما على طهارة، أى يتوضأ وضوءاً كاملاً ثم يلبسهما.

٢ـ أن يكونا ساترين لمحل الفرض (القدمين مع الكعبين).

٣ـ أن يكونا سميكين لاتبدو البشرة من تحتهما.

٤ـ أن لا تزيد مدة المسح على اليوم والليلة للمقيم، ولا على ثلاثة أيام بلياليها للمسافر.

٥ـ أن لا ينزعهما بعد المسح، فلو نزعهما وجب عليه غسل رجليه وإلا بطل وضوؤه، وأما المسح على الجبيرة فلا يشترط فيه تقدم طهارة، ولا التوقيت بزمن محدد، وإنما يشترط له أن تكون غير زائدة على محل الجرح إلا بما لابد منه للربط، وأن لا تنزع من مكانها، وأن لا يبرأ الجرح. فإن سقطت أو برئ الجرح بطل المسح ووجب الغسل.

كيفية المسح:

كيفية المسح على الخفين هى: أن يبل يديه، ثم يضع باطن كفه اليسرى تحت عقب الخف، وكف اليمنى على أطراف أصابعه، ثم يمر اليمنى إلى ساقه واليسرى إلى أصابعه، ولو مسح أعلى الخف دون باطنه لأجزأه لقول علىّ ﷺ (لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه) وأما المسح على الجبائر فإنه يبل يده ويمسح فوق الجبيرة كلها مرة واحدة.

تنبيهان:

١ـ يجوز المسح على العمامة لضرورة برد أو سفر لرواية مسلم: «أن النبى ﷺ توضأ فى سفره، فمسح بناصيته وعلى العمامة» لكن مع مسح العمامة مسح بعض الناصية، كما فى الحديث.

٢ـ لا فرق بين الرجل والمرأة فى باب المسح على الخفين، والجبائر وغطاء الرأس، كالعمامة ونحوها، فما جاز للرجل جاز للمرأة على حد سواء.



المبحث الثاني

فى

أحكام الدماء
الخاصة بالنساء

قال الله تعالى:

* ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾{البقرة: ٢٢٢}

وقال رسول الله ﷺ :

* «الطهور شطر الإيمان .. » {مسلم}
* «لا أحل المسجد لحائض ولا جنب»{البخارى}

المبحث الثانى

الدماء الخاصة بالنساء

١- الحيض – التعريف بالحيض – المبتدأة – المعتادة- المستحاضة- أحكام المستحاضة – تنبيه.
٢- النفاس – ما يمنع بالحيض والنفاس وما يباح – ماذا يقول الطب الحديث؟ - رأى الطب فى الوطء أثناء الحيض – الأذى الذى يصيب الرجل – متى يمكن حدوث الحمل؟

للنساء دماء خاصة بهن، وهى الحيض والنفاس، ولكل منهما أحكام شرعية يتبعها دراسات طبية حديثة، يجب الإلمام بها، وذلك تكملة لأنواع الطهارة

وإليك - أخى المسلم - بيان هذه الدماء والأحكام الخاصة بها.

١- الحيض:

قال الله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾[البقرة/ ٢٢٢].

روى أن اليهود والمجوس كانوا يبالغون فى التباعد عن المرأة حال حيضها، والنصارى كانوا يجامعوهن ولا يبالون بالحيض، وأن أهل الجاهلية كانوا إذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها، ولم يشاربوها، ولم يجالسوها على فرش، ولم يساكنوها فى بيت، كفعل اليهود والمجوس، فلما نزلت هذه الآية أخذ المسلمون بظاهر الآية فأخرجوهن من بيوتهن، فقال ناس من الأعراب: يارسول الله، البرد شديد والثياب قليلة، فإن آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت، وإن استأثرناها هلكت الحيّض، فقال عليه الصلاة والسلام: إنما أمرتكم أن تعتزلوا مجامعتهن إذا حضن، ولم آمركم بإخراجهن من البيوت كفعل الأعاجم، فلما سمع اليهود ذلك قالوا: هذا الرجل يريد أن لا يدع شيئاً من أمرنا إلا خالفنا فيه.

والحق الذى لا مراء فيه أن جميع النساء مكتوب عليهن الحيض من أول حواء إلى آخر بناتها فى الدنيا. لأن الحيض يعنى وجود القدرة على الإنجاب، ولهذا فإن الصغيرة التى لم تحض، والكبيرة التى انقطع حيضها، كل هؤلاء لا يحبلن ولا يلدن.

وحديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ: يحكى بعض أحداث حجة الوداع سنة عشر من الهجرة فلما كان ركب النبى ﷺعلى نحو عشرين أو أربعين كيلو متراً من مكة حاضت أمنا عائشة ـ رضى الله عنها ـ على موضع يسمى سرف، فأخذت فى البكاء لظنها أنها لن تتمكن من أداء فريضة الحج ولاسيما أن على رأس هذه الحجة المباركة رسول الله ﷺوفى رواية أحمد فى مسنده قالت عائشة: «دخل علىّ رسول الله ﷺبسرف، وقد نفست، وأنا منكسة فقال لى: أنفست؟ فقلت: نعم يا رسول الله، ولا أحسب النساء خلقن إلا للشر، فقال: لا! ولكنه شيء ابتلى به نساء بنى آدم».

التعريف بالحيض:

إن الحيض دم عادة للنساء: يرخيه الرحم دورياً كل شهر غالباً، إذا بلغت المرأة، وهو دم صحة لا علة، وله إقبال بعلامات يعرفها النساء المعتادات كالكسل وهمود الجسم والخمول وغير ذلك، وله إدبار بعلامات أيضاً كانقطاع الدم، واستعادة الحيوية والنشاط، وعادة ما يكون لكل امرأة عدد من الأيام تحيضها معلومة العدد، وفى ميقات معين من الشهر غالباً لذا يسمى بالدورة الشهرية.

ويبدأ الحيض غالباً عند بلوغ الفتاة اثنتى عشرة سنة، ويتكرر شهرياً حتى سن الخمسين، وتعرف مدة الحيض، بين سن الثانية عشرة والخمسين بفترة الخصوبة، أى إمكان الحمل والولادة، هذا من الناحية الطبية.

أما من الناحية الشرعية فقد جاء فى فقه السنة (يرى كثير من العلماء أن وقته لا يبدأ قبل بلوغ الأنثى تسع سنين، فإذا رأت الدم قبل بلوغها هذا السن لا يكون دم حيض، بل دم علة وفساد وقد يمتد إلى آخر العمر، ولم يأت دليل على أن له غاية ينتهى إليها فمتى رأت العجوز المسنة الدم، فهو حيض)[1].

والحيض هو أول علامات البلوغ لدى الفتاة، إذ هو السبب فى تعجيل

---

١) فقه السنة (١/١٠٢) السيد سابق.

نمو ونضج الأعضاء التناسلية، كالثديين، والرحم، وكذلك ظهور العلامات النسوية الثانوية، كتأنيث صوت الفتاة، وطراوة جلدها وملمسها، وكثافة شعر الرأس، وتوزيع دهون الجسم فى مناطق خاصة كالأثداء والبطن والأرداف والأفخاذ، وغير ذلك مما يعطى للأنثى صورة الفتاة[1]، ومما لا شك فيه أن للحيض صلة عضوية كبيرة بجهاز الحمل فى جسم المرأة، وأن الله جلت حكمته جعله من أسباب الحمل، ووصول الغذاء إلى الجنين مدة الحمل.

فإن الرحم يتهيأ لاستقبال الحمل بهذا الدم الذى يأتى إليه، وعندما لا يحصل الحمل يخرج هذا الدم من فم الرحم عن طريق الفرج. أما عندما يحصل الحمل، فإن الرحم يغلق، ويكون الدم المجتمع فيه وسيلة لوصول الغذاء إلى الجنين لأنه يحتاج إليه[2].

وأقله يوم وليلة، وأكثره خمسة عشر يوماً، وغالبه ستة أو سبعة أيام وأقل الطهر - أى أيامه - ثلاثة عشر يوماً، أو خمسة عشر يوماً، وأكثر الطهر لا حد له، وغالبه ثلاثة أو أربعة وعشرون يوماً.

لونه:

يشترط فى دم الحيض أن يكون على لون من ألوان الدم الآتية:

* السواد * الحمرة * الصفرة

* الكدرة: وهى التوسط بين لونى البياض والسواد.

والنساء فيه ثلاث: مبتدأة، ومعتادة، ومستحاضة، ولكل حكم:

المبتدأة:

وهى التى ترى الدم لأول مرة، وحكمها أنها إذا رأت الدم تركت الصلاة والصوم والوطأ، وانتظرت الطهر، فإذا رأته بعد يوم وليلة أو أكثر إلى خمسة عشر يوماً اغتسلت وصلت، وإن استمر معها الدم بعد الخمسة عشر اعتبرت مستحاضة بعد ذلك، حكمها حكم المستحاضة وإن انقطع دمها خلال الخمسة عشر يوماً، فكانت تراه يوماً أو يومين وينقطع مثل ذلك، فإنها تغتسل، وتصلى كلما رأت الطهر، وتقعد كلما رأت الدم.

---

١) بتصرف كثير من: مسائل الحيض والنفاس والاستحاضة فى السنة النبوية، د.عبد الرحمن محمد الرفاعى.

٢) انظر باستفاضة أحكام الطهارة فى: منهاج المسلم، أبو بكر الجزائرى.

المعتادة:

وهى من كانت لها أيام معلومة تحيضها من الشهر، فحكمها: أنها تترك الصلاة والصوم.. أيام عادتها، وإن رأت صفرة أو كدرة بعد عادتها لا تلتفت إليها، لقول أم عطية - رضى الله عنها - (وكنا لا نعد الصفرة أو الكدرة بعد الطهر شيئاً) أما إذا رأت ذلك أثناء العادة، بأن تخلل أيام عادتها صفرة أو كدرة[1] فإنها من حيضتها فلا تغتسل لها ولا تصلى ولا تصوم.

المستحاضة:

وهى من لا ينقطع عنها جريان الدم فى غير أوانه، ولها ثلاث حالات:

أ- أن تكون مدة الحيض معروفة لها قبل الاستحاضة، وفى هذه الحالة تعتبر هذه المدة المعروفة هى مدة الحيض، فتقعد عن الصلاة هذه الأيام من كل شهر، والباقى استحاضة.

ب - أن يستمر بها الدم، ولم يكن لها أيام معروفة، إما لأنها نسيت عادتها، أو بلغت مستحاضة ولا تستطيع تمييز دم الحيض، وفى هذه الحالة يكون حيضها ستة أيام، أو سبعة على غالب عادة النساء.

ج - أن لا تكون لها عادة، ولكنها تستطيع تمييز دم الحيض عن غيره، وفى هذه الحالة تعمل بالتمييز[2].

أحكام المستحاضة:

١- أنه لا يجب عليها الغسل لشيء من الصلاة، ولا فى وقت من الأوقات، إلا مرة واحدة حينما ينقطع حيضها.

٢- أنه يجب عليها الوضوء لكل صلاة: لقوله صلى الله عليه وسلم

---

١) الكدرة: وهى التوسط بين لونى البياض والسواد.

٢) منهاج المسلم، أبو بكر الجزائرى.

فى رواية البخارى «.. ثم توضئى لكل صلاة»، وعند مالك يستحب لها الوضوء لكل صلاة ولا يجب إلا بحدث آخر.

٣ـ أنه يجوز لزوجها أن يطأها فى حال جريان الدم، عند جماهير العلماء لأنه لم يرد دليل بتحريم جماعها، وإن كان التعفف عن جماعها أولى لوجود القذارة.

٤ ـ أن لها حكم الطاهرات فتصلى وتصوم وتعتكف وتقرأ القرآن، وتمس المصحف وتحمله وتفعل كل العبادات، وهذا مجمع عليه[١].

٢ـ النفاس

هو الدم الخارج من قبل المرأة بسبب الولادة وإن كان المولود سقطاً.

مدته: لا حد لأقله، فمتى رأت النفساء الطهر اغتلست وصلت، وأما أكثره فأربعون يوماً بإجماع أهل العلم، إلا أن ترى الطهر قبل ذلك فإنها تغتسل وتصلى.. فإن رأت الدم بعد الأربعين فإن أكثر أهل العلم قالوا لا تدع الصلاة بعد الأربعين، وتصير طاهرة كالمستحاضة.

علامة الطهر:

يعرف الطهر ـ سواء من الحيض أو النفاس ـ بأحد أمرين لا ثالث لهما:

أولهما: القصة البيضاء، وهو ماء أبيض يخرج عقب الطهر.

وثانيهما: الجفوف، وهو أن تدخل المرأة القطنة فى فرجها فتخرجها جافة. تفعل ذلك قبل النوم وبعده، لترى هل طهرت أم لم تطهر.

---

١) المصدر السابق.

ما يمنع بالحيض والنفاس وما يباح

أـ ما يمنع بالحيض والنفاس:

يمنع بالحيض والنفاس أمور هى:

١ـ الوطأ، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ..﴾ بالبقرة/ ٢٢٢]

٢ـ الصلاة والصوم، غير أن الصوم يقضى بعد الطهر، والصلاة لا تقضى لقول عائشة رضى الله عنها: «كنا نحيض على عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة»[رواه النسائى].

٣ـ دخول المسجد، لقوله عليه الصلاة والسلام: «لا أحل المسجد لحائض ولا جنب»[رواه البخارى].

٤ـ قراءة القرآن، لحديث: «لا يقرأ الجنب ولا الحائض شيئاً من القرآن»

[رواه الترمذى]

ب ـ ما يباح مع الحيض والنفاس:

يباح للمرأة مع الحيض والنفاس أمور هى:

١ـ المباشرة فيما دون الفرج، لقوله عليه الصلاة والسلام: «اصنعوا كل شيء إلا النكاح»[رواه مسلم].

٢ـ ذكر الله تعالى، إذ لم يرد فى ذلك نهى عن الشارع.

٣ـ الإحرام والوقوف بعرفة وسائر أعمال الحج والعمرة، إلا الطواف بالبيت فلا يحل إلا بعد الطهر والغسل، لقول الرسول ﷺ لعائشة رضى الله عنها: «افعلى ما يفعله الحاج غير أن لا تطوفى البيت حتى تطهرى»

[رواه البخارى]

٤ـ مؤاكلتها ومشاربتها، لقول عائشة رضى الله عنها «كنت أشرب وأنا حائض فأناوله النبى ﷺ فيضع فاه على موضع فىّ فيشرب»[رواه النسائى].

ماذا يقول الطب الحديث؟

ونذكر هنا ما أثبته العلم الحديث، مؤيداً نظرة الإسلام الرفيعة، ومدى ما لها من أثر طيب فى المحافظة على الصحة والسلامة، والبعد عن الأمراض والأوبئة وتبارك الله الذى يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة/٢٣٢]

ويقول ﴿أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾[الملك/ ١٤].

هذا، وفى ضوء الدراسات الطبية الحديثة يمكننا أن نتعرض وبإيجاز لمسألتين، كلتاهما غاية فى الأهمية، بالنسبة للرجل والمرأة بالذات أثناء المحيض.

إحداهما: إذا وقعا أى ـ الرجل والمرأة ـ فيما حرم الله عز وجل من الوطء فى حال الحيض.

الثانية: متى يمكن حدوث الحمل من الناحية الطبية

رأى الطب فى الوطء أثناء الحيض

إذا تأملنا فى حالة الرحم أثناء فترة الحيض، نجد كأنه فى حالة جراحة بالغة الخطورة، فغشاؤه الباطن بالٍ ميت متعفن ساقط، وعروق الدم مرتخية منفتحة، ودم الحيض ينضح من سطح الرحم الداخلى كله، ويصير الرحم كبركة دماء كما أن غشاء المهبل يكون رقيقاً ضعيفاً..

وعضو بهذه الحالة من تعرية سطحه الداخلى، وانعدام بطانته الواقية الحافظة، ينبغى أن لا يتعرض لأى شيء خارجى قد يحمل له ميكروباً أو فيروساً مرضياً، وعملية الوطء فى هذه الحالة قد تؤدى إلى بعض الجروح أو الاحتقان، والتى قد تنفذ منها إلى الأعضاء الحوضية كالمثانة والرحم والقولون وغدد الحوض وغيرها.

إن الوطء خلال أيام الحيض قد يدفع الميكروبات إلى الرحم لتجد الطريق مفتوحاً ميسراً، لتغزو هذا العضو الغزير العروق، ولعل انتشار أمراض الرحم من أورام خبيثة وغيرها، يرجع فى أسبابه العظمى إلى ممارسة الجماع أثناء فترة الحيض.

كما أن التقريرات الطبية تؤكد أن الأورام الخبيثة التى تصيب الرحم وعنق الرحم، متفشية بين أهل العقائد التى لا تحرم وطء الحائض، وذلك بسبب الإصابة بالعدوى والأمراض البكتيرية فى جهاز المرأة من جراء الوطء فى حال الحيض، بينما تقل هذه الإصابة بدرجة كبيرة بين المسلمات[١].

الأذى الذى يصيب الرجل:

من ذلك يتضح جلياً أن المهبل أثناء المحيض، يكون عرضة لكل ما ذكرت من الجراثيم المعدية التى تصيب الرجل، فتحدث عنده التهابات مختلفة فى أعضائه التناسلية إذ تمتد الجراثيم إلى داخل القناة البولية، بل قد تصيب المثانة والحالبين، بل قد يمتد الالتهاب حتى يصيب غدة البروستاتا والحويصلتين المنويتين والخصيتين والبربخ...

ولأسباب شتى يزمن المرض وتصحبه مضاعفات عامة فى غاية الحدة والخطورة، فمن ذلك التهاب الحشفة والقلفة، مما يؤدى إلى حدوث الغنغرينة فيها، وهذا يدعو إلى وجوب القيام بعملية البتر - أى قطع الذكر - حتى لا يتسمم سائر البدن.

متى يمكن حدوث الحمل؟

تفيد الملاحظات الطبية أن المرأة ذات الحيض المنتظم - من حيث ميقات مجيئه وعدد أيام نزوله - تخرج بويضتها من المبيض - من حوصلة جراف - فى اليوم الرابع عشر محتسباً من أول يوم ترى فيه دم الحيض. ثم يشفطها قمع قناة فالوب. وتبقى جاهزة للتخصيب فى موضعها من قناة فالوب لمدة ثلاثة أيام، فإذا لم يصادف وجود حيوان منوى فى هذه الفترة فإن البويضة تسقط فى تجويف الرحم ثم تتلاشى.

وينبغى أن نعرف أن مبيض الأنثى ينتج بويضة واحدة كل شهر، وقد ينتج نادراً بويضتين أو ثلاثة فى شهر، وهو ما يحدث فى بعض حالات

---

١) مسائل الحيض والنفاس والاستحاضة فى السنة النبوية، د. عبد الرحمن محمد الرفاعى.

ولادة التوائم كما أن المبيضين يتبادلان إنتاج البويضات، أو يتناوبان ذلك، وقد وجد أن درجة حرارة المرأة ترتفع بمقدار نصف درجة خلال إنتاج البويضة من حوصلة جراف.

وقد أمكن في حال انتظام دورة حيض المرأة، الاستفادة من هذه المعلومات، فمن ذلك، وجد أن بعض حالات العقم ترجع إلى عدم توافق الوطء مع ميقات خروج البويضة من المبيض، مما ينعدم معه الإنجاب، ويحدث هذا فى بعض حالات سفر الزوج، وغيابه لفترات طويلة ومنتظمة عن زوجته، فقد يترتب على ذلك أن الجماع فى مدة الإقامة مع الزوجة، قد يقع خارج نطاق وجود البويضة، ولذلك ينبغى فى مثل هذه الحالات تغيير مواقيت الإقامة، بحيث تكون بعد عشرة أيام من النقاء من الحيض أو بعد أسبوع.

كما استفيد من انتظام الحيض فى منع الحمل، منعاً طبيعياً بدون استعمال أية وسيلة أخرى، وذلك باجتناب الوطء خلال هذه المدة – والتى تقع فى أيام الأسبوع الثانى من فترة النقاء.

أما إذا كان الحيض مضطربا، فإنه لا يعلم متى تولد البويضة من المبيض وعلى ذلك فقد يحدث الحمل فى أى وقت من أوقات دورة الحيض.



المبحث الثالث

سنن الفطرة فى ضوء الهدى النبوى والتوجيه الطبى

قال الله تعالى:

* ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ ﴾{البقرة: ٢٢٢}

وقال رسول الله ﷺ :

* «الفطرة خمس أو خمس من الفطرة، الختان، والاستحداد، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقص الشارب» {الشيخان}

* «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...»{البخارى}

المبحث الثالث
سنن الفطرة
فى ضوء الهدى النبوى والتوجيه الطبى

١ـ الختان ٢ـ الاستحداد ٣ـ تقليم الأظفار ٤ـ نتف الإبط ٥ـ قص الشارب ٦ـ إعفاء اللحية
٧ـ السواك ٨ـ استنشاق الماء ٩ـ غسل البراجم ١٠ـ الاستنجاء ١١ـ المضمضة.

مراد الشارع بالفطرة:

يعنى التى فُطر الخلق على استحسانها، وأنها من الخير، والمراد بذلك الفطر السليمة، لأن الفطر المنحرفة لا عبرة بها؛ لقول النبى ﷺ «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه»[رواه البخارى].

وللإمام ابن القيم كلام طيب – فى معنى الفطرة- نورده هنا، حيث قال: «الفطرة فطرتان: فطرة تتعلق بالقلب، وهى معرفة الله ومحبته وإيثاره على ما سواه، وفطرة عملية وهى هذه الخصال؛ فالأولى تزكى الروح وتطهر القلب، والثانية تطهر البدن، وكل منهما تمد الأخرى وتقويها»(1).

ووردت كلمة (فطرة) فى القرآن الكريم مرة واحدة فى موضع واحد، وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا..﴾[الروم/ ٣٠].

وتعتبر هذه الآية هى الوحيدة التى عليها مدار الحديث فى هذا المبحث.

أما فى السنة فقد ورد ذكر الفطرة فى أحاديث كثيرة من أبرزها:

- عن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الفطرة خمس أو خمس من الفطرة: الختان، والاستحداد، وتقليم الأظفار، ونتف الإبط، وقص الشارب»[رواه الشيخان].

---

١) تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم ص ١٣٢.

ـ وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «عشرة من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء»[رواه مسلم]

قال الراوى : «ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة».

ـ وعن أبى هريرة ﷺ قال: قال النبى ﷺ: «كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه...»[رواه البخارى].

ثم إن هذا البحث يتناول الخصال العامة، التى حثت عليها السنة النبوية المطهرة، وهذه الخصال ـ التى سنتناولها بالبحث والدراسة ـ فضلاً عن كونها من سنن الفطرة التى فطر الله الناس عليها، إلا أنها تدخل فى موضوعات الطب الوقائى، والمحافظة على سلامة الأبدان، فإن نظافة العجان، واستعمال السواك، والمضمضة والاستنشاق فى الوضوء وغسل اليدين قبل تناول الطعام وبعده.. إلى غير ذلك من التعاليم الإسلامية وآداب الطهارة والزينة، التى هى فى حقيقتها دعائم للطب الوقائى بالمفهوم المعاصر فإنها أيضاً من أصول الطب الوقائى الإسلامى.

لذا، فإن الدراسة المشتركة ـ الدينية والطبية ـ لهذه السنن النبوية، هى أمر ضرورى ينبغى على كل مسلم أن يأخذ به، طاعة لله سبحانه وتعالى ولرسوله ﷺ وحفظاً ووقاية للبدن من الأمراض.

١ـ الختان

الختان: هو قطع الجلدة التى تغطى الحشفة؛ لئلا يجتمع فيها الوسخ، وليتمكن من الاستبراء من البول، ولئلا تنقص لذة الجماع، هذا بالنسبة إلى الرجل، أما المرأة فيقطع الجزء الأعلى من الفرج بالنسبة لها.

حكمه ومشروعيته:

والختان واجب على الرجال مكرمة فى حق النساء، وليس بواجب عليهن وذلك قول كثير من أهل العلم. والدليل على وجوبه ـ فى حق الرجال ـ ما روى أن النبى عليه الصلاة والسلام قال لرجل من أسلم: «ألق عنك شعر الكفر واختتن»[رواه أبو داود]. والحديث الذى رواه مسلم: «إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل».

وعن أبى هريرة ﷺ أن النبى عليه الصلاة والسلام قال: «اختتن إبراهيم خليل الرحمن بعدما أتت عليه ثمانون سنة، واختتن بالقدوم»[رواه البخارى].

أما عن وقته: فيرى الشافعية استحبابه يوم السابع، وقال الشوكانى لم يرد تحديد وقت له، ولا ما يفيد وجوبه. والصحيح أن الختان زمن الصغر أفضل، لأنه أسرع برءاً ولينشأ على أكمل الأحوال.

من أسرار الختان:

تحت عنوان (الختان وقاية ضد الإيدز) نشرت إحدى الصحف اليومية خبراً جاء فيه: (الختان يقلل من خطورة الإصابة بفيروس الإيدز، ويمكن أن يشكل وقاية فعالة منه: أكد ذلك فريق من العلماء والباحثين، وأكد العلماء أن الأطفال غير المختونين معرضون خمس عشرة مرة للالتهابات البولية أكثر من الأطفال المختونين).

هذه التقارير العلمية التى توصلت إليها أبحاث علماء الغرب (غير المسلمين) يؤكدون فيها على ضرورة عملية الختان دون تفريق فى ذلك بين ذكر وأنثى.

وعن فوائد ختان الذكور قالت الدكتورة نور السيد راشد:

الفائدة الأولى: إزالة القلفة لها تأثير طيب على المعاشرة الزوجية السليمة.

الفائدة الثانية: يخفف الختان من خطر الإكثار من استعمال العادة السرية، لأن وجود القلفة ووجود الافرازات الجنسية المختزنة بها يثير الأعصاب التناسلية المنبثة حول قاعدة الحشفة، وتدعو المراهق إلى حكها والاستزادة من مداعبتها ومداعبة عضوه.

القاعدة الثالثة: إزالة القلفة يزيد من مدة الجماع قبل القذف: لذلك فإن المختونين أكثر استمتاعاً وأكثر إمتاعاً وإرضاء.

الفائدة الرابعة: وجود بقايا البول والإفرازات الجنسية داخل القلفة فى حالة عدم الختان، تكون مصدراً لنجاسة الثوب والبدن، وبالتالى نقص عنصر الطهارة بالنسبة للمسلم.

الفائدة الخامسة: إذا لم تقطع الجلدة التى تغطى الحشفة، فإنها تحوى دائماً بعض قطرات من البول، وبعض الإفرازات الجنسية، وهذه الإفرازات ونحوها تكون بيئة ملائمة لتغذية وتكاثر العديد من أنواع

البكتريا والفطريات، التى تسبب الكثير من الأمراض البكتيرية لكل من الجهاز البولى والجهاز التناسلى للرجل[1].

الحكمة التى لأجلها يعاد بنو آدم غرلا (غير مختونين):

لما ذكر الله تعالى فى كتابه أنه يعيد الخلق كما بدأهم أول مرة، كان من صدق وعده أن يعيده على الحالة التى بدأ عليها من تمام أعضائه وكمالها غرلاً (غير مختونين).

وأيضاً فإن الختان إنما شرع فى الدنيا لتكميل الطهارة والتنزه عن البول، وأهل الجنة لا يبولون ولا يتغوطون، فليس هناك نجاسة تصيب الغرلة فيحتاج إلى التحرز منها[2].

٢ـ الاستحداد

الاستحداد: هو إزالة شعر العانة الذى ينبت حول القبل، وهو من علامات البلوغ، فمن الفطرة أن يحلق الإنسان هذا الشعر وهو سنة يجزئ فيه الحلق، والقص والنتف أو الإزالة بالنورة، ويكره تركه أكثر من أربعين يوماً للحديث الذى رواه أنس ﷺ قال: «وقت لنا رسول الله ﷺ فى قص الشارب وتقليم الأظافر، ونتف الإبط، وحلق العانة، ألا نترك أكثر من أربعين ليلة»

[رواه مسلم]

الحكمة من الاستحداد:

١ـ يعتبر الاستحداد وسيلة من وسائل المحافظة على صحة الجسم وقوته وسلامته، لأن ترك الشعر يتكاثر فى هذه الأجزاء من الجسم يسبب كثيراً من الالتهابات الجلدية التى تضر بالجسم وتوهنه.

٢ـ كما أنه من الوسائل التى تلطف العشرة بين الزوجين، وتزرع الألفة والمودة بينهما.

---

١) الرياض النضرة فى سنن الفطرة، د. كمال على الجمل.

٢) تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم، ص١٢٤.

٣ـ كما أن الاستحداد يعد وجهاً من أوجه النظافة البدنية التى طلبها الله من خلقه بقوله عز وجل: ﴿يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[الأعراف/ ٣١][١].

٣ـ تقليم الأظفار

والمقصود به: إزالة ما يزيد على ما يلابس رأس الأصبع من الظفر، ويستحب الاستقصاء فى إزالة الأظفار إلى حد لا يدخل منه الضرر على الإصبع.

وقد ورد فى توقيت تقليم الأظافر الحديث الذى رواه مسلم عن أنس قال: «وقت لنا النبى ﷺ فى قص الشارب وتقليم الأظافر ونتف الإبط وحلق العانة ألا نترك أكثر من أربعين ليلة»، وهذا هو الحد الأعلى الذى ينبغى للمسلم أن لا يزيد عليه فى ترك الأظفار، أما الحد الأدنى فهو لمدة أسبوع كما جاء فى رواية الطبرانى عن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: قال النبى ﷺ «من قلم أظفاره يوم الجمعة وُقى من السوء إلى مثلها».

قال القرطبى: والمستحب تفقد ذلك من الجمعة إلى الجمعة، وإلا فلا تحديد فيه للعلماء، إلا أنه إذا كثر ذلك أزيل.

تجميل الأظافر والتزين بإطالتها:

يلجأ الكثير من الناس إلى إطالة الأظفار، باسم التمدن والموضة، وإطالة الأظفار من أشد الأمور ضرراً على صحة الإنسان عموماً، وعند الاستنجاء بالذات، حيث إن بويضات الديدان تعلق بها، ثم تنتقل إلى فم الإنسان، وتجتمع تحت الأظافر أيضاً القاذورات وما بها من الجراثيم، التى تضر الإنسان وتهدد صحته [٢]، وقد انتشرت هذه الخصلة السيئة فى العالم وانتقلت إلى بلاد المسلمين ـ رغم مخالفتها للآداب الإسلامية وسنن الفطرة ـ وابتلى بها نساء المسلمين بصفة خاصة من أجل الأناقة ومحاكاة الموضة.

---

١) بتصرف من الرياض النضرة فى سنن الفطرة، د.كمال على الجمل.

٢) بتصرف من كتيب تقليم الأظفار، د. أبو الوفا عبد الآخر، مكتبة الآداب بالقاهرة.

ويلجأ البعض منهن إلى تجميل أظفارهن وتلوينها، بما يسمى بـ(المناكير) الذى يمنع وصول الماء إلى الجلد - وينشأ عنه فى الغالب التهاب جلدى نتيجة استعمال المستحضرات المستخدمة فى تجميل الأظفار.

وإطالة الأظفار وتلوينها الذى ابتدعه غير المسلمين، ويقومون بتغييره من وقت لآخر، باسم الموضة كلف المرأة الكثير من المال والاهتمام والوقت والجهد.. وتفرد له نفقات خاصة ضمن ما تشتريه من مستحضرات التجميل الأخرى، ذات الأذواق الغربية الباهظة التكاليف وكل ما تنفقه المرأة لتجميل أظفارها الطويلة، يوجه إلى غير الوجهة الإسلامية المشروعة، فضلاً عن الإسراف والتبذير وكلها تصرفات يحذر منها الإسلام وينهى عنها.

المخالفات والأضرار التى تسببها إطالة الأظافر:

١ـ تتعارض بدعة إطالة الأظافر مع سنن الفطرة، وهى بالتالى تتعارض مع هدى النبى ﷺ .

٢ـ الأظفار الطويلة قد تكون سبباً فى تعذر وصول الماء إلى أطراف الأصابع، كما أن المستحضرات التى تدهن بها الأظافر - بقصد تجميلها- تترك طبقة ذات سمك على الأظافر وتحول بينها وبين ماء الوضوء، ويترتب على ذلك فى كلا الحالين - عدم إسباغ الوضوء أو عدم حسنه.

٣ـ تتجمع بالجيوب الظفرية أوساخ من المواد التى تتناولها الأيدى كالأطعمة أو تلمسها كفضلات التغوط، أو التى تنفصل من سطح الجلد عند الهرش بالأظافر، ويصعب إزالة هذه الأوساخ إزالة كاملة بالغسل العادى للأيدى.

٤ـ نتف الإبط

وحكمه سنة: والأفضل فيه النتف لمن قوى عليه، ومن لم يقدر عليه أجيز له الحلق أو التنور، أو أى مزيل آخر، ويستحب أن يبدأ بالإبط الأيمن.

الحكمة منه ودليله: الحديث الذى رواه مسلم: «وقت لنا النبى ﷺ فى قص الشارب، وتقليم الأظافر، ونتف الإبط وحلق العانة ألا نترك أكثر من أربعين يوماً وليلة».

إن الإبط محل الرائحة الكريهة غالباً، وإزالة الشعر يخفف هذه الرائحة الكريهة، والتخلص من الأوساخ وعوامل تجمعها من أركان الزينة والجمال والإسلام يحرص على أن يكون المسلم نظيفاً، وفى أحسن هيئة، ولا يخفى أن النظافة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالزينة فى شريعة الإسلام، بل إن النظافة من شعب الإيمان.

٥- قص الشارب

ومن السنة قص الشارب أو إحفاؤه، وبكل منهما وردت روايات صحيحة، ففى حديث ابن عمر - رضى الله عنهما - أن النبى ﷺ قال: «خالفوا المشركين، وأحفوا الشوارب»[رواه البخارى] وفى حديث أبى هريرة ﷺ قال: قال النبى ﷺ: «خمس من الفطرة: الاستحداد والختان، وقص الشارب، ونتف الإبط، وتقليم الأظافر»[رواه البخارى]، فلا يتعين منهما شيء، وبأيهما تتحقق السنة، فإن المقصود ألا يطول الشارب حتى يتعلق به الطعام والشراب، ولا يجتمع فيه الأوساخ، وعن زيد بن أرقم أن النبى ﷺ قال: «من لم يأخذ من شاربه فليس منا»[رواه النسائى].

ويستحب قص الشارب كل أسبوع، استكمالاً للنظافة، واستروا حاً للنفس، فإن بقاء بعض الشعر فى الجسم يولد فيها ضيقاً وكآبة وقد رخص فى تركها إلى الأربعين، ولا عذر لتركه بعد ذلك.

وكره مالك إحفاءه وقال: «إنه مثلة». والأحفاء هو الحلق، والقص هو التخفيف منه.

بعض الفوائد فى إزالة شعر الشارب:

١- مخالفة المشركين.

٢- أن زوالها من مدخل الطعام والشراب أبلغ فى النظافة.

٣- أن الماء النازل من الأنف يلبد فى شعر الشارب، لما فيه من اللزوجة فيتعسر تنقيته عند الغسل.

٦ـ إعفاء اللحية

اتفق الفقهاء على أن إعفاء اللحية واجب، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ..﴾ [الإسراء/ ٧٠]، قال البغوى رحمه الله: قيل الرجال باللحى والنساء بالذوائب، فيجب إعفاء اللحية وتركها حتى تكثر، بحيث تكون مظهراً من مظاهر الوقار، فلا تقصر تقصيراً يكون قريباً من الحلق، ولا تترك حتى تفحش، بل يحسن التوسط، فإنه فى كل شيء حسن، ثم إنها من تمام الرجولة، وكمال الفحولة.

ورد فى الحديث الصحيح عن ابن عمر ـ رضى الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ «خالفوا المشركين ووفروا اللحى وأحفوا الشوارب»[رواه الشيخان]

وعند الإمام أحمد بلفظ «ولا تشبهوا باليهود والنصارى».

فقد أمر الرسول ﷺ بإعفاء اللحية، وهذا الأمر للوجوب بدليل قوله: «ولا تشبهوا» وهذا يقتضى أن حلقها محرم، إذ من المعلوم أن التشبه بغير المسلمين محرم، لذا نهى عنه الشارع كما هنا وقد جرى عمل المسلمين على هذا منذ عهد الصحابة إلى أوائل القرن الرابع عشر من الهجرة، ثم شاع فى بلادنا التعود على حلق اللحية، وسرت إليهم هذه العادة من الغرب، فظهر ذلك أولاً فى أغنيائهم ثم تفشى حتى وصلت سمومه إلى بعض العلماء، وسبب ذلك أنهم يعتقدون الكمال فى رجال أوربا لتقدمهم فى الصناعات والاختراعات.. فمالت نفوسهم إلى تقليدهم فى كل شيء، ونما هذا فى عامة الناس لضعف تمكنهم بآداب دينهم الحنيف وسنة رسولهم الكريم، حتى إن كثيراً من الناس تميل نفوسهم إلى اتباع سنة الرسول فى إرسال اللحية ولكنهم يخشون من سخرية اللئام، وبعضهم يتعلل بأن إرسال اللحية لا يحصل إلا ممن يريد أن يظهر للناس صلاحه وتقواه، ومن الناس من يقول لك إن الدين فى القلب لا فى اللحية، إلى غير ذلك مما يطول سرده.

وكل هذه شبه وهمية يلقيها إبليس على كل من غفل قلبه عن دينه فإنه لا كلام لأحد بعد كلام الشارع الحكيم[١].

٧ـ السواك

السواك ونظافة الفم:

الفم هو المدخل الرئيسى للطعام والقنطرة التى يعبر عليها الغذاء إلى المعدة ـ التى هى بيت الداء ـ والفم متصل اتصالاً مباشراً بالمحيط الجوى، الذى تكثر فيه الجراثيم والميكروبات بشتى أنواعها، ويكون الفم مزرعة صالحة للكثير منها، إذا وجَدت ما تحيا عليه ـ وهو فضلات الطعام ـ التى إذا لم يتم تنظيفها فتنمو عليها البكتريا، التى تساعد على تسوس الأسنان، وتنتقل ـ أيضاً ـ بعض الجراثيم من الفم إلى المعدة لتصيب الجهاز الهضمى، بالإضافة إلى تلك الرائحة الكريهة ـ نتيجة تحلل فضلات الطعام ـ التى تنفر من الإنسان، وتجعله فى صورة غير مرغوبة، ولذا حض الرسول عليه الصلاة والسلام على نظافة الفم مع كل وضوء، وجعل (المضمضة) ثلاث مرات مع تركيزه صلى الله عليه وسلم على استعمال السواك، ليكون عوناً على التخلص من الفضلات، مع الاحتفاظ بصحة الفم، ووقايته من الالتهابات فالنبى ﷺ حث وواظب عليه ورغب فيه، وقال: «لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة»

[رواه الشيخان]

وقال أبو بكر الصديق ﷺ السواك مطهرة للفم مرضاة للرب. وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت: «كان النبى ﷺ إذا دخل بيته بدأ بالسواك»

[رواه مسلم]

وعنها ـ رضى الله عنها ـ قالت: «كان رسول الله ﷺ لا يرقد من ليل أو نهار فيستيقظ إلا تسوك قبل أن يتوضأ»[رواه أبو داود].

---

١) انظر المنح البدرية فى فقه المالكية.

أوقات استخدام السواك:

السواك مستحب فى جميع الأوقات ، ولكن يتأكد استحبابه فى خمسة أوقات:

١ـ عند الوضوء ٢ـ عند الصلاة ٣ـ عند قراءة القرآن٤ ـ عند القيام من النوم ٥ـ عند تغير رائحة الفم مطلقاً.

وتغير الفم ـ فى الغالب ـ يكون بأشياء منها:

أـ ترك الأكل والشرب. ب ـ أكل ما له رائحة كريهة.

ج ـ طول السكوت. د ـ كثرة الكلام.

هـ - الحالات المرضية مثل جروح اللثة والأسنان، والجيوب الأنفية، واضطرابات المعدة...

فوائد السواك

وقد ذكر العلماء جملة من أسراره وفوائده منها:

أنه مرضاة للرب، ومطهر للفم، ومجلاة للبصر، ويذهب بالبخر، ويبيض الأسنان، ويشد اللثة، ويهضم الطعام، ويقطع البلغم، ويضاعف الصلاة، ويزيد فى الفصاحة، ويقوى المعدة، ويسخط الشيطان، ويزيد فى الحسنات، ويسكن عروق الرأس ووجع الأسنان، ويطيب النكهة، ويسهل خروج الروح،وإدامته تورث السعة والغنى، وتستغفر حملة العرش لفاعله، ويبطئ الشيب، ويقوى الظهر.

ومن الفوائد أيضاً المكتشفة حديثاً:

- أفضل علاج وقائى لتسوس الأسنان لاحتوائه لمادة الفلورايد.
- يزيل الصبغ والبقع لاحتوائه لمادة الكلور.
- يفيد فى التئام الجروح وشقوق اللثة، لاحتوائه على فيتامين (ج).
- أفضل علاج لترك التدخين.

فعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: «لم يزل يأمرنا رسول الله ﷺ بالسواك حتى ظننا أنه سينزل عليه فيه شيء»[رواه الطبرانى]. وعند الطبرانى أيضاً: «أربع من سنن المرسلين: الختان والسواك، والتعطر، والنكاح»

[رواه الطبرانى]

من أسرار التشريع فى السواك:

للسواك منافع جمة وفوائد دينية وبدنية:

فمن منافعه الدينية أن استعماله يمكن الشخص من ضبط إخراج الحروف من مخارجها فى القراءة والتسبيح وبقية الأذكار، وأنه يرضى الملائكة، لأنه يطيب رائحة الفم، وقد ورد أن الشخص إذا قام للصلاة دنا منه ملك، ووضع فمه على فم المصلى، فلا يخرج من فيه آية من القرآن إلا وقعت فى جوف الملك، وقد ورد أن الملائكة يتأذون من الروائح الكريهة فالسواك يرضيهم لأنه يزيل ما يكرهون، وما يرضى الملائكة يغضب الشيطان، وفى غضبه رضا الله ومن فضائله الدينية ـ أيضاً ـ أنه ورد أن الصلاة مع الاستياك أفضل من سبعين صلاة بغير سواك.

ومن فوائد السواك البدنية أنه من أهم الأسباب المؤدية إلى صلاح البدن واستقامة البنية، لأن السواك يزيل أثر العفونات التى فى الفم وخصوصاً الأسنان، فإذا أكل الشخص أو شرب انحدر الطعام إلى المعدة نظيفاً لم يخالطه شيء مما يضر، أما إذا لم يستعمل السواك فإن الطعام يختلط بما فى الفم فيتولد الضرر للشخص.

ولقد شهد الطب الحديث بذلك، فإن كثيراً من الأطباء يخبر المرضى بأن سبب أمراضهم هو عدم نظافة الفم، ولقد قرأنا أن بعض الإفرنج أصيب بمرض أعيا مشاهير الأطباء فى مصر وأوربا، وذات يوم شاهد الإفرنجى جاراً له من العلماء وبيده سواك يستاك به فسأله ماذا تفعل؟

فأخبره وبين له فائدته فاستعمل الإفرنجى السواك، ولا تعجب إذا قلت لك إنه كان سبباً فى شفائه من مرض الجسم، بل ومن مرض القلب ـ أيضاً ـ لأن الإفرنجى أسلم تحت تأثير هذه المعجزة الدينية.

٨ـ استنشاق الماء

ومن سنن الفطرة استنشاق الماء في الوضوء، لحديث أبى هريرة ﷺ أن النبى ﷺقال: «إذا توضأ أحدكم، فليجعل فى أنفه ماء، ثم لينتثر»

[رواه البخارى]

ومعناه شرعاً: جذب الماء إلى الأنف بالنفس.

والسنة أن يكون الاستنشاق باليمنى والاستنثار باليسرى، لحديث علىّ ﷺأنه دعا بوضوء، فتمضمض، واستنشق، ونثر بيده اليسرى، ففعل هذا ثلاثا، ثم قال «هذا طهور نبى الله ﷺ »[رواه أحمد].

ويسن المبالغة فيهما لغير الصائم لحديث لقيط ﷺ قال: قلت يا رسول الله، أخبرنى عن الوضوء قال: «أسبغ الوضوء، وخلل بين الأصابع، وبالغ فى الاستنشاق إلا أن تكون صائماً»[رواه أبو داود].

حكمة الاستنشاق:

هى تطهير آثار الشيطان، وتضييق مجاريه، وتنشيط البدن فى العبادة ثبت فى الصحيحين أن النبى ﷺ قال: «إذا توضأ أحدكم فليجعل فى أنفه ماء ثم لينتثر»[رواه الشيخان].

فدل الحديث على أن الشيطان يبيت على خياشيم الشخص والخياشيم أعلى الأنف، وسبب ذلك أن الشيطان يميل إلى الأقذار، ويحل فى أماكنها، ويقصد فى مبيته على هذا العضو من الشخص أن يتمكن من منعه عن النشاط للعبادة، لأجل هذا جعل الشارع الحكيم للفم سنة واحدة وهى المضمضة، وللأنف سنتان هما الاستنشاق والاستنثار، ويدل ذلك على حرص الشارع على تنظيف الأنف لكثرة الأقذار التى بها، أضف إلى ذلك أن تنظيف الفم والأنف يعين على جودة القراءة، ويورث الشخص نشاطاً فى أداء العبادة، كما أن الشارع رغب فى أن يبيت المرء متطهراً ليبعد عنه الشيطان(١).

---

١) انظر المنح البدرية فى فقه المالكية.

٩ـ غسل البراجم

والبراجم هى عقد الأصابع التى تكون فى ظهور الأصابع التى يجتمع فيها الوسخ، وهذه يجب غسلها كلما تلوثت بالطعام ونحوه ، ويلحق بالبراجم ما يجتمع من الوسخ فى معاطف الأذن، وهو الصماغ فيزيله، وكذلك ما يجتمع داخل الأنف، وكذلك جميع الوسخ المجتمع على أى موضع كان من البدن.

قال النووى: وغسل البراجم سنة مستقلة، ليست مختصة بالوضوء وجاء فى غسل البراجم الحديث الذى رواه مسلم عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ «عشر من الفطرة: قص الشارب وإعفاء اللحية... وغسل البراجم... الحديث».

١٠ـ الاستنجاء

ومن سنن الفطرة الاستنجاء وقد فسر وكيع ـ أحد رواة حديث الفطرة ـ انتقاص الماء بأنه الاستنجاء، لأنه تنظيف وتطهير وإزالة أذى.

والاستنجاء هو أن يزيل ما على السبيلين من النجاسة، وجوباً بالحجر وما فى معناه من كل جامد طاهر، قالع للنجاسة، ليس له حرمة، أو يزيلها بالماء فقط، أو بهما معاً، لحديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن النبى ﷺ قال: «إذا ذهب أحدكم إلى الغائط، فليستطب[١] بثلاثة أحجار فإنها تجزى عنه» [رواه أحمد]

آداب قضاء الحاجة:

قضاء الحاجة يقصد به هنا الذهاب إلى المكان الذى يتبول فيه الإنسان أو يتبرز، ثم يتطهر من النجاسة كما سبق، ولذلك آداب هى:

---

١) الاستطابة: الاستنجاء.

١ـ أن يطلب مكاناً خالياً من الناس بعيداً عن أنظارهم، لما روى عن جابر قال: «خرجنا مع النبى ﷺ، فكان لا يأتى البراز حتى يغيب فلا يرى»
[رواه ابن ماجة]

٢ـ أن لا يُدخل معه ما فيه ذكر الله تعالى، لما روى أنه صلى الله عليه وسلم: «لبس خاتماً نقشُه محمد رسول الله، فكان إذا دخل الخلاء وضعه»
[رواه الحاكم]

٣ـ أن يقول قبل الدخول: «بسم الله اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث»[رواه الجماعة]، ثم يدخل برجله اليسرى.

٤ـ ألا يرفع ثوبه حتى يدنو من الأرض ستراً لعورته.

٥ـ ألا يجلس للغائط أو البول مستقبل القبلة أو مستدبرها، لحديث: «إذا جلس أحدكم لحاجته فلا يستقبل القبلة ولا يستدبرها»[رواه أحمد] إلا إذا كان داخل البنيان كالمرافق التى تستر الإنسان فمباح ذلك.

٦ـ أن يتجنب الأماكن التى يمشى فيها الناس أو يستظلون فيها، أو يجلسون، مثل الطرق وتحت الأشجار، لحديث: «اتقوا الملاعن الثلاث: البراز فى الموارد وقارعة ـ وسط ـ الطريق، والظل»[رواه الحاكم].

٧ـ ألا يبول فى مكان استحمامه، ولا فى الماء الراكد (الساكن) ولكن يجوز التبول فى مكان الاستحمام إذا كان فيه نحو بالوعة مثل دورات المياه والحمامات الحديثة، فإن النجاسة لا تجتمع فوق أرضها بسبب مجاريها.

٨ـ أن يسكت ولا يتكلم بأى شيء مطلقاً.

٩ـ ويفضل أن يبول جالساً إلا لسبب أو عذر مع التحرز من النجاسة عن طريق الرشاش.

١٠ـ يجب أن يزيل ما على السبيلين من النجاسة بأى شيء يزيلها، وينظفها، سواء كان بالحجر أو بالماء أو بورق صحى أو طين، كل ذلك يجوز الاستنجاء به والاستجمار.

١١ـ لا يجوز الاستنجاء ولا الاستجمار بعظم أو روث.

١٢- أن لا يتمسح أو يستنجى بيمينه، أو يمس ذكره بها لقوله ﷺ «لا يمس أحدكم ذكره بيمينه وهو يبول ولا يتمسح من الخلاء بيمينه»
[رواه الشيخان]

١٣- إذا جمع بين الماء والحجارة فليقدم الحجارة أولاً على الماء، ويندب صب الماء على يده اليسرى قبل البدء بالاستنجاء، حتى لا يشتد تعلق النجاسة بها.

١٤- من السنة أن يجلس معتمداً على يساره لأنه أسهل لخروج الخارج، والحكمة فى ذلك أن المعدة فى الجانب الأيسر، ولأن المثانة التى هى محل البول لها ميل إلى جهة اليسار.

١٥- أن يتقى الجحور، لئلا يكون فيها شيء يؤذيه، فقد ورد «أنها مساكن الجن».

١٦- يخرج برجله اليمنى ويقول عند خروجه «غفرانك».

١٧- ويستحب أن يدلك يده بعد الاستنجاء أو يغسلها بصابون ونحوه، ليزيل ما علق بها من الرائحة الكريهة.

تنبيهات بخصوص الاستنجاء

١- لا استنجاء من الريح.

٢- بعض الناس يشعر بخروج قطرات بول بعد الانتهاء من الاستبراء أو عند القيام، فيعود ليستنجى مرة أخرى مما يسبب حرجاً ومشقة ويوقعه فى الوسوسة والخلاص من ذلك هو أن ينضح شيئاً من الماء إلى سرواله وذكره عند الانتهاء من الاستنجاء ليدفع عن نفسه الوسوسة ولا يلتفت إليه بعد ذلك، لأن رطوبة الماء متيقن منها، وخروج البول مشكوك فيه، واليقين لا يزول بالشك.

٣- يكره التبول فى مكان الوضوء أو الاغتسال، كما يكره أن يدخل الخلاء حاسر الرأس أو حافى القدمين.

فوائد الاستنجاء الصحية:

للاستنجاء فوائده الصحية الكثيرة، التى تقى الإنسان من الأمراض العديدة، ويكون فى مأمن منها لو اتبع تعاليم الدين الحنيف ولا شك أن فى الاستبراء ـ وهو إخراج ما بقى فى المخرج من بول أو غائط ـ أمر شرعى، وفائدة صحية محققة، ذلك لأن إفراغ المثانة ومجرى البول من البول تماماً، يمنع حدوث الالتهابات أو ترسب الأملاح، وقد ثبت طبياً أن التهاب الجهاز البولى يأتي فى معظم الحالات عن طريق تلوث مجرى البول بالميكروبات الموجودة فى الغائط ولاسيما النساء وتطهير القبل والدبر مما يخرج منهما يقى الإنسان من التهابات المسالك البولية ويحمى الدبر من حدوث ناصور شرجى.

والاستنجاء بالماء يقى الإنسان من أمراض خطيرة معدية مثل التيفود، ووباء الكوليرا، ووباء الكبد الفيروسى، وهذا ما حدث عام ١٩٦٣م، بإحدى مدن إنجلترا، فقد ظهرت بالمدينة حالات تيفود بصورة متلاحقة، وفى فترة وجيزة مما أثار القلق من أن يتصاعد الموقف إلى حدوث حالة وبائية فى المدينة، وصدرت تعليمات صحية من مسئولى الصحة فى الدولة، بوجوب الاستنجاء بالماء بعد التبرز، والامتناع عن استعمال أوراق المراحيض، حيث أنه ثبت أن هذه هى أنجح الوسائل فى منع انتشار العدوى فى المدينة كلها.

وقد اتبع سكان المدينة التعليمات التى جاء فيها حرفيا: (النظافة الشخصية تكون بالماء كما يفعل المسلمون، وليس بالأوراق التى بدورات المياه، ولم تمض سوى أيام قليلة إلا واختفت حالات التيفود من المدينة)[١].

---

١) بتصرف من الصلاة وصحة الإنسان، حلمى الخولى، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة.

١١ـ المضمضة

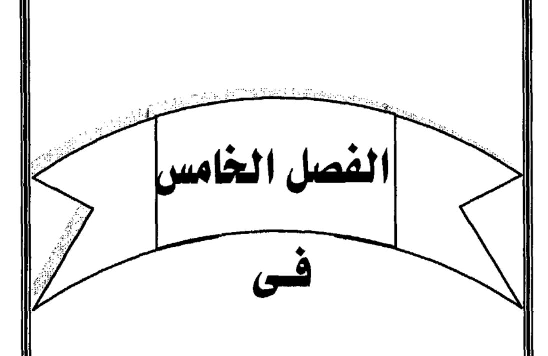
المضمضة ـ ثلاثاً ـ سنة فى الوضوء، للحديث الذى رواه أبو داود «إذا توضأت فمضمض».

ومعنى المضمضة عند الفقهاء خضخضة الماء فى الفم وطرحه، فلو أدخل الماء فى فمه ثم ابتلعه لم تحصل السنة، لأن المقصود من المضمضة تنظيف الفم، ولا يحصل التنظيف إلا بما ذكر، ثم إنه لا ينبغى للشخص أن يصوت فى خضخضة الماء أو طرحه، تصويتاً زائداً على الحاجة، لأنه مناف للمروءة، ويعتبر من العبث الذى لا داعى له فلذلك حكم بكراهته، فما أحسن إرشادات الدين وتوجيهاته.

والسنة فى المضمضة أن تكون باليمنى، كما فى الاستنشاق، أما الاستنثار فيكون باليسرى؛ وذلك لحديث على المتقدم: «أنه دعا ـ بوضوء، فتمضمض، واستنشق، ونثر بيده اليسرى ففعل هذا ثلاثاً، ثم قال: هذا طهور نبى الله ﷺ».

ويسن أن يبالغ فى المضمضة إلا أن يكون صائماً، وذلك للحديث الذى رواه ابن ماجه بلفظ: «وبالغ فى المضمضة والاستنشاق إلا أن تكون صائماً».





الفصل الخامس

فـى

المساجد

بيوت اللّه فى الأرض

وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: المساجد فى الإسلام: مكانتها، آدابها، أحكامها
- المبحث الثاني: مساجد الأنبياء.

قال الله تعالى:

﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴾{الجن : ١٨}

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ {التوبة: ١٨}

وقال رسول الله ﷺ :

- «أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها» {مسلم}
- المسجد بيت كل تقي، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح، والرحمة، والجواز على الصراط إلى رضوان الله، إلى الجنة»{الطبراني}

الفصل الخامس
المساجـــد
بيوت الله فى الأرض

المسجد بيت الله، يؤدى فيه المسلمون صلواتهم اليومية المفروضة عليهم، والمسجد عبر التاريخ الإسلامى هو مصدر الإشعاع الفكرى والدينى والاجتماعى، والمركز الأساسى لنشر الثقافة فى جميع الأوقات وبين مختلف الطبقات، تعقد فيه حلقات الدروس ويتخرج فيه طلاب العلم.

ويخطئ من يظن أن المساجد بنيت للعبادة فقط، بل هى بالإضافة إلى ذلك معاهد للتعليم، ودور للاطلاع، ودار للقضاء وفض المنازعات، ومكان للاجتماعات الهادفة فى المناسبات الدينية والقومية.

ولما كانت المساجد مهبطاً للرحمة، ومنزلاً للسكينة، ودارا للملائكة الكرام، ومواطن اجتماعات المسلمين، فقد حظيت - فى الإسلام - بمنزلة عالية، ومكانة سامية، فى نفوس المسلمين فى كل زمان ومكان، لما لها من أعظم الأثر فى حياة المجتمعات ورقيها وحضارتها وسعادتها.. وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[النور ٣٦ - ٣٨].

ثم إن الكلام عن المساجد نتناوله فى المبحثين التاليين:

المبحث الأول: المساجد فى الإسلام ، مكانتها - آدابها - أحكامها.

المبحث الثانى: مساجد الأنبياء.

المبحث الأول

فى

المساجد في الإسلام

مكانتها - آدابها - أحكامها

قال الله تعالى:

* ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝٣٦ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ {النور: ٣٦، ٣٧}

وقال رسول الله ﷺ :

* «من بنى مسجدا يبتغى به وجه الله، بنى الله له مثله فى الجنة» {الشيخان}
* «عرضت علىّ أعمال أمتى حسنها وسيئها، فوجدت فى محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت فى مساوئ أعمالها، النخاعة تكون فى المسجد لا تدفن» {مسلم}

المبحث الأول
المساجد فى الإسلام
مكانتها - آدابها - أحكامها

تمهيد - معنى المسجد والجامع - أول مسجد فى مصر- انتشار المساجد فى مصر - حكم بناء المساجد وفضلها - فضل المشى إلى المساجد - نموذج من رسالة المسجد - نظافة المساجد وتطهيرها - ما تصان عنه المساجد - بم تكون عمارة المساجد؟ - دور المسجد فى المجتمع المعاصر - آداب المساجد - من الأحكام الفقهية الخاصة بالمساجد - بدع المساجد.

تمهيد:

لأهمية المساجد، وعظم مكانتها وفضلها، أضافها الله - عز وجل - إلى نفسه فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[التوبة/ ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن/ ١٨].

وقال ﷺ «وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده»[رواه مسلم].

وعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»[رواه مسلم].

وإنما كانت المساجد أحب البلاد إلى الله تعالى، لما خصت به من العبادات والأذكار، واجتماع المؤمنين، وظهور شعائر الدين، وحضور الملائكة. فالمسجد مصدر إشعاع وهداية للناس أجمعين، فيه المسلمون يلتقون ويتعارفون، ويأتلفون، ويتحدثون، ويتعاونون فى أمور دينهم ودنياهم.

ولعظم دور المسجد فى حياة الأمة، وتنشئة الأفراد، فإن أول شيء فعله رسول الله ﷺ حين قدم المدينة، هو بناء المسجد الذى هو أساس بناء الدولة الإسلامية، ومنه منطلق الدعوة، ويتخرج منه العلماء والفقهاء،

والقواد والعظماء، فرسالة المسجد عظيمة، فهو أعظم جامعة للعلم، ومحل الإصلاح بين المتخاصمين، ومحل جمع الزكاة وتوزيعها، وإغاثة الملهوفين والمحتاجين، والعناية بالنشء، وتحفيظهم كتاب ربهم، والأخذ بأيدى الشباب، وحمايتهم من الانحراف ...

وفيما يلى. نلقى الضوء ـ بشيء من التفصيل - على عظم شأن المساجد، وأهميتها فى الإسلام، ثم الكلام على آدابها، وبيان الأحكام الفقهية الخاصة بها....

نشأة المساجد

معنى المسجد والجامع

المسجد: الموضع الذى يسجد فيه. قال الزجاج: كل موضع يتعبد فيه فهو مسجد، ألا ترى أن النبى ﷺ قال: «جعلت لى الأرض مسجداً وطهورا»، والجمع مساجد، ويطلق المسجد على كل مكان أعد للصلوات، وإذا كانت تقام فيه الجمعة فهو المسجد الجامع.

وبناء على ما تقدم يتبين أن المسجد: هو المكان المعد للصلاة فى أى موضع من الأرض غير المواضع المنهى عن الصلاة فيها، وفى الحديث عن جابر أن النبى ﷺ قال: «...وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً ، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل»[رواه الشيخان].

وأول مسجد فى الإسلام هو مسجد قباء، الذى يقال له مسجد التقوى، لقوله تعالى فيه: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾[التوبة/ ١٠٨].

روى أبو سعيد الخدرى أن النبى ﷺ سئل عن المسجد الذى أسس على التقوى فقال: هو مسجدى (أى المسجد النبوى). وهذا لا يعارض الأول، إذ كل منهما أسس على التقوى، غير أن قوله سبحانه وتعالى:

﴿مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ﴾ يقتضى أن يكون مسجد قباء، لأن تأسيسه كان من أول يوم حلول الرسول ﷺ دار هجرته.

ومن عظم مكانة مسجد قباء أن النبى ﷺ كان يتعهده بالزيارة ويأتيه فى كل أسبوع، وكان يأتيه راكباً وماشياً. أخرج مسلم فى صحيحه عن عبدالله ابن عمر - رضى الله عنهما - قال: «كان رسول الله ﷺ يأتى مسجد قباء راكباً وماشياً، فيصلى فيه ركعتين» ومن فضل مسجد قباء: أن من أتاه فصلى فيه ركعتين كان له من الأجر، كأجر عمرة كاملة، قال رسول الله ﷺ: «من تطهر فى بيته، ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه صلاة، كان له أجر عمرة»[رواه النسائى]

*** أول مسجد فى مصر:**

فى عهد الخليفة العادل عمر بن الخطاب ﷺ فتح المسلمون مصر على يد عمرو بن العاص سنة ٢٠ هجرية، فكان أول عمل قام به أن بنى المسجد، وبنى بجواره بيته، وبنى أصحابه حواليه حتى أسسوا مدينة الفسطاط

وفى أول أمر هذا المسجد كانت تذاع فيه الأخبار الهامة التى تهم الدولة وكان أول من جلس للتدريس فى هذا المسجد عبد الله بن عمرو بن العاص، الذى أوفده أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، ليقوم بتعليم الدين الإسلامى، وبيان أحكامه وفضائله، ثم تكاثرت حلقات الدراسة فيه، حتى بلغت فى سنة ٧٤٩ هجرية أكثر من أربعين حلقة لتدريس العلوم المختلفة، فكان النواة الصالحة التى تبشر بمقدم جامعة إسلامية وظل هذا المسجد مركزاً ثقافياً ومحكمة للقضاء....

*** انتشار المساجد فى مصر:**

ما إن أنشأ عمرو بن العاص مسجده، حتى دبت روح التنافس بين المسلمين فى أحياء القاهرة المختلفة، وجنباتها الفسيحة، ثم امتد ذلك التنافس بروح عالية راضية إلى مدنها وقراها.

حكم بناء المساجد وفضلها

حث الشارع الحنيف على بناء المساجد وبين فضل بنائها، لذا فقد اتفق جمهور الفقهاء على أنه يسن بناء المساجد، وتعهدها، وإصلاح ما تهدم منها، قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾[النور/ ٣٦].

وقال ﷺ : «من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله، بنى الله له مثله فى الجنة»[رواه الشيخان].

وفى الحث على عمارة المساجد، ومراعاة مصالحها، آثار كثيرة منها:

ـ عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ عن النبى ﷺأنه قال: «من بنى مسجداً ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتاً فى الجنة»[رواه ابن ماجة].

ـ وعن عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: سمعت رسول الله ﷺيقول «من بنى لله مسجداً يذكر فيه اسم الله تعالى بنى الله له بيتاً فى الجنة»[ابن ماجة].

هذان الحديثان يدلان على فضل بناء المسجد، وأن ذلك من أعظم القرب إلى الله عز وجل سواء أكان المسجد كبيراً أم صغيراً، ولو كمفحص قطاة.

* فضل المساجد:

وردت آيات كثيرة وأحاديث صحيحة تدل على فضل المساجد.

فمن الآيات الكريمة قول الحق تبارك وتعالى:

ـــ ﴿وَأَنَّ ٱلۡمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدۡعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدٗا﴾[الجن/ ١٨].

ـــ ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ وَيُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ﴾[النور/ ٣٦]

أما الأحاديث الشريفة التى تدل على فضل المساجد فكثيرة وعديدة منها:

ـ عن أبى الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «المسجد بيت كل تقى، وتكفل الله لمن كان المسجد بيته بالروح، والرحمة، والجواز على الصراط

إلى رضوان الله إلى الجنة»[رواه الطبرانى فى الكبير].

- وعن ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: «المساجد بيوت الله فى الأرض تضىء لأهل السماء، كما تضىء نجوم السماء لأهل الأرض» [رواه الطبرانى]

* فضل المشى إلى المساجد:

وردت أحاديث كثيرة وصحيحة: تبين فضل المشى إلى المساجد، وكثرة الخطا إليها وانتظار الصلاة فيها، ومن ذلك:

١- عن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له فى الجنة نزلاً كلما غدا أو راح»[رواه الشيخان].

٢- وعنه ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال: «من تطهر فى بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله، ليقضى فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة»[رواه مسلم].

٣- وعن أبى موسى قال: قال رسول الله ﷺ «إن أعظم الناس أجراً فى الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم، والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجراً من الذى يصليها ثم ينام»[رواه الشيخان].

٤- وعن بريدة عن النبى ﷺ قال: «بشروا المشائين فى الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة»[رواه الترمذى].

٥- وعن سلمان عن النبى ﷺ قال: «من توضأ فى بيته، فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد، فهو زائر لله، وحق على المزور أن يكرم الزائر»[الطبرانى].

٦- وعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله؛ إمام عادل، وشاب نشأ فى عبادة الله عزوجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد .. الحديث» متفق عليه.



نموذج من رسالة المسجد
للشيخ عبد الحميد كشك[1]

إن عملنا فى المسجد قد يكون ثقيلاً جداً، وقد يكون مريحاً جداً، يكون ثقيلاً جداً كما قال تعالى: ﴿**إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلا**﴾ إذا أديناه كرسالة.

فأنا أذهب إلى المسجد فى التاسعة صباح يوم الجمعة، ولا أخرج إلا بعد أداء فريضة العصر، لأننى لا أحب أن يسألنى سائل فأقول له تعالى غداً، أو بعد غد. هذه الكلمة تعز على، ولو أدى الأمر بى أن أقضى ليلى ونهارى فى بيت الله، لقد اتخذت عملى على أنه رسالة.

أما بالنسبة لباقى الأيام، فإننى أقضيها كما يلى:

* أخصص يوماً للفتاوى والأسئلة.
* ويوماً لحل المشاكل.
* ويوماً للجنة المصالحة بين المتخاصمين.
* ويوماً لتوزيع الأقمشة والأدوية.
* ويوماً لتوزيع الصدقات، والمرور على بيوت الناس الذين هم بحاجة إلى أن أصلح بينهم، أو أصلح ما عساه أن يهدد الأسرة، أو يشتت شملها

وكانت لنا مناسبات فى الأعياد. كان أحد الجزارين يرسل لى ٦٠٠ كارت ويقول لى حدد كمية اللحم التى ستطلبها فى كل كارت، وكنت أقول: إذا كان هو يجود باللحم فلماذا لا أجود أنا فى تحديد الكمية؟ وكنت أعطى الفقير كارتاً يذهب به إلى الجزار، هذا فى عيد الأضحى .

أما فى عيد الفطر: فقد كان أحد تجار الأقمشة يرسل لى أيضاً ٥٠٠ كارت ويقول لى: أرسل الفقراء لى، وحدد عدد الأمتار المطلوبة لكل أسرة ، فكيف أبخل على أى أسرة بأن تكسى مرتين فى كل عام.

---

١) من كتاب : كفاية الراكع والساجد من أحكام الصلاة وآداب المساجد، د. إبراهيم التومى نقلاً عن مجلة اللواء الإسلامى ــ العدد (٥)

وبالنسبة للأطباء، فقد كان عندى كروت لعشرين طبيباً متخصصاً فى مختلف فروع الطب، وكان الفقير يأتى إلى فأعطيه كارتاً للطبيب المتخصص فى علاج مرضه، فيقوم بعلاجه ويعطيه الدواء .

فالمسجد كان يقوم برسالة خمس وزارات بالإضافة للعبادة:

١ـ **وزارة التربية والتعليم**: وذلك فى الدروس الخاصة التى كان المدرسون يتطوعون لإعطائها للتلاميذ فى المسجد.

٢ـ **وزارة الثقافة**: فى دروس ما بعد المغرب.

٣ـ **وزارة الشئون الاجتماعية**: وذلك بتوزيع الأقمشة والأدوية واللحم والمال، وغير ذلك...

٤ـ **وزارة الصحة**: وذلك بقيام الأطباء بعلاج المرضى، وإعطائهم الدواء بالمجان.

٥ـ **وزارة التعليم العالى**: حيث كان كبار الأساتذة يتبرعون بإلقاء المحاضرات هكذا كنت أرى رسالة المسجد، ولعل هذا من الأسباب التى أدت إلى نجاحه؛ حيث وجد المسلمون فى بيت الله ما يمسك رمقهم، ويشبع غلتهم، ويروى ظمأهم، ويسد حاجتهم.

فالمسجد ليس عبادة فحسب، وإنما هو حياة وعبادة، وسلام وإسلام، ومصحف وتوجيه، وهكذا تكون بيوت الله.

نظافة المساجد وتطهيرها

المساجد أحب البقاع إلى الله تعالى فى الأرض، وهى بيوته التى يوحّد فيها ويعبد: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾[النور/٣٦]،

قال الفقهاء وأهل العلم: يجب المحافظة على المساجد وتنظيفها، وصيانتها من الأقذار، وقالوا يسن كنس المسجد يوم الخميس، وإخراج كناسته، وتنظيفه، وتطييبه، وشعل القناديل فيه كل ليلة؛ لأداء رسالته الدينية والحياتية: بحيث تكون بصورة تليق ببيت الله لأن الإسلام دين النظافة والطهارة..

عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ أن امرأة كانت تلقط القذى من المسجد، فتوفيت، فلم يؤذن النبى ﷺ بدفنها، فقال ﷺ «إذا مات لكم ميت فآذنونى، وصلى عليها وقال: إنى رأيتها فى الجنة تلقط القذى من المسجد» [رواه الطبرانى فى الكبير]

وعن أبى ذر قال: قال النبى ﷺ : «عرضت على أعمال أمتى حسنها وسيئها، فوجدت فى محاسن أعمالها الأذى يماط عن الطريق، ووجدت فى مساوئ أعمالها النخاعة تكون فى المسجد لا تدفن»[رواه مسلم].

وكان عمر ﷺ يجمر مسجد رسول الله ﷺ أى يبخره بالطيب كل جمعة.

ولا خلاف بين الفقهاء فى وجوب صيانة المساجد عن كل وسخ وقذر ومخاط، وعن البصاق أيضاً، لما فيها من تقزز الناس منها، وعد الفقهاء ذلك معصية، للحديث الذى رواه البخارى أن النبى ﷺ قال: «البصاق فى المسجد خطيئة وكفارتها دفنها».

وقال ابن عقيل: يكره إزالة الأوساخ فى المساجد كتقليم الأظفار، وقص الشارب، ونتف الإبط..

وقد قال النبى ﷺ للأعرابى الذى بال فى طائفة المسجد: «إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هى لذكر الله تعالى وقراءة القرآن»[رواه مسلم].

*** ما تصان عنه المساجد:**

وقال الفقهاء أيضاً ينبغى مراعاة حرمة المسجد، وصيانته عن هذه الأفعال والأقوال:

* صيانة المسجد من الروائح الكريهة وخاصة روائح الثوم والبصل..

* إقامة الحدود والتعازير فيه.

* السرقة ونحوها.

* البيع والشراء.

* قضاء الحاجة.
* عبور الجنب والحائض والنفساء المسجد والمكث فيه.
* نشد الضالة فى المسجد.
* دخول الكافر والذمى المسجد.
* الحدث فى المسجد.
* اتخاذ المسجد طريقاً.
* تشبيك الأصابع وفرقعتها.
* السؤال فى المسجد وغيره إلا لضرورة.
* رفع الصوت فى المسجد واللغو فيه.
* إدخال الصبيان والمجانين والبهائم فى المسجد.
* الجلوس فى المسجد للتعزية.

عن واثلة بن الأسقع أن رسول الله ﷺ قال: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسل سيوفكم، واتخذوا على أبوابها المطاهر ـ المراحيض ـ وجمروها فى الجمع»[أخرجه ابن ماجه وضعفه البوصيرى] وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: «وجهوا هذه البيوت عن المسجد، فإنى لا أحل المسجد لحائض ولا جنب»[رواه ابن ماجة][(١)].

*** بم تكون عمارة المساجد؟**

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾[التوبة/ ١٨].

وقال: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[النور/ ٣٦، ٣٧]

---

١) ضعيف : انظر ضعيف سنن ابن ماجة (١٦٤) .

وعمارة المساجد تكون بالآتى من أنواع الصلوات والعبادات والأذكار:

* إقامة الصلوات الخمس فى جماعة وفرادى أيضاً.
* أداء فريضة الجمعة وما يتبعها من شعائر كالخطبة ونحوها.
* صلوات النوافل والسنن بصفة عامة، بخلاف النوافل التى فعلها فى البيت أفضل.
* صلاة العيدين: عيد الفطر وعيد الأضحى من كل عام.
* صلاة التراويح (القيام) فى رمضان.
* صلاة التهجد والقيام آخر الليل عموماً.
* صلاة الاستسقاء والكسوف والخسوف.
* صلاة القدوم من السفر أو العودة من الغزو.
* صلاة الجنازة على الأموات فى المسجد.
* الاعتكاف فى المسجد سواء فى رمضان أو غيره.
* الأذان فى كل وقت للإعلام بدخول الوقت.
* قراءة القرآن وذكر الله تعالى عموماً، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ.

دور المسجد فى المجتمع المعاصر

يجب على المسلم أن يتعود على الذهاب إلى المساجد، منذ صغره، وأن يحفظ لها مكانتها وقدسيتها، حتى يعلق قلبه بحبها، ويتحقق فيه قول الرسول ﷺ : «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان»[رواه الترمذى]. قال الله عز وجل ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾.

وفى حديث السبعة الذين يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله.. «ورجل قلبه معلق بالمساجد»[رواه الشيخان].

وذلك كناية عن حبه لها، وحنينه إليها إذا خرج منها حتى يعود إليها. وقيل: حصون المؤمن ثلاثة: المسجد، وذكر الله، وتلاوة القرآن، فإذا كان المؤمن فى واحد منها فهو فى حصن من الشيطان وعن وهب بن منبه قال: يؤتى بالمساجد يوم القيامة كأمثال السفن، مكللة بالدر والياقوت، فتشفع لأهلها.

والمسجد ليس ساحات وجدران ترفع، وأعمدة تقام فحسب، بل هو دائماً مركز إشعاع دينى وثقافى واجتماعى ومنارة علم، ومدرسة ومجتمع.. إذ لابد أن يكون للمسجد دور فعال، يساند الإنسان المسلم المعاصر فى صراعه ضد المبادئ الهدامة، والعادات المستوردة من مواطن الرذيلة .

ومن الأشياء التى يجب أن تتوافر فى المسجد فى مجتمعنا المعاصر ما يأتى:

١ ـ **أن يزود المسجد بمكبرات الصوت لإعلام الناس بالأوقات**، وإذاعة الخطب والمحاضرات والندوات، من أجل أن يعم النفع أكبر عدد من المسلمين، كما يجب أن يزود بوسائل الاتصال الحديثة كالهاتف: من أجل اتصال المصلين بالإمام للاستفسار والسؤال عن الأمور التى تهمهم لمعرفة رأى الدين فيها.

٢ـ **أن يلحق بالمسجد مكتبة مزودة بالكتب الدينية والثقافية**، وتيسير اطلاع الجمهور على ما بها من كتب داخل المسجد وخارجه، من أجل أن تعم الاستفادة منها.

٣- **أن يعد عند بناء المسجد مكان للسيدات، يخصص لهن،** لأداء الصلاة وسماع دروس العلم، وخطب الجمعة، وتبصير المرأة المسلمة بأمور دينها.

٤- **أن يلحق بالمسجد مكتب لتحفيظ القرآن الكريم،** لكبار السن والناشئين فى وقت فراغهم، ويعد فيه مكان لتعليم الأميين القراءة والكتابة.

٥- **أن تخصص فيه حجرة لفض المنازعات،** صوناً للسرية، ومنعاً لما قد يحدث من تشويش على الحاضرين فى المسجد، ويكون فيه مكان معد لتقديم الخدمات اللازمة للمترددين على المسجد وملحقاته، ويكون فيه صندوق للشكاوى والاستفسارات، كما ينبغى أن تلحق به استراحة للزائرين، أو لمن يحتاج الأمر إلى إقامتهم بعض الوقت فيه ، على غرار الصُّفة التى كانت فى مسجد النبى ﷺ.

٦- **إعداد دروس خاصة للتقوية،** لطلبة المدارس فى المراحل المختلفة، لاجتذابهم نحو المساجد من ناحية، ولمساعدة أولياء الأمور من ناحية أخرى.

وقبل ذلك وبعده ينبغى الاستعانة بالصالحين وأهل الخير، من أبناء المنطقة للمشاركة فى القيام بالواجب نحو المساجد، سواء مشاركة علمية أو مادية أو اجتماعية، كى يتيسر للمسجد والقائمين عليه النهوض به، والقيام بدوره على أكمل وجه، فلقد شهد التاريخ الإسلامى أن المسجد قام بدور فعال فى رقى الأمة، وبناء تقدمها فكرياً وحضارياً على مختلف العصور، يعرف ذلك كل من أمعن النظر فى حياة الرسول ﷺ ومن جاء بعده من الصحابة والتابعين[١].

---

١) بتصرف من كتاب المسجد فى الإسلام ورسالته فى المجتمع المعاصر، د. عادل محمد درويش ص٣٧،٨٢،٨٣ .

آداب المساجد

لقد أحاط الإسلام المساجد بسياج من التعاليم والآداب، يجب على كل مسلم مراعاتها، فمن هذه التعاليم والآداب:

١- **أخذ الزينة عند الذهاب إلى المسجد**، بأن يختار الثوب النظيف والرائحة الطيبة، تحقيقاً لقول الله جل شأنه: ﴿ يَبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ ..﴾[الأعراف/ ٣١].

٢- **الدعاء عند التوجه إلى المسجد:**

روى مسلم عن ابن عباس أن النبى ﷺ خرج إلى الصلاة وهو يقول: «اللهم اجعل فى قلبى نوراً، وفى لسانى نوراً، واجعل فى سمعى نوراً، وفى بصرى نوراً، واجعل من خلفى نوراً، ومن أمامى نوراً، واجعل من فوقى نوراً، ومن تحتى نوراً، اللهم أعطنى نوراً».

٣- **الذهاب إلى المسجد بالسكينة والوقار**، وعدم الإسراع فى المشى، للحديث الذى رواه الشيخان عن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أقيمت الصلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، وأتوها وأنتم تمشون، وعليكم السكينة، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا».

٤- **الدخول بالرجل اليمنى والخروج باليسرى:**

يستحب لداخل المسجد أن يقدم رجله اليمنى فى الدخول، واليسرى فى الخروج لحديث أنس ﷺ أنه قال: «من السنة إذا دخلت المسجد أن تبدأ برجلك اليمنى، وإذا خرجت أن تبدأ برجلك اليسرى»[رواه الحاكم].

٥- **الدعاء عند دخول المساجد وعند الخروج منها:**

عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «إذا دخل أحدكم المسجد فليقل: اللهم افتح لى أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل: اللهم إنى أسألك من فضلك»[رواه الحاكم] وروى أبو داود عنه ﷺ «أنه كان إذا دخل المسجد قال: أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم».

٦ـ ويسن أن يصان المسجد، عن الروائح الكريهة، خاصة المنبعثة من بصل وثوم وكرات وغيرها، وكذا الريح الناقض للوضوء فقد جاء فى الحديث الذى رواه الشيخان أن رسول الله ﷺ قال: «من أكل بصلاً أو ثوماً فليعتزلنا أو فليعتزل مساجدنا وليقعد فى بيته».

ويقاس على هذه الأشياء كل ما يؤذى الناس، سواء أكان الأذى برائحة كريهة، أو كلمة نابية، أو غير ذلك مما لا يليق بنظافة المسلم، ونقاء معاملته وصفاء خلقه.

٧ـ تحية المسجد:

يرى جمهور الفقهاء أنه يسن لمن دخل المسجد أن يصلى ركعتين تحية المسجد للحديث الذى روى فى الصحيحين: «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين».

٨ـ نية الاعتكاف:

قال الزركشى: يستحب لمن دخل المسجد، وجلس فيه أن ينوى الاعتكاف، سواء كثر جلوسه أو قل، قال النووى: وهذا الأدب ينبغى أن يعتنى به، ويشاع ذكره، ويعرفه الصغار والعوام، فإنه مما يغفل عنه.

٩ـ عدم الخروج من المسجد بعد الأذان لغير ضرورة:

يكره الخروج من المسجد بعد الأذان لغير ضرورة، من انتقاض طهارة أو فوات رفقة ونحو ذلك، وفى صحيح مسلم من حديث سليم بن أسود قال: كنا مع أبى هريرة فى المسجد، فخرج رجل حين أذن المؤذن للعصر، فقال أبو هريرة: أما هذا فقد عصى أبا القاسم ﷺ.

١٠ـ عدم اللغط ورفع الصوت فى المسجد:

ينبغى على المسلم عند الذهاب إلى المساجد والجلوس فيها، أن يتخلق بخلق الوقار والسكينة، وأن يرتفع بها عن لغو الحديث، لأن من جلس فى المسجد، فإنما يجالس ربه، وأن يكثر من ذكر الله، ولا يقول إلا حقاً، حتى ينال رضوان الله، وتتنزل عليه رحماته، وألا يجعل المسجد منتدى لحديثه، وحل مشكلاته الدنيوية روى أن رجلين رفعا صوتهما

فى المسجد، فقال عمر ﷺ للسائب بن يزيد: اذهب فأتنى بهذين، فجئته بهما، فقال: من أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، فقال: لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما فى مسجد رسول الله ﷺ .

قال الفقهاء: يحرم رفع الصوت على وجه يشوش على المصلين، ولو بقراءة القرآن، ويستثنى من ذلك دروس العلم.

وقال النووى: يجوز التحدث بالحديث المباح فى المسجد، بأمور الدنيا وغيرها من المباحات، وإن حصل فيه ضحك ونحوه، مادام مباحاً؛ لحديث جابر بن سمرة قال: «كان رسول الله ﷺ لا يقوم من مصلاه الذى صلى فيه الصبح، حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت قام، قال: وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية، فيضحكون، ويبتسم»[أخرجه مسلم].

١١ـ صلاة ركعتين عند العودة من السفر:

يستحب للقادم من السفر أن يبدأ بالمسجد فيصلى فيه ركعتين، أول قدومه، وهذه الصلاة مقصودة للقدوم من السفر، لا أنها تحية المسجد وعند البخارى من حديث كعب بن مالك: «كان النبى ﷺ إذا قدم من سفر، بدأ بالمسجد فصلى فيه»[1].



---

١) انظر: إعلام المساجد بأحكام المساجد للزركشى .

من الأحكام الفقهية الخاصة بالمساجد

المساجد التى تحت الأبنية والمنازل :

يجوز عند جمهور الفقهاء أن يبنى فوق المسجد مساجد أو حوانيت وكذلك يجوز بناء المسجد فوق المساكن والحوانيت للضرورة[1].

*** الأكل والنوم فى المسجد:**

يجوز أكل الخبز والفاكهة وغير ذلك فى المسجد، لما جاء فى الحديث الذى رواه ابن ماجة عن عبد الله بن الحرث قال: «كنا نأكل على عهد النبى ﷺ فى المسجد الخبز واللحم».

وينبغى أن يبسط شيئاً يضع عليه الأكل خوفاً من التلوث، ولئلا يتناثر شيء من الطعام فتجتمع عليه الهوام، هذا إذا لم يكن له رائحة كريهة وإلا منع، كالثوم والبصل والكرات، فيكره أكله فيه، ويمنع من المسجد حتى يذهب ريحه.

ويجوز النوم فى المسجد ـ بلا كراهة ـ لما روى أن ابن عمر قال: «كنت أنام فى المسجد على عهد رسول الله ﷺ »[رواه البخارى]. وأن عمر بن دينار قال: «كنا نبيت على عهد ابن الزبير فى المسجد، وأن سعيد بن المسيب والحسن البصرى والشافعى رخصوا فيه»[2].

*** صلاة النساء فى المساجد:**

ذهب الفقهاء إلى أنه يستحب للنساء أن تكون صلاتهن فى بيوتهن، فذلك لهن أفضل من صلاتهن فى المسجد، لما رواه أبو داود عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «لا تمنعوا نساءكم المساجد وبيوتهن خير لهن» فإن أرادت المرأة حضور المساجد مع الرجال، فإن كانت شابة كره لها الحضور وإن كانت عجوزاً فلا كراهة، لما روى عن ابن مسعود ﷺ قال «والذى لا إله غيره ما صلت امرأة صلاة قط خير لها من صلاة تصليها فى

---

١) انظر : الفقه الواضح (٣٧١/١)

٢) انظر : إعلام المساجد بأحكام المساجد للزركشي .

بيتهـا، إلا أن يكـون المسـجد الحـرام أو مسـجد الرسـول ﷺ إلا عجـوزاً فـى منقلها»[أخرجه البيهقى].

وذلك حيث تقل الرغبة فيها، ولذا يجوز لها حضور المساجد كما فى العيد وإن كانت شابة غير فارهـة فـى الجمـال والشباب جاز لهـا الخـروج لتصـلى فـى المسجد بشرط عدم التطيـب، وأن لا يخشـى منهـا الفتنـة، وأن تخرج فى ردىء ثيابهـا، وأن لا تزاحم الرجـال، وأن تكون الطريق مأمونـة من توقع المفسدة، فإن لم تتحقق فيها تلك الشروط كره لها الصلاة فيه[١].

وقد أنكرت السيدة عائشة ـ رضـى الله عنهـا ـ خـروجهن إلـى المسـاجد علـى غير الهيئة التى كن يخرجن بها علـى عهد رسول الله ﷺ فقد روى أبـو داود أنـها قالت: «لو أدرك رسـول الله ﷺ ما أحدث النساء بعده لمنعهن المسجد كما منعه نساء بنى إسرائيل».

*** عقد النكاح فى المسجد:**

استحب جمهور الفقهاء عقد النكاح فى المسجد للبركة، ولأجل شهرته فعن عائشة ـ رضـى الله عنها ـ قالت: قـال رسـول الله ﷺ «أعلنـوا هذا النكـاح واجعلوه فى المساجد واضربوا عليه بالدفوف»[٢].

وقالوا بعدم الكراهة إذا لم يشتمل على مفسدة دينية تنتهك فيها حرمـة المسجد، وإلاكره.

*** إغلاق المسجد فى غير أوقات الصلاة:**

جمهـور الفقهـاء علـى أنـه لا بـأس بـإغلاق المسـاجد فـى غيـر أوقـات الصـلاة صـيانة لهـا، وحفظـاً لمـا فيهـا مـن متـاع، وتحـرزاً عـن نقـب بيـوت الجيران منها، وخوفاً من سرقة ما فيها من فرش ومتاع ... إلخ.

*** إدخال الصبيان المسجد:**

أما إحضـار الصـبى المسجد فأجازه عامـة الفقهـاء، إن كـان الصـبى لا يعبث فى المسجد، ويكف عن العبث إذا نهى عنه، فـإن كـان من شـأنه العبث

---

١) انظر : الموسوعة الفقهية (٢١٧/٣٧) .

٢) أخرجه الترمذى وضعفه ابن حجر فى فتح البارى .

أو عدم الكف فلا يجوز إحضاره للحديث السابق: «جنبوا مساجدكم مجانينكم وصبيانكم...».

وقال ابن عابدين: تعليم الصبيان فى المسجد لا بأس به، وكره المالكية تعليم الصبى فى المسجد إلا أن ابن القاسم قال: «إن بلغ الصبى مبلغ الأدب فلا بأس أن يؤتى به المسجد، وإن كان صغيراً لا يقر فيه، ويعبث فلا أحب ذلك»[1].

بدع المساجد

١- التطريب فى الأذان.

٢- الأذان بواسطة آلات التسجيل.

٣- التواشيح قبل أذان الفجر.

٤- قراءة القرآن بين الأذان والإقامة والناس يسمعون.

٥- الصلاة على النبى ﷺ بعد الأذان مباشرة وبصيغ مخالفة.

٦- اعتياد المصافحة بعد الصلاة فى الجماعة: سواء الجمعة أو غيرها.

٧- إقامة حفلات الذكر المحرف فى المسجد.

٨- الاحتفال فى المسجد بالموالد



---

١) الموسوعة الفقهية (٣٧/٢٠٦) .

المبحث الثاني

فى

مساجد الأنبياء

قال الله تعالى:

* ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ {التوبة: ١٠٨}

* ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ ﴾

{الإسراء: ١}

وقال رسول الله ﷺ :

* «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى» {مسلم}
* «فضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة، وفى مسجدى ألف صلاة، وفى مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة» {الطبرانى}

المبحث الثانى
مساجد الأنبياء

المقصود بمساجد الأنبياء: المسجد الحرام بمكة والمسجد النبوى بالمدينة المنورة، والمسجد الأقصى فى مدينة القدس.

وهذه المساجد الثلاثة تفضل غيرها من المساجد الأخرى بأمرين:

الأول: بأنها تشد إليها الرحال دون غيرها وقد وردت فى ذلك أحاديث كثيرة منها الحديث الذى رواه مسلم فى صحيحه عن أبى هريرة وأبى سعيد - رضى الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدى هذا والمسجد الأقصى».

هذا الحديث يدل على فضيلة هذه المساجد الثلاثة، ومزيتها لكونها مساجد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولأن المسجد الحرام قبلة المسلمين وإليه حجهم، ومسجد الرسول ﷺ أسس على التقوى، والمسجد الأقصى كان قبلة الأمم السابقة، وأولى القبلتين.

الثانى: أن هذه المساجد الثلاثة تفضل غيرها بزيادة ثواب الصلاة فيها عنه فى غيرها، وإن كانت تتفاضل فى هذا الثواب فيما بينها فعن أبى هريرة ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: «فضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة، وفى مسجدى ألف صلاة، وفى مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة» [رواه الطبرانى فى الكبير] قال الزركشى: إن هذه المضاعفة فى هذه المساجد لا تختص بالفريضة بل تعم الفرض والنفل.

هذا، وسنواصل الكلام على مساجد الأنبياء (المساجد الثلاثة) فى المطالب الثلاثة التالية

المطلب الأول: المسجد الحرام بمكة.

المطلب الثانى: المسجد النبوى الشريف بالمدينة المنورة.

المطلب الثالث: المسجد الأقصى ببيت المقدس.



المطلب الأول
فى
المسجد الحرام

المسجد الحرام - المقصود بالمسجد الحرام - بناء المسجد الحرام وزياداته - الكعبة المشرفة - كسوة الكعبة المشرفة - غسل الكعبة - خصائص وأحكام الكعبة والمسجد الحرام - أجزاء الكعبة (البيت الحرام).

المقصود بالمسجد الحرام:

المسجد الحرام - كما قال النووى- قد يراد به الكعبة فقط، وقد يراد به المسجد حولها معها، وقد يراد به مكة كلها مع الحرم حولها، وقد جاءت نصوص الشرع بهذه المعانى.

وسمى المسجد حراماً لأنه لا يحل انتهاكه، فلا يصاد عنده ولا حوله، ولا يختلى ما عنده من الحشيش.

قال الزركشى: إن الإمام الماوردى ذكر أن كل موضع ذكر فيه المسجد الحرام فالمراد به الحرم إلا فى قوله تعالى ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾ [البقرة/١٤٤] فإنه أراد به الكعبة وقال النووى: إن المسجد الحرام يطلق ويراد به أربعة أقسام:

القسم الأول: الكعبة كما فى قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ﴾ [البقرة/١٤٤].

القسم الثانى: المسجد حول الكعبة مع الكعبة، ومنه قوله تعالى ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ﴾[التوبة/ ١٩].

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ﴾[الحج/٢٥]

القسم الثالث: الحرم كله، كما فى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا ۚ﴾
[التوبة/ ٢٨]

القسم الرابع: مكة كلها، كما في قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ﴾[الفتح/ ٢٧].

وقوله: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾[الإسراء ١].

وقد ارتبط المسجد الحرام في بداية بعثة الرسول ﷺ بحدث هام ورد ذكره في القرآن الكريم، وهو الإسراء إلى بيت المقدس، وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الإسراء/ ١]

بناء المسجد الحرام وزياداته:

أول مسجد وضع على الأرض المسجد الحرام، وهو مسجد مكة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾[آل عمران/ ٩٦].

وعن أبي ذر ﷺ قال: قلت: يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ فقال: «المسجد الحرام»، قلت: ثم أي؟ قال: «المسجد الأقصى»، قلت وكم بينهما؟ قال: «أربعون عاماً»[رواه البخاري].

قال الزركشي: أما المسجد الحرام فكان فناء حول الكعبة، وفضاء للطائفين، ولم يكن له على عهد الرسول ﷺ وأبي بكر جدار يحيط به، وكانت الدور تحيط به من كل جانب، وكان بينه وبين الدور أبواب يدخل الناس منها من كل ناحية، فلما استخلف عمر ﷺ وكثر الناس. وضيقوا على الكعبة وألصقوا دورهم بها اشترى تلك الدور من أهلها وهدمها وبنى المسجد المحيط بها، واتخذ له جداراً، ثم لما استخلف عثمان ﷺ اشترى دوراً أخر، ووسعه أيضاً ثم زاد ابن الزبير ـ رضي الله عنهما ـ في المسجد،

واشترى دوراً وأدخلها فيه[1] وأول من نقل إليه أساطين الرخام، وسقفه بالساج المزخرف الوليد بن عبدالملك ثم زاد المنصور فى شقه الشامى، ثم زاد المهدى، وكانت الكعبة فى جانب فأحب أن تكون وسطاً فاشترى من الناس الدور ووسطها[2].

ثم وقعت توسعات بالمسجد الحرام على مر التاريخ كان آخرها فى العهد السعودى، حيث أمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بتجهيز السطح للصلاة، وهو بهذا كأنه أضاف إلى المسجد دوراً بأكمله، كما أنه تم تهيئة الساحات المحيطة بالمسجد الحرام للصلاة، وفرشت أرضيتها بالرخام الأبيض البارد، وزودت بالإضاءة الكافية، بحيث يستوعب ١٠٥٠٠٠ مصل فى أوقات الذروة.



الكعبة المشرفة

الكعبة هى بيت الله الحرام، وقبلة المسلمين جميعاً فى مشارق الأرض ومغاربها، إليها يتوجهون بالصلاة والطواف والدعاء والحج والعمرة، وإليها يأتون من كل فج عميق، وهى حرم آمن فى بلد آمن، رفع قواعدها أبو الأنبياء إبراهيم، فى مكانها المعروف بقلب مكة المكرمة بأمر الله واختياره، وساعده فى ذلك ابنه إسماعيل، وبعدها أمره الحق تبارك وتعالى ـ كما يحكى القرآن ـ أن ينادى فى الناس، ليحجوا هذا البيت ويزوروه: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِيٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُواْ مِنْهَا وَأَطْعِمُواْ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾ ثُمَّ لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ

---

١) إعلام الساجد بأحكام المساجد ص ٦٠ .

٢) الموسوعة الفقهية (٢٣٦/٣٧) .

وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾[الحج/ ٢٧- ٢٩].

والكعبة بناء مكعب الشكل مبنى بالحجارة الصلبة، ويبلغ ارتفاعها ١٥م وطول ضلعها الذى فيه الميزاب والضلع الذى يقابله ١٠م، و١٠سم، وطول الضلع الذى فيه الباب والذى يقابله ١٢م.

ونظراً للمكانة الكبيرة التى حظيت بها الكعبة قبل الإسلام وبعده فقد مرت بأحداث جسام، وتعاقبت عليها دول ودول وحدث لها العديد من التطورات بمرور الزمن وتعاقب الحكام، كما يعد العصر الإسلامى أهم العصور التى تطورت فيها عمارة الكعبة، حيث أعيد بناؤها عدة مرات فى ذلك العصر.

قال السهيلى: وكان بناؤها فى الدهر خمس مرات.

الأولى: حين بناها شيث بن آدم عليه السلام .

والثانية: حين بناها إبراهيم عليه السلام على القواعد الأولى.

والثالثة: حين بنتها قريش قبل الإسلام بخمسة أعوام.

والرابعة: حين احترقت فى عهد ابن الزبير بشررة طارت من أبى قبيس فوقعت فى أستارها فاحترقت، فهدمها حتى أفضى إلى قواعد إبراهيم عليه السلام، فلما أتم بناءها ألصق بابها بالأرض، وعمل لها بابا آخر من الخلف، وأدخل الحجر فيها لحديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ألم تر قومك حين بنوا الكعبة اقتصروا على بناء إبراهيم حين عاذت بهم النفقة» ثم قال عليه الصلاة والسلام: «لولا حدثان قومك بالجاهلية لهدمتها وبنيتها على قواعد إبراهيم.

الخامسة: فى عهد عبد الملك بن مروان الذى هدم ما بناه ابن الزبير، وبناها على ما كانت فى عهد رسول الله ﷺ فلما فرغ من بنائها جاءه الحارث ابن ربيعة ومعه آخر فحدثاه عن عائشة بالحديث المتقدم، فندم على هدمها، وقال: وددت أنى لو تركت ابن الزبير وما تحمل من ذلك.

ولما قام أبو جعفر المنصور أراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير، وشاور فى ذلك فقال له الإمام مالك: «أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك بعدك لا يشاء أحد منهم أن يغيره إلا غيره، فتذهب هيبته من قلوب الناس، فصرفه عن رأيه فيه»[1].

ويذكر ابن هشام أن رسول الله ﷺ قد شارك فى بناء قريش للكعبة، قبل البعثة كما أنه حسم خلاف قريش حول من ينقل الحجر الأسود إلى موضعه بعد إتمام البناء، وذلك بأن وضعه فى ثوب، وجعل كل قبيلة تمسك بطرف حتى إذا بلغوا موضعه أخذه ووضعه بيده فى موضعه[2].

هذا، ومن أشهر الحوادث التى مرت بها الكعبة هى حادثة الفيل، ويقول عنها الطبرى: «إن أبرهة كان قد أراد أن يصرف نظر العرب عن الكعبة إلى كنيسة بناها فى اليمن، وإن العرب لم ينصرفوا إليها، فغضب أبرهة وعزم على هدم الكعبة، فجهز جيشاً كبيراً تتقدمه الأفيال وقصد الكعبة، فلما اقترب من مكة أخلى أهل مكة دورهم وصعدوا إلى الجبال، أما جيش أبرهة الذى تتقدمه الأفيال، فلقد انثنت الأفيال عن الهجوم على البيت وامتنعت عن ذلك، ثم أرسل الله على هذا الجيش طيوراً كثيفة كل طائر يمسك بحجر صغير يلقيه على أحد أفراد هذا الجيش إلى أن تمت إبادته[3].

وقد سجل لنا القرآن الكريم هذه الحادثة فى قوله تعالى فى سورة الفيل ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ۝ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾

---

١) بتصرف من إعلام المساجد بأحكام المساجد للزركشي ص ٤٧،٤٩ .

٢) ابن هشام ج١ ، ص ١٨٧ .

٣) الطبرى ج١ ، ص ٩٢٥ .

مكانة الكعبة فى الإسلام

كان رسول الله ﷺ يكره وجود الأصنام داخل المسجد الحرام، ولم يكن يشارك قومه في تعظيمها وتقديسها، وحينما فتح رسول الله ﷺ مكة دخل الكعبة، وأمر بالأصنام المقامة فيها فحطمت جميعها، وأزال ما بداخل الكعبة من صور وتماثيل.

الكعبة قبلة المسلمين:

وبعد ستة عشر شهراً من هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة أصبحت الكعبة قبلة المسلمين بدلاً من بيت المقدس، وقد سجل لنا القرآن الكريم ذلك فى قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ﴾

[البقرة/ ١٤٤]

وقد ورد ذكر الكعبة بالتخصيص والتأكيد على أنها قبلة المسلمين، فقد روى البخارى ومسلم فى صحيحيهما عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال: «لما دخل رسول الله ﷺ البيت دعا فى نواحيه كلها ولم يصل حتى خرج منه ولما خرج ركع ركعتين فى قبل الكعبة، وقال: هذه القبلة» ولهذا يتوجه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها إلى الكعبة بالصلاة والطواف والدعاء والحج والعمرة.

الطواف بالبيت:

شرع الله تعالى الطواف حول البيت تعظيماً له، قال تعالى ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾[الحج/ ٢٩]. وقد كان العرب فى الجاهلية يطوفون بالبيت عراة، وكانوا يقيمون الأصنام عند الكعبة، ولقد وصف الله حالهم بقوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ﴾[الأنفال/ ٣٥]، أى كانت صلاتهم صفيراً وتصفيقاً، ولذلك كانت الصلاة فى الإسلام عكس ذلك تماماً سكينة ووقاراً وطهراً: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[الحج/ ٢٦].



خصائص وأحكام الكعبة والمسجد الحرام

هى أكثر من أن تحصى، ولكنا نذكر قبسا منها فيما يلى:

الأول: أن المسجد الحرام أول بيت وضع على الأرض قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ .. ﴾[آل عمران/ ٩٦].

الثانى: أن المسجد الحرام هو أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال. وفى الحديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى هذا والمسجد الأقصى»[رواه مسلم].

الثالث: أن أعظم المساجد حرمة المسجد الحرام، ثم مسجد المدينة ثم مسجد بيت المقدس ثم بقية المساجد.

الرابع: إن صلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد روى جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه»[رواه ابن ماجة].

الخامس: إن تحية المساجد الصلاة - أى صلاة ركعتين - أما تحية البيت فهى الطواف، ففى الصحيحين عن عائشة - رضى الله عنها - أنه ﷺ أول شيء بدأ به الطواف».

السادس: إن الدعاء عند رؤية الكعبة مستجاب لما روى البيهقى فى سننه أن رسول الله ﷺ قال: «تفتح أبواب السماء، ويستجاب الدعاء فى أربعة مواطن عند التقاء الصفوف، ونزول الغيث، وإقامة الصلاة، ورؤية الكعبة» لكن فى إسناده من لا يعتد به.

السابع: أن النظر إلى الكعبة عبادة وقال العلماء: يترتب الثواب على مجرد النظر إلى الكعبة لما رواه الطبرانى فى معجمه فى حديث يرفعه إلى الرسول ﷺ قال: «ينزل الله على أهل المسجد، مسجد مكة كل يوم عشرين ومائة رحمة، ستين منها للطائفين وأربعين منها للمصلين، وعشرين منها للناظرين».

الثامن: أن الطاعات تضاعف فى المسجد الحرام، قياساً على ما ثبت فى الصلاة والنظر إلى الكعبة، فألحق به ما فى معناه من أعمال البر.
قال الحسن البصرى صوم يوم بمكة بمائة ألف، وصدقة درهم بمائة ألف، وكل حسنة بمائة ألف وفى سنن ابن ماجة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ من أدرك شهر رمضان بمكة فصامه، وقام منه ما تيسر كتب له مائة ألف شهر رمضان فيما سواها، وكتب له بكل يوم وليلة عتق رقبة، وفى كل يوم حمل فرسين فى سبيل الله، وفى كل ليلة حسنة.

التاسع: أن السيئات بمكة تضاعف أيضاً كما تضاعف الحسنات وذلك لتعظيم البلد الحرام لذلك كره جماعة من السلف المجاورة بمكة، وسئل ابن عباس عن مقامه بغير مكة، فقال: مالى ولبلد تضاعف فيه السيئات كما تضاعف الحسنات، فحمل ذلك منه على مضاعفة السيئات بالحرم.

العاشر: العقاب على الهم فيه بالسيئات وإن لم يفعلها: قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[الحج/ ٢٥].
وهذا مستثنى من قاعدة (الهم بالسيئة وعدم فعلها) كل ذلك تعظيماً لحرمته، وكذلك فعل الله بأصحاب الفيل فإنه أهلكهم قبل الوصول إلى بيته، وقال أحمد بن حنبل: لو أن رجلاً هم أن يقتل فى الحرم أذاقه الله من العذاب الأليم، ثم قرأ الآية.

الحادى عشر: لا يكره المرور بين يدى المصلى فى المسجد الحرام.
نقل ذلك مالك وعبد الرازق عن أبى وداعة عن أبيه عن جده قال: رأيت رسول الله ﷺ يصلى فى المسجد الحرام، والناس يطوفون بالبيت بينه وبين القبلة، بين يديه، ليس بينه وبينهم سترة.

الثانى عشر: تحريم استقبال القبلة واستدبارها، بالبول والغائط فى الصحراء والبنيان عند كثير من العلماء بخلاف التشريق والتغريب، وهذا لا يختص بالحرم بل يعم كل مكان، وعلة هذا الحكم : احترام الكعبة

وتعظيمها، وقد روى فى حديث سراقة مرفوعاً: إذا أتى أحدكم البراز فليكرم قبلة الله ولا يستقبل القبلة.

الثالث عشر: يستحب لأهل مكة أن يصلوا العيد فى المسجد الحرام، لا فى الصحراء، لفضل البقعة ومشاهدة الكعبة ولحصول المضاعفة لهم فى الصلاة[1].

مشتملات الكعبة (البيت الحرام)

إذا أطلق لفظ البيت الحرام أريد به الكعبة ومحتوياتها التى هى جزء منها كالحجر الأسود والحطيم والمقام الذى كان جزءاً منها، أو تلك التى تلاصقها كحجر إسماعيل أو التى تقع قريباً منها مثل بئر زمزم وأجزاء البيت المشهورة هى :.

المقام:

مقام إبراهيم جزء من البيت العتيق، قال الله تعالى: ﴿فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ﴾[آل عمران/٩٧]

ومقام إبراهيم هو الحجر الذى كان يقف عليه إبراهيم عليه السلام أثناء بنائه الكعبة، وقد كان المقام حجراً ملصقاً بحائط الكعبة إلى أيام عمر بن الخطاب ﷺ ، فأخره عن البيت لئلا يشغل المصلين، وكان عمر هو الذى أشار على الرسول ﷺ أن يتخذ من مقام إبراهيم مصلى فوافقه القرآن، وأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾[البقرة/ ١٢٥].

الحجر الأسود:

فى الركن الجنوبى الشرقى للكعبة يوجد الحجر الأسود، ويقال له: الحجر الأسعد أيضاً على ارتفاع متر وخمسين سنتيمتراً من أرض المطاف، وهو حجر صقيل بيضى الشكل، ولونه أسود ضارب إلى الحمرة، وفيه نقط حمراء وتعاريج صفراء، قطره نحو ٣٠ سم، يحيط به إطار من الفضة عرضة ١٠سم.

---

١) انظر الإعلام للزركشى ص ٨٤ ـ ١٣٣ .

وقد كان الناس ـ قبل الإسلام ـ يلمسون الحجر الأسود للتبرك به، فلما جاء الإسلام صار المسلمون يقبلون الحجر الأسود اقتداء برسول الله ﷺ وكان عمر بن الخطاب ﷺ يقول «والله إنى أعلم أنك حجر لا يضر ولا ينفع، ولولا أنى رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ما قبلتك».

الشاذروان:

وهو بناء لطيف ملصق بحائط الكعبة بأسفل جدارها مما يلى المطاف من جهاتها الثلاثة عدا جهة إسماعيل، والشاذروان جزء من أصل جدار الكعبة، وهو من قواعد الخليل إبراهيم التى رفعها.

الحطيم:

هو ما بين ركن الحجر الأسود وباب الكعبة، وقيل هو حجر إسماعيل. ويقال لما بين الملتزم وباب الكعبة الحطيم أيضاً، وهو الجزء المخرج من الكعبة، سمى بذلك لأن البيت رفع وترك محطوماً، وقيل لأن أهل الجاهلية كانوا يطرحون فيه ثيابهم التى طافوا بها، فبقى حتى حطم بطول الزمن.

الباب:

كان للكعبة بابان، شرقى وغربى، أما الغربى فقد فتحه عبد الله بن الزبير استناداً إلى حديث عائشة ـ رضى الله عنها ـ وهذا الباب الغربى بينه وبين الركن اليمانى نحو ثلاثة أذرع، وقد سده الحجاج بأمر الخليفة عبد الملك بن مروان.

أما الباب الشرقى فهو باب الكعبة الآن، ويقع بين الملتزم والحجر الأسود ويرتفع الباب نحو مترين عن الأرض، وهو مرصع بالذهب الخالص ويصعد إليه بدرج كدرج المنابر، وهو من الخشب المرصع بالفضة، ويوضع فى مكانه حين يفتح البيت للزائرين فى المناسبات.

الركن اليمانى:

هو أشهر أركان الكعبة، أما أركانها الثلاثة الأخرى، فهى ركن الحجر الأسود، وركن الحجر وهو المتصل بحجر إسماعيل. والركن الغربى وربما قيل الركن الشامى.

الملتزم:

وهو الجزء المحصور بين ركن الحجر وباب الكعبة، سمى بذلك لأن الطائف يلتزمه فى دعائه واستغاثته.

الميزاب:

هو مصب المطر، وميزاب الكعبة يقع فى الجهة الشمالية للبيت، ومصبه على حجر إسماعيل، وقد كانت الكعبة بلا سقف فلما بنتها قريش جعلت لها سقفاً ووضعت له ميزاباً، وكذلك، فعل عبد الله بن الزبير، وجعل مصبه على حجر إسماعيل. وطول الميزاب أربعة أذرع وسعته ثمانية أصابع، وهو ملبس بصفائح من الذهب من داخله وخارجه.

حجر إسماعيل:

هو الحائط الواقع شمال الكعبة المشرفة، يكون على يسار الطائف بالبيت، وهو على شكل نصف دائرة.

قال الأزرقى: كان الحجر زرباً لغنم إسماعيل عليه السلام.

بئر زمزم:

توجد بالحرم بئر زمزم، التى يرجع تاريخها إلى مقدم إبراهيم عليه السلام إلى مكة، حيث ترك هاجر أم إسماعيل عند البيت، وقد نفد ما عندها من الماء، فجعلت تسعى بين الصفا والمروة، فعلت ذلك سبع مرات فلما انتهت إلى المروة عادت إلى طفلها، فإذا بالماء ينبع حوله، فحوطته بما استطاعت وزمته أى قالت : زم زم (يعنى لا تتبدد ولا تتسع) فسمى البئر زمزم[١].

---

١) بتصرف من الموسوعة العربية العالمية ٣١٠/١٩ ــ ٣١٥ .

المطلب الثانى
فى
المسجد النبوى الشريف

توسعة المسجد النبوى ـ من خصائص وأحكام المسجد النبوى ـ آداب دخول المسجد النبوى ـ آداب وداع المسجد النبوى ـ مشتملات المسجد النبوى

المسجد النبوى الشريف هو ثانى الحرمين الشريفين، ومدرسة المسلمين الأولى ومنتداهم خطه الرسول ﷺ بيده حين بركت ناقته فى مربد (موضع يجفف فيه التمر) لسهل وسهيل ابنى عمرو غلامين يتيمين من الأنصار، وكانا فى حجر أسعد بن زرارة، فدعا رسول الله ﷺ بالغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى النبى ﷺ حتى ابتاعه منهما بعشرة دنانير، وأمر أبا بكر أن يعطيهما ذلك.

اشترك الرسول ﷺ مع أصحابه فى تطهيره وتجهيزه، وأمر باللبن فضرب، وجعل يبنى معهم، وينقل الحجارة بنفسه فى بناء مسجده ويقول معهم

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة ∴ فارحم الأنصار والمهاجرة

رفع أساس المسجد بالحجارة، وبنى جدرانه باللبن، وسقف بعضه بالجريد وأقيمت أعمدته من جذوع النخل، اتخذت القبلة تجاه بيت المقدس، وأقيمت له ثلاثة أبواب: باب عاتكة الذى سمى فيما بعد باب الرحمة، وباب أبى بكر إلى جهة الغرب، وباب عثمان إلى جهة الشرق، وهو الباب الذى كان يدخل منه الرسول ﷺ .

وبعد فح خيبر تمت توسعة المسجد، وأعيد فتح الباب القبلى الذى أغلق بعد تحول القبلة إلى المسجد الحرام، ولما اشتكى الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من شدة الحر أكمل سقف المسجد من الجريد والطين، وأصبحت مساحة المسجد فى عهد الرسول ﷺ ١٠٠ × ١٠٠ ذراع، وارتفاعه سبعة أذرع.

صلى الرسول ﷺ بمسجده تجاه بيت المقدس طيلة ١٧ شهراً إلى أن تحولت القبلة إلى المسجد الحرام، وبعد إتمام بناء المسجد بنى الرسول ﷺ

بيتاً لعائشة أم المؤمنين ـ رضى الله عنها ـ ودخل بها، ثم بنى بيتاً لسودة أم المؤمنين ثم تلا ذلك بناء بيوت باقى أمهات المؤمنين تباعاً.

وكانت تلك البيوت مكان حجرته ﷺ اليوم فلما توفى أزواجه خلطت البيوت والحجر بالمسجد فى زمن عبد الملك بن مروان(١).

وإقتداء برسول الله ﷺ حرص أصحابه ومن تبعهم على القيام بعمارة المسجد النبوى الشريف، وتحسينه وزيادة مساحته.

توسعة المسجد النبوى

توالت على المسجد النبوى الكثير من العمران والتوسعات، بدءاً من العهد العمرى، حيث وسعه عمر وأبقاه على ما كان عليه فى عهد الرسول ﷺ من بنيانه باللبن. وسقفه بالجريد، وكان آخر توسعة وتشييد ما قام به آل سعود القائمون على شئون الحرمين، فقد أصبح على حال من السعة والفخامة تليق بهذا المسجد المشرف.

من خصائص وأحكام المسجد النبوى

للمسجد النبوى ما للمساجد من أحكام، ويختص بأحكام منها:

١ـ أنه المسجد الذى أسس على التقوى:

ثبت بالقرآن الكريم والسنة المشرفة أن المسجد النبوى، هو المسجد الذى أسس على التقوى، قال تعالى: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة/ ١٠٨].

وروى مسلم عن أبى سعيد الخدرى ﷺ قال: «دخلت على رسول الله ﷺ فى بيت بعض نسائه، فقلت: يا رسول الله، أى المسجدين الذى أسس على التقوى قال: فأخذ كفا من حصباء، فضرب به الأرض، ثم قال: هو مسجدكم هذا مسجد المدينة»[رواه مسلم].

---

١) إعلام الساجد للزركشى

٢ـ مضاعفة الصلاة فى المسجد النبوى:

إن الصلاة فى مسجد النبى ﷺ تعدل ألف صلاة فيما سواه من المساجد، فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة فى مسجدى هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام»[رواه مسلم].

٣ـ بيان ثواب من صلى فى المسجد النبوى أربعين صلاة متتابعة:

روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك ﷺ أن النبى ﷺ قال: «من صلى فى مسجدى أربعين صلاة لا تفوته صلاة، كتبت له براءة من النار. ونجاة من العذاب، وبرئ من النفاق».

٤ـ شد الرحال إليه:

فعن أبى هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى هذا والمسجد الأقصى»[رواه مسلم].

٥ـ السلام على النبى ﷺ كلما دخل المسجد أو خرج:

ينبغى للزائر الغريب أن يسلم على النبى ﷺ كلما دخل المسجد أو خرج أما أهل المدينة فقد كره لهم ذلك مالك وغيره، إلا إذا سافر أحدهم أو قدم من سفر[١].

آداب دخول المسجد النبوى

يستحب لمن دخل المسجد النبوى أن يقول الذكر الوارد فى ذلك عند دخول المساجد، فيقدم رجله اليمنى، ويقول: بسم الله اللهم صلى على محمد رب اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك، وعند الخروج يقدم رجله اليسرى، ويقول ذلك، ولكن بلفظ (وافتح لى أبواب فضلك).

ويدخل من باب جبريل أو غيره، ويقصد الروضة الشريفة، فيصلى فيها تحية المسجد، ثم يأتى الحجرة الشريفة التى فيها قبر النبى ﷺ ، فيستقبل القبر ويستدبر القبلة، ويدعو بالدعاء الوارد فى ذلك[٢].

---

١) انظر : الموسوعة الفقهية (٣٧/ ٢٥١) وإعلام المساجد للزركشى .

٢) سيأتى ذكره فى آداب زيارة قبر النبى ﷺ .

آداب وداع المسجد النبوى:

يستحب لمن عزم على الرجوع إلى بلده أن يودع المسجد بصلاة، ويدعو بعدها بما أحب، وأن يأتى القبر الشريف فيسلم على النبى ﷺ ويدعو الله بما أحب، ويسأله سبحانه أن يوصله إلى أهله سالماً غانماً، ويقول: غير مودع يا رسول الله، ويسأل الله أن يرده إلى حرمه وحرم نبيه محمد ﷺ فى عافية[1].

مشتملات المسجد النبوى

١ـ الروضة الشريفة:

ورد فى فضل الروضة الشريفة عدة أحاديث: من ذلك ما رواه الشيخان عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة، ومنبرى على حوضى» وما أخرجه أحمد عن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ قال قال رسول الله ﷺ «ما بين منبرى إلى حجرتى روضة من رياض الجنة، وإن منبرى على ترعة من ترع الجنة».

قال النووى: ذكروا فى معنى قوله ﷺ : «ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة» قولين: أحدهما أن ذلك الموضع بعينه ينقل إلى الجنة.

والثانى: أن العبادة فيه تؤدى إلى الجنة.

وقال الطبرى: لما كان جلوسه ﷺ وجلوس الناس إليه يتعلمون القرآن والدين والإيمان هناك، شبه ذلك الموضع بالروضة لكرم ما يجتنى فيه، وأضافه إلى الجنة لأنها تؤول إلى الجنة، كما قال ﷺ : «الجنة تحت ظلال السيوف»

[رواه مسلم]

٢ـ منبر النبى ﷺ :

وردت عدة روايات من طرق متعددة: «أن النبى ﷺ كان إذا أراد أن

---

١) الموسوعة الفقهية (٢٥٤/٣٧) .

يخطب وأطال القيام يسند ظهره إلى إحدى سوارى مسجده ﷺ التى كانت من جذوع النخل، وكان يشق عليه طول قيامه، ولما رأى الصحابة أنه ﷺ يشكو ضعفاً فى رجليه ويشق عليه طول القيام عملوا له منبراً من خشب الطرفاء، وكان بمرقاتين ـ أى درجتين أو ثلاث ـ فلما تحول ﷺ إلى المنبر يخطب عليه سمع لذلك الجذع حنين كصوت العشار فأتى النبى ﷺ فاحتضنه وضمه فسكن.

٣ـ موضع قبر النبى ﷺ وصاحبيه:

قال ابن هشام: لما فرغ من جهاز النبى ﷺ وضع على سريره فى بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا فى دفنه، فقال قائل ندفنه فى مسجده، وقال قائل بل ندفنه مع أصحابه فقال أبو بكر: إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما قبض نبى إلا دفن حيث قبض»[رواه الترمذى] فرفع فراش رسول الله ﷺ الذى توفى عليه فحفر له تحته، ثم دخل الناس على رسول الله ﷺ يصلون عليه أرسالاً أى جماعة بعد جماعة.

وقال ابن كثير: قد علم بالتواتر أنه عليه الصلاة والسلام دفن فى حجرة عائشة التى كانت تختص، بها شرقى مسجده فى الزاوية الغربية القبلية من الحجرة، ثم دفن بعده فيها أبو بكر، ثم عمر ـ رضى الله عنهما ـ[1].

ومما ينبغي أن يعلم أن القبر الشريف ما كان فى المسجد أولاً، وإنما أدخل فيه لما اضطروا إلى توسعة المسجد، فقد وردت الأحاديث الصحيحة بلعن اليهود والنصارى، لأنهم اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد.

٤ـ حجرات أزواج النبى ﷺ :

قال ابن النجار: لما بنى رسول الله ﷺ مسجده بنى بيتين لزوجتيه عائشة وسودة ـ رضى الله عنهما ـ على نعت بناء المسجد من لبن وجريد النخل، ولما تزوج ﷺ نساءه بنى لهن حجراً وهى تسعة أبيات وهى ما بين بيت عائشة ـ رضى الله عنها ـ إلى الباب الذى يلى باب النبى ﷺ وكان بيت

---

١) الموسوعة الفقهية (٢٤٩/٣٧) .

فاطمة بنت النبى ﷺ خلف بيته عن يسار المصلى إلى الكعبة وكان فيه خوخة إلى بيت النبى ﷺ ، وكان إذا قام من الليل إلى المخرج اطلع منها يعلم خبرهم، وكان يأتى بابها كل صباح فيأخذ بعضادتيه ويقول: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب/ ٣٣].

٥ـ مكان أهل الصُّفَّة:

الصُّفة: بضم الصاد المشددة وتشديد الفاء ـ مكان مظلل فى مؤخر المسجد النبوى وإليها ينسب أهل الصفة، وهم أناس من فقراء المسلمين، وأكثرهم من المهاجرين ممن لم يكن لهم منازل ولا مأوى، أنزلهم النبى ﷺ المسجد وسماهم أهل الصفة، وكان ﷺ يجالسهم ويأنس بهم، وكان إذا جاءته هدية أصاب منها وبعث إليهم منها، وإذا جاءته الصدقة أرسل بها إليهم ولم يصب منها أخرج البخارى في صحيحه عن أبى هريرة قال: «رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء قد ربطوه فى أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهة أن ترى عورته».

٦ـ أساطين المسجد النبوى:

من أشهر أساطين المسجد النبوى الشريف:

إسطوانة عائشة: رضى الله تعالى عنها: روى أن عبد الله بن الزبير واثنين معه دخلوا على عائشة رضى الله عنها فتذاكروا المسجد فقالت عائشة إنى لأعلم سارية من سوارى المسجد لو يعلم الناس ما فى الصلاة إليها لاضطربوا عليها بالسهام، فخرج الرجلان وبقى ابن الزبير، ثم خرج ابن الزبير مسرعاً فصلى إلى هذه السارية وقيل: أن الدعاء فيها مستجاب.

ومنها: إسطوانة التوبة، وتعرف بإسطوانة أبى لبابة رضى الله تعالى عنه وهى التى ربط أبو لبابة نفسه إليها حتى نزلت توبته.

ومنها إسطوانة السرير، وهى التى كان يوضع عندها سرير رسول الله ﷺ إذا اعتكف.

ومنها إسطوانة الحرس، وهى التى كان يجلس على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه فى صفحتها التى تلى القبر مما يلى باب رسول الله ﷺ يحرس النبى ﷺ .

ومنها إسطوانة الوفود، وهى التى كان يجلس إليها رسول الله ﷺ لمقابلة وفود العرب إذا جاءته.

ومنها إسطوانة التهجد وهى التى كان رسول الله ﷺ يخرج إليها إذا انكفت الناس، فيصلى عندها صلاة الليل[1].



---

1) الموسوعة الفقهية (٣٧/٢٤٦-٢٤٩) .

المطلب الثالث
في
المسجد الأقصى

بناء المسجد الأقصى ـ فضائل المسجد الأقصى وأحكامه ـ مشتملات المسجد الأقصى ـ مكانة المسجد الأقصى في الإسلام ـ المسجد الأقصى عبر التاريخ ـ الاعتداءات اليهودية على المسجد الأقصى

المسجد الأقصى هو المسجد المعروف في مدينة القدس، وقد بنى على سفح الجبل، ويسمى بيت المقدس، أى البيت المطهر الذى يتطهر فيه من الذنوب، وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين، ومسرى رحمة الله للعالمين محمد ﷺ ، قال تعالى:

﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الإسراء/ ١].

وهو أحد المساجد الثلاثة التى لا تشد الرحال إلا إليها، وهو قبلة المسلمين، وهو الأرض الطيبة التى بارك الله حولها كما جاء فى القرآن الكريم، وفيها التقى الأنبياء جميعاً، ومنه عرج النبى ﷺ إلى الأفق الأعلى، وهو المقام الشريف الطاهر لأخلد أحداث الرسالات والنبوات، وهو إلى ذلك مهد عيسى عليه السلام ، ومعتكف مريم البتول، والمحراب المقدس، ويسمى الأقصى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة فى الأرض يعظم بالزيارة، كما قال القرطبى فى تفسيره.

أسماء المسجد الأقصى:

للمسجد الأقصى أسماء عديدة ذكر الزركشى منها سبعة عشر من أهمها.

١ـ المسجد الأقصى، وإنما قيل له ذلك لأنه أبعد المساجد التى تزار، ويبتغى بها الأجر عن المسجد الحرام، وقيل لبعده عن الأقذار والخبائث.

٢ـ مسجد إيلياء، وقيل فى معناه بيت الله المقدس.

٣ـ بيت المقدس، أى المكان الذى يطهر فيه من الذنوب، والمقدس: المطهر.
٤ـ البيت المقدس، أى المطهر، وتطهيره إخلاؤه من الأصنام.
٥ـ بيت المقدس[١].

بناء المسجد الأقصى

أول مسجد وضع على الأرض هو المسجد الحرام، ثم المسجد الأقصى فعن أبى ذر ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع فى الأرض. قال: «المسجد الحرام، قلت: ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: وكم بينهما؟ قال: أربعون عاماً ثم الأرض لك مسجداً فحيثما أدركتك الصلاة فصل»[رواه الشيخان]

وقد أشكل هذا الحديث على بعض العلماء، فقال: إنه معلوم أن سليمان ابن داود هو الذى بنى المسجد الأقصى، كما رواه النسائى بإسناد صحيح من حديث عبد الله بن عمرو يرفعه: أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله ثلاثاً: سأل الله عز وجل ـ حكماً يصادف حكمه فأوتيه، وسأل الله عز وجل ملكاً لا ينبغى لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد الأقصى ألا يأتيه أحد لا ينهزه ـ يحركه ـ إلا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه وسليمان بعد إبراهيم ـ كما قال أهل التاريخ ـ بأكثر من ألف عام.

وأجاب الزركشى عن هذا الإشكال بقوله: هذا القائل جهل التاريخ، فإن سليمان عليه السلام إنما كان له من المسجد الأقصى تجديده لا تأسيسه، والذى أسسه هو يعقوب بن إسحاق بعد بناء إبراهيم الكعبة بهذا القدر (أربعون سنة)أ.هـ.

وقال المقدسى: وجه هذا الحديث أن هذين المسجدين وضعا قديماً ثم خربا، ثم بنيا، وزعم بعضهم أن أول من بنى البيت أى المسجد الحرام هو آدم، وأن غيره من ولده رفع بيت المقدس بعده بأربعين عاماً، حكاه ابن الجوزى وغيره، وعن كعب الأحبار: أن سليمان بن داود عليه السلام بنى

---

١) إعلام الساجد للزركشى (٢٧٧-٢٧٨) .

البيت المقدس على أساس قديم، كان أسسه سام بن نوح.

وعن عطاء الخراساني قال: بيت المقدس بنته الأنبياء، وعمرته الأنبياء، ووالله ما فيه موضع شبر إلا وقد سجد فيه نبى[1].

فضائل المسجد الأقصى وأحكامه

فضائله:

للمسجد الأقصى فضائل كثيرة أهمها:

أ : أنه القبلة الأولى للمسلمين:

من الفضائل التى اختص بها المسجد الأقصى، أن جعله الله تعالى، أولى القبلتين، فإليه كان المسلمون يتوجهون فى صلاتهم ستة عشر شهراً قبل أن تحول القبلة إلى الكعبة المشرفة.

وفى ذلك دلالة على أن هذا البيت شرفه الله وكرمه، فوجه أنظار المسلمين إليه فترة من الزمن.

ب ـ الإسراء إليه والمعراج منه:

المسجد الأقصى وثيق الصلة بحادثين من الحوادث ذات الشأن فى التاريخ الإسلامى، وهما: الإسراء والمعراج.

فالإسراء رحلة أرضية.

والمعراج رحلة سماوية.

والمسجد الأقصى كان مركزاً فى كلتا الرحلتين.

فهو فى الأول نهاية الإسراء.

وفى الثانية بدء المعراج.

ونزل فى ذلك قوله تعالى: ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَـٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَـٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[الإسراء/١].

---

١) إعلام الساجد للزركشى (٢٨٣).

ج ـ شد الرحال إليه:

جعل الإسلام هذا المسجد أحد المساجد الثلاثة التى تشد إليها الرحال، فقال ﷺ «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدى هذا، والمسجد الأقصى»[رواه مسلم].

د ـ فضل الصلاة فيه:

من فضائل المسجد الأقصى وخصائصه مضاعفة الصلاة فيه، روى البزار بإسناد حسن عن أبى الدرداء عن النبى ﷺ قال: «الصلاة فى بيت المقدس بخمسمائة صلاة».

هـ ـ مباركة الأرض حوله:

أخبر الله تعالى عن المسجد الأقصى أنه بارك حوله فى قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء/١]، وفى الآية تأويلان: الأول أنه مبارك بمن دفن حوله من الأنبياء المصطفين الأخيار.

والثانى بكثرة الثمار ومجارى الأنهار.

و ـ كونه ثانى مسجد فى الأرض:

أول مسجد وضع فى الأرض هو المسجد الحرام، ثم المسجد الأقصى. لما جاء فى حديث أبى ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع فى الأرض قال المسجد الحرام، قلت: ثم أى؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: وكم بينهما؟ قال أربعون عاماً ـ الحديث.

أحكامه:

تتعلق بالمسجد الأقصى أحكام سبق ذكر بعضها كمضاعفة أجر الصلاة فيه، واستحباب شد الرحال إليه، للحديث الشريف الذى تقدم ومنها ما يأتى:

١- استحباب ختم القرآن فيه:

عن أبى مجلز قال: كانوا يستحبون لمن أتى المساجد الثلاثة، أن يختم بها القرآن قبل أن يخرج: المسجد الحرام، ومسجد النبى ﷺ ومسجد بيت المقدس كما روى أن سفيان الثورى كان يختم به القرآن.

٢- أن السيئات تضاعف فيه:

حكى عن بعض السلف أن السيئات تضاعف فى المسجد الأقصى، وروى عن نافع قال: قال لى ابن عمر: اخرج بنا من هذا المسجد، فإن السيئات تضاعف فيه، كما تضاعف الحسنات، وذكر مثل هذا الزركشى عن كعب الأحبار.

٣- الدجال لا يدخل بيت المقدس:

روى أبو بكر بن شيبة فى مصنفه عن سمرة بن جندب عن النبى ﷺ وذكر الدجال فقال: وإنه سيظهر على الأرض كلها إلا الحرم وبيت المقدس وأنه يحصر المؤمنين فى بيت المقدس قال: فيهزمه الله وجنوده حتى إن جزم[١] الحائط وأصل الشجرة ينادى: يا مؤمن هذا كافر يستتر بى تعالى اقتله.

٤- يكره استقبال بيت المقدس واستدباره بالبول والغائط، ولا يحرم.

٥- ليحذر الحالف من اليمين الفاجرة فيه، وكذا فى المسجد الحرام، ومسجد المدينة، روى أن عمر بن عبد العزيز أمر بحمل عمال سليمان بن عبد الملك إلى الصخرة ليحلفوا عندها فحلفوا إلا واحداً، فدى بيمينه بألف دينار، فما حال الحول على واحد منهم، بل ماتوا كلهم.

٦- صلاة العيد بالمسجد الأقصى أفضل من صلاتها بالصحراء: والجمهور على أن صلاة العيد فى المصلى أولى إلا فى مسجد مكة والمسجد الأقصى[٢].

---

١) جزم الحائط : القطعة منه .

٢) انظر الموسوعة الفقهية ٣٧/٢٣٢_٢٣٥ .

مشتملات المسجد الأقصى

يشمل مفهوم المسجد الأقصى، المسجد الذى تقام فيه صلاة الجمعة، بالإضافة إلى الصلوات الأخرى حتى يومنا هذا، وكذلك الصخرة المشرفة، وجامع عمر، وجامع المغاربة وجامع النساء، ودار الخطابة والزاوية الختنية، والزاوية البسطامية وقبة موسى، بالإضافة إلى الأروقة والمنائر والمصاطب والأبواب والآبار وغرف السكن. كما تضم ساحة المسجد الأقصى محراب مريم (أم المسيح عليه السلام) ومحراب زكريا والد يحى عليه السلام، حيث بشرته الملائكة أثناء وقوفه للصلاة بميلاد ابنه يحيى، كما ورد في كتاب الله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَـٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَـٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾[آل عمران/ ٣٧- ٣٩].

ويضم أيضاً مآذن خليل الله إبراهيم ومكان اعتزاله للعبادة، وفيه القبة التى عرج منها رسول الله ﷺ إلى السماء، وتقع فوق المكان الذى صلى فيه رسول الله ﷺ مع من سبقه من الأنبياء، وقبة السلسلة ومصلى جبريل، ومصلى الخضر (عليهما السلام) وللحرم القدسى المحيط بالمسجد عدة أبواب منها: باب الرحمة، باب التوبة، باب البراق، باب الجنائز، باب الأسباط، باب حطة، باب شرف الأنبياء، باب المتوضأ، باب السلسلة، باب السكينة، باب المغاربة (باب النبى ﷺ)[١]... إلخ.



١) الموسوعة العربية العالمية (٢/٢٣) .

مكانة المسجد الأقصى فى الإسلام

المسجد الأقصى أحد أهم الأماكن الإسلامية المقدسة، وأقدمها، وهو ثانى مسجد بنى على الأرض بعد المسجد الحرام، وقد ولىّ المسلمون وجوههم قبله فى الصلاة ـ ستة عشر شهراً ـ قبل أن يولوها شطر المسجد الحرام، ومن هنا عرف بأولى القبلتين، ثم أمر الله سبحانه وتعالى الرسول ﷺ والمسلمين بأن يولوا وجوههم شطر المسجد الحرام. قال تعالى:

﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ﴾[البقرة/١٤٤].

ارتبط ذكر المسجد الأقصى عند المسلمين بحادثة الإسراء والمعراج، التى كانت بداية للصلة الفعلية بين الإسلام والحرم القدسى الشريف، حيث كان هذا المكان مسرى النبى ومعراجه، وبعد ما يزيد على سبعة عشر عاماً من الإسراء والمعراج كانت جيوش المسلمين تحاصر بيت المقدس فى العام الخامس عشر من الهجرة، وبعد وفاة الرسول ﷺ بخمس سنوات وفى العهد العمرى (عمر بن الخطاب) دعى الخليفة الثانى لرسول الله ﷺ للذهاب إلى بيت المقدس لاستلامه جاء ذلك استجابة لدعوة صفرا ونيوس بطريرك القدس آنذاك حيث طلب أهل المدينة من أمير المؤمن، العهد والأمان، فكان العهد العمرى ميثاقاً وأمناً للناس فى ذلك البلد المقدس، وجرت مراسم التسليم وتوقيع العهد على ساحة الحرم القدسى الشريف، ومنذ ذلك التاريخ اتجهت أنظار المسلمين إلى المسجد الأقصى المبارك، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين.

بعد أن تسلم الخليفة الثانى لرسول الله (عمر بن الخطاب) بيت المقدس، كشف عن مكان الصخرة المباركة التى ظهرت تحت التربة والنفايات، وتسابق المسلمون فى مشاركته ذلك العمل حتى تم تنظيف المكان المبارك، وظهرت الصخرة ثم بنى عمر رضي الله عنه المسجد المعروف بالمسجد العمرى، وأصبحت الصخرة فى مؤخرته.

مراجع وفهارس

الجزء الأول

وتتكون من :

- أهم مراجع الكتاب
- فهرس أحاديث السنة
- فهرس تفصيلي بموضوعات الكتاب

أهم مراجع الكتاب

القرآن الكريم

١ - أحكام عبادات المرأة فى الشريعة الإسلامية، سعاد صالح، دار الضياء. القاهرة ١٤٠٦ هـ / ١٩٨٦م.

٢ - إعلام الساجد بأحكام الساجد، الزركشى، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة، ١٩٦٦م.

٣ - أعلام الموقعين من رب العالمين، ابن قيم الجوزية، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤م.

٤ - تاريخ الفقه الإسلامى، محمد على السايس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.

٥ - تحفة المودود بأحكام المولود، ابن قيم الجوزية، المكتبة القيمة، القاهرة.

٦ - تقليم الأظافر، أبو الوفا عبد الآخر، مكتبة الآداب، القاهرة.

٧ - التشريع الإسلامى: مصادره وأطواره، شعبان محمد إسماعيل، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م.

٨ - دراسات فى علوم القرآن، محمد عبد الجليل حسن محمود، أسوان، ١٤١٩هـ / ١٩٩٦م.

٩ - رياض الصالحين، الإمام النووى، المكتب الإسلامى، بيروت، لبنان، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م.

١٠ - الرياض النضرة فى سنن الفطرة، كمال على الجمل، مطبعة الإيمان، المنصورة.

١١ - الصلاة وصحة الإنسان، حلمى الخولى، الزهراء للإعلام العربى، القاهرة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م.

١٢ - عقيدة المؤمن، أبو بكر الجزائرى، دار البيان العربى، القاهرة.

١٣ ـ علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع الإسلامي، عبد الوهاب خلاف، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م .
١٤ ـ فقه السنة، السيد سابق، الفتح للإعلام العربى، القاهرة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م .
١٥ ـ مسائل الحيض والنفاس والاستحاضة فى السنة النبوية، عبد الرحمن محمد عبد الله الرفاعى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
١٦ ـ من الفقه الإسلامى، أحمد الحصرى، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م
١٧ ـ منهاج المسلم، أبو بكر الجزائرى، دار السلام، القاهرة .
١٨ ـ المسجد فى الإسلام ورسالته فى المجتمع المعاصر، عادل محمد محمد درويش، دار العلم، شرقية، مصر، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م .
١٩ ـ المنتقى فى تاريخ التشريع الإسلامى، محمد أنيس عبادة، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥م .
٢٠ ـ الموسوعة العربية العالمية، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م .
٢١ ـ الموسوعة الفقهية، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، الكويت، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م .



فهرس أحاديث السنة(*)

(*) اضطررنا إلى حذف (صلى الله عليه وسلم)، وأيضاً حذف نعوت الكمال مثل: (عز وجل)، و(تبارك وتعالى) تسهيلاً للبحث والمراجعة.

م	طرف الحديث	الصفـــــحة	تخريج الحديث
٢٦	اقرءوا القرآن فإن الله لا يعذب قلباً وعى القرآن	١١٧	الدارمى
٢٧	اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه	١١٦	مسلم
٢٨	اقرءوا القرآن ولا تأكلوا به	١١٨	مسلم
٢٩	ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا	١٦٨	مسلم
٣٠	ألا إنى أوتيت الكتاب ومثله معه	١٣١	أبوداود
٣١	الذى يقرأ القرآن وهو ما هر به مع السفرة	١١٦	الشيخان
٣٢	ألق عنك شعر الكفر واختتن	١٩٢	أبوداود
٣٣	اللهم اجعل فى قلبى نوراً	٢٢٧	مسلم
٣٤	أنا أول هذه الأمة سأل عن ذلك رسول الله	١٤٩	مسلم
٣٥	أنا رحمة مهداة	٣٥	الحاكم
٣٦	أنبئت أن جبريل أتى النبى وعنده أم سلمة	١٤٧	البخارى
٣٧	إن أعظم الناس أجرا فى الصلاة	٢١٩	الشيخان
٣٨	إن أعظم المسلمين فى المسلمين جرماً	٤٤	مسلم
٣٩	إن أمتى يدعون يوم القيامة غراً	١٦٨	الشيخان
٤٠	إن أمرأة كانت تلقط القذى	٢٢٢	الطبرانى
٤١	إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان	١٠٤	البخارى
٤٢	إن رسول الله نهى أن يسافر بالقرآن	١٢٦	الشيخان
٤٣	إن روح القدس نفث فى روعى	١٤٦	كنزالعمال
٤٤	أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس	٢٧٠	النسائى
٤٥	إن من إجلال الله إكرام ذى الشيبة المسلم	١١٧	أبوداود
٤٦	إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول	٢٢٢	مسلم
٤٧	إن الذى ليس فى جوفه شيء من القرآن	١١٦	الترمذى
٤٨	إن الشيطان حساس لحاس	١٥٩	الترمذى
٤٩	إن الصعيد الطيب طهور المسلم	١٦٣	أحمد
٥٠	إن الله طيب يحب الطيب	٧٧	مسلم
٥١	إن الله فرض فرائض فلا تضيعوها	٤٤	الدارقطنى
٥٢	إن الله قال: من آذى لى ولياً	١١٧	البخارى
٥٣	إن الله قد أعطى كل ذى حق حقه	١٣٦	الترمذى

م	طرف الحديث	الصفحة	تخريج الحديث
٨١	ثم توضئي لكل صلاة	١٨٣	البخارى
٨٢	جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى	٥٦	الشيخان
٨٣	جعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً	١٦٣	أحمد
٨٤	جنبوا مساجدكم صبيانكم	٢١٦	ابن ماجة
٨٥	الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة	١٢٩	الترمذى
٨٦	الجنة تحت ظلال السيوف	٢٥٠	مسلم
٨٧	خالفوا المشركين وأحفوا الشوارب	١٩٧	البخارى
٨٨	خالفوا المشركين ووفروا اللحى	١٩٨	الشيخان
٨٩	خذوا عنى مناسككم	١٣٤	مسلم
٩٠	خرجت مع أهلى أريد النبى	١٥١	أحمد
٩١	خرجنا مع النبى فكان لا يأتى البراز	٢٠٤	ابن ماجة
٩٢	خمس من الفطرة	١٥٩	الشيخان
٩٣	خيركم من تعلم القرآن وعلمه	١١٦	البخارى
٩٤	دخلت على رسول الله في بيت بعض نسائه	٢٤٨	مسلم
٩٥	دخل رسول الله حجرتى	٥٦	الشيخان
٩٦	دخل علىَّ رسول الله بسرف وقد نفست	١٨٠	أحمد
٩٧	الدين النصيحة	١٢٥	مسلم
٩٨	رأيت جبريل واقفاً فى حجرتى	١٥١	الحاكم
٩٩	رأيت سبعين من أهل الصفّة	٢٥٢	البخارى
١٠٠	رفع القلم عن ثلاث	٧٣	أبوداود
١٠١	سئل رسول الله كيف رأيت ربك؟	١٩	مسلم
١٠٢	سبعة يظلهم الله فى ظله	٢١٩	الشيخان
١٠٣	سمعت رسول الله قرأ فى العشاء بالتين والزيتون	١٢٩	الشيخان
١٠٤	شرف المؤمن قيام الليل	١١٩	الطبرانى
١٠٥	صلاة فى مسجدى أفضل من ألف صلاة	٢٤٢	ابن ماجة
١٠٦	صلوا كما رأيتمونى أصلى	١٣٤	البخارى
١٠٧	الصلاة في بيت المقدس بخمسمائة صلاة	٢٧٢	البزار
١٠٨	الطهور شطر الإيمان	١٦٠	مسلم
١٠٩	عرضت على أعمال أمتى حسنها وسيئها	٢٢٢	مسلم

م	طرف الحديث	الصفحة	تخريج الحديث
١١٠	عشرة من الفطرة	١٩١	مسلم
١١١	غطوا الإناء وأوكئوا السقاء	١٦٣	مسلم
١١٢	الغسل يوم الجمعة واجب	١٦٠	الشيخان
١١٣	الغضب من الشيطان	١٦٧	أبوداود
١١٤	فأوحى الله إليّ ما أوحى	١٥٠	مسلم
١١٥	فرّ من المجذوم فرارك من الأسد	١٥٨	البخارى
١١٦	فضل الصلاة فى المسجد الحرام على غيره بمائة ألف	٢٣٥	الطبرانى
١١٧	فضلنا على الناس بثلاث	١٨٠	مسلم
١١٨	فوالله إنى لأعلمكم بالله	١٦٠	الشيخان
١١٩	الفطرة خمس أو خمس من الفطرة	١٩١	الشيخان
١٢٠	قلت يا رسول الله أخبرنى عن الوضوء	٢٠٢	أبداود
١٢١	قلت يا رسول الله أى مسجد وضع فى الأرض أول	٢٣٧	البخارى
١٢٢	كان النبى مما ينزل عليه الآيات	١٠٠	أبوداود
١٢٣	كان النبى يبعث إلى قومه خاصة	٥٧	الشيخان
١٢٤	كل مولود يولد على الفطرة	١٩١	البخارى
١٢٥	كل المسلم على المسلم حرام	٧٤	مسلم
١٢٦	كنا عند رسول الله نؤلف القرآن	١٠٠	الحاكم
١٢٧	كنا مع أبى هريرة فى المسجد	٢٢٨	مسلم
١٢٨	كنا نأكل على عهد النبى فى المسجد	٢٣٠	ابن ماجة
١٢٩	كنا نحيض على عهد رسول الله	١٨٤	النسائى
١٣٠	كنت أشرب وأنا حائض فأناوله النبى	١٨٤	النسائى
١٣١	كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله	١٣٨	أحمد
١٣٢	كنت أنام فى المسجد على عهد رسول الله	٢٣٠	البخارى
	(باب كان الشمائل الشريفة)		
١٣٣	كان النبى إذا دخل بيته بدأ بالسواك	١٩٩	مسلم
١٣٤	كان النبى إذا قدم من سفر	٢٩٩	البخارى
١٣٥	كان رسول الله إذا أراد أن يغتسل من الجنابة	١٧٠	الترمذى
١٣٦	كان رسول الله إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد	٢٣٧	البخارى

م	طرف الحديث	الصفحة	تخريج الحديث
١٣٧	كان رسول الله إذا كان جنبا فأراد أن يأكل	١٧١	مسلم
١٣٨	كان رسول الله لا يرقد من ليل أو نهار فيستيقظ	١٩٩	أبوداود
١٣٩	كان رسول الله لا يقوم من مصلاه الذى صلى فيه الصبح	٢٢٩	مسلم
١٤٠	كان رسول الله يأتى مسجد قباء راكباً وماشياً	٢١٧	مسلم
١٤١	كان رسول الله يتكئ فى حجرى وأنا حائض	١٢١	الشيخان
١٤٢	لبس خاتماً نقشه محمد رسول الله	٢٠٤	الحاكم
١٤٣	لعن الله الواشمات والمستوشمات	١٣٢	الشيخان
١٤٤	لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود	١٢٩	الشيخان
١٤٥	لما دخل رسول الله البيت دعا فى نواحيه	٢٤١	الشيخان
١٤٦	لما نزلت لا يستوى القاعدون	١٥٣	البخارى
١٤٧	لو أدرك رسول الله ما أحدث النساء بعده	٢٣١	أبوداود
١٤٨	لولا أن أشق على أمتى لأمرتهم بالسواك	١٦٠	الشيخان
١٤٩	ما بين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة	٢٥٠	الشيخان
١٥٠	ما بين منبرى إلى حجرتى روضة من رياض الجنة	٢٥٠	أحمد
١٥١	ما خير رسول الله بين أمرين قط إلا اختار	٦١	الشيخان
١٥٢	ما قبض نبى إلا دفن حيث قبض	٢٥١	الترمذى
١٥٣	ما منكم من أحد يتوضأ فيسبغ الوضوء	١٦٨	مسلم
١٥٤	مثل القائم فى حدود الله والواقع فيها	٦٣	البخارى
١٥٥	مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الأترجة	١١٦	الشيخان
١٥٦	مثلى ومثل الأنبياء من قبلى	٥٩	مسلم
١٥٧	مررت على رسول الله ومعه جبريل	١٥١	الطبرانى
١٥٨	المساجد بيوت الله فى الأرض	٢١٩	الطبرانى
١٥٩	المسجد بيت كل تقى	٢١٨	الطبرانى
١٦٠	من أحب أن يكثر الله خير بيته فليتوضأ	١٥٩	البيهقى
١٦١	من أدرك شهر رمضان فى مكة فصامه	٢٤٣	ابن ماجة
١٦٢	من أكل ثوماً أو بصلاً فليعتزل مسجدنا	١٦٠	الشيخان
١٦٣	من بنى لله مسجداً يذكر فيه اسم الله	٢١٨	ابن ماجة

م	طرف الحديث	الصفـــــحة	تخريج الحديث
١٦٤	من بنى مسجداً ولو كمفحص قطاة	٢١٨	ابن ماجة
١٦٥	من بنى مسجداً يبتغى به وجه الله	٢١٨	الشيخان
١٦٦	من تطهر فى بيته ثم أتى مسجد قباء	٢١٧	النسائى
١٦٧	من تطهر فى بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله	٢١٩	مسلم
١٦٨	من توضأ فأحسن الوضوء	١٦٨	مسلم
١٦٩	من توضأ فى بيته فأحسن الوضوء	٢١٩	الطبرانى
١٧٠	من سن فى الإسلام سنة حسنة	١٣٠	مسلم
١٧١	من صلى فى مسجدى أربعين صلاة	٢٤٩	أحمد
١٧٢	من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له فى الجنة نزلا	٢١٩	الشيخان
١٧٣	من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين	١١٩	أبو داود
١٧٤	من قرأ القرآن ثم نسيه	١٢٠	الترمذى
١٧٥	من قرأ القرآن وعمل بما فيه	١١٧	أبو داود
١٧٦	من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة	٨٩	الترمذى
١٧٧	من قلم أظافره يوم الجمعة وقى من السوء	١٩٥	الطبرانى
١٧٨	من كان له شعر فليكرمه	١٥٩	الدارقطنى
١٧٩	من لم يأخذ من شاربه فليس منا	١٩٧	النسائى
١٨٠	من لم يتغن بالقرآن فليس منا	١٢٩	أبوداود
١٨١	من مس ذكره فلا يصل حتى يتوضأ	١٦٦	الترمذى
١٨٢	من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين	٧	البخارى
١٨٣	من السنة إذا دخلت المسجد	٢٢٧	الحاكم
١٨٤	من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم	١١٩	مسلم
١٨٥	المساجد بيوت الله فى الأرض	٢٢٧	الطبرانى
١٨٦	المسجد بيت كل تقى	٢٢٦	الطبرانى
١٨٧	نحن معاشر الأنبياء لا نورث	١٣٦	البخارى
١٨٨	نعم الرجل عبد الله لو كان يصلى من الليل	١١٩	الشيخان
١٨٩	نهى رسول الله أن يتزوج الرجل المرأة على العمة	٧٠	الطبرانى
١٩٠	هلك المتنطعون	٦١	مسلم
١٩١	هو حبل الله المتين	٨٥	الترمذى

م	طرف الحديث	الصفحة	تخريج الحديث
١٩٢	والذى لا إله غيره ما صلت امرأة قط	٢٣٠	البيهقى
١٩٣	وبالغ فى المضمضة والاستنشاق إلا أن تكون صائماً	٢٠٧	ابن ماجة
١٩٤	وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً	٢٢٤	الشيخان
١٩٥	وجهوا هذه البيوت غن المسجد	٢٢٣	ابن ماجة
١٩٦	وقت لنا رسول الله فى قص الشارب	١٩٤	مسلم
١٩٧	وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله	٢١٥	مسلم
١٩٨	لا أحل المسجد لحائض ولا جنب	١٨٤	البخارى
١٩٩	لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد	٢٣٥	مسلم
٢٠٠	لا تكتبوا عنى غير القرآن	١٠٠	مسلم
٢٠١	لا تمنعوا نساءكم المساجد	٢٣٠	أبو داود
٢٠٢	لا حسد إلا فى اثنتين	١١٦	الشيخان
٢٠٣	لا يجمع بين المرأة وعمتها	١٣٥	الشيخان
٢٠٤	لا يحل مال امرئ مسلم إلا بطيب من نفسه	١٣٤	الديلمى
٢٠٥	لا يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث	١٢٤	أبو داود
٢٠٦	لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث	١٦٥	البخارى
٢٠٧	لا يقرأ الجنب ولا الحائض شيئاً من القرآن	١٨٤	الترمذى
٢٠٨	لا يمس أحدكم ذكره بيمينه	٢٠٥	الشيخان
٢٠٩	لا يورد ممرض على مصح	١٦٣	الشيخان
٢١٠	يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله	١١٧	مسلم
٢١١	يا رسول الله كيف يأتيك الوحى	١٤٨	البخارى
٢١٢	يا عبد الله لا تكن مثل فلان	١١٩	الشيخان
٢١٣	يسرا ولا تعسرا	٤١	البخارى
٢١٤	يقال لصاحب القرآن اقرأ وارتق	١١٦	أبوداود
٢١٥	يقول الله من شغله القرآن وذكرى	١١٧	الترمذى
٢١٦	ينزل الله على أهل المسجد مسجد مكة كل يوم	٢٥٦	الطبرانى
٢١٧	ينزل ربكم كل ليلة إلى سماء الدنيا	١١٩	البخارى
٢١٨	يوشك رجل منكم متكئاً على أريكته	١٣٧	أبو داود

فهرس الموضوعات

الموضـــــــــــوع	رقم الصفحة

الموضـــــــــوع	رقم الصفحة

رقم الإيداع

٢٠٠٩/١٩٤٠٢

التجهيزات الفنية والطباعة
الشركة المتحدة للطباعة والنشر والتوزيع
(المطبعة الأمنية)

هذا الكتاب

هذا الكتاب الذى بين يديك أيها القارئ الكريم - قصدت من خلاله أن ألقى الضوء على صور متنوع من أسرار التشريع فى الإسلام منها:

- معرفة الله تعالى والدلائل العلمية على وجود الله عز وجل: فإن معرفة الله تعالى هى أسمى المعارف وأجلها، وهى الأساس الذى تقوم عليه الحياة الروحية كلها، والتى من شأنها أن تفجر فى الإنسان ينابيع الخير.

- خصائص الشريعة الإسلامية ومميزاتها: وهى خصائص ومزايا متعددة ومتنوعة، لا توجد فى غيرها من الشرائع الأخرى، هذه الخصائص تجعلها صالحة للناس عامة، فى كل زمان ومكان، وتكفل لهم الحياة الكريمة المهذبة، والتى تصل بهم إلى أعلى درجات الرقى والكمال.

- من أسرار التشريع فى الكتاب والسنة: ومما لا شك فيه أن القرآن الكريم المستقيم، والتمسك بهما هو سر نجاح هذه الأمة وتقدمها وسعادتها.

- الطهارة فى التشريع الإسلامى: من مظاهر عناية الإسلام بالصحة، أنه وضع لها الوسائل الوقائية، ومن هذه الوسائل (النظافة)، إذ جعلها الله تعالى من الإيمان، لذا أوجب الله فى العبادات نظافة الثوب والبدن والمكان.

- المساجد بيوت الله فى الأرض: والمسجد عبر التاريخ الإسلامى هو مص
الفكرى والدينى، والمركز الأساسى لنشر الثقافة فى جميع الأوقات، و
الطبقات، ويخطىء من يظن أن المساجد بنيت للعبادة فقط، بل هى بالإض
معاهد للتعلم، ودار للقضاء وفض المنازعات، ومكان للاجتماعات الهادفة
الدينية والقومية.

وبالله تعالى التو